المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أهل السنة والجماعة فى المغرب وجهودهم فى مقاومة الانحرافات العقدية

« من الفتح الاسلامى الى نهاية القرن الخامس »

* * *

رسالة أعدها الطالب

ابراهيم على التهامى

لنيل درجة الدكتوراه

* * *

بإشراف الدكتور

سيد عبد العزيز السيلى

* * *



العام الجامعى

.. ١٤١٣ هـ ..

* الجزء الأول *

* ملخص الرسالة *

عنوان الرسالة : "اهل السنة والجماعة فى المغرب وجهودهم فى مقاومة الانحرافات العقدية ·

موضوع الرسالة :

لقد تناولت هذه الرسالة بالبحث والدراسة جهود علماء المغرب من "اهل السنة والجماعة فى الدفاع عن عقيدة السلف ، ومقاومة الانحرافات التى حدثت فى الجانب العقدى ومقاومة الرجال الذين ساهموا فى هذه الانحرافات من "اهل الفرق الضالة عن منهج السنة ، والتى كان لها ا"لاثر البالغ فى الوصول بالمسلمين الى هذا الواقع المؤلم ، وذلك فى الفترة الممتدة من الفتح الاسلامى لبلاد المغرب الى نهاية القرن الخامس الهجرى، كما تناولت جهود الفاتحين الأول فى نشر السنة والعمل على ترسيخ دعائم الاسلام بتلك الربوع ، وكذلك جهود التابعين ومن بعدهم ، وقد قسمت البحث الى مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة · تحدثت فى المقدمة عن بداية امر الاسلام والجهود التى بذلت من قبل أعدائه من أول يوم للقضاء عليه وتقويض أركانه بشتى الوسائل ومنها نشر البدع وابعادالمسلمين عن الاسلام الصحيح ، كما تناولت فى الباب الأول جهود الصحابة فى نشر الاسلام وجهود التابعين وبعثة عمر بن عبدالعزيز الى بلاد المغرب لتعليم "أهلها الاسلام وكانت تتكون من عشرة فقهاء وكان من جهد هؤلاء مقاومة البدعة كالفكر الخارجى الذى كان قد بدأ فى الانتشار فى تلك البلاد بعد الاضطهاد الذى ناله فى المشرق ، كما تناولت جهود الامام مالك - رحمه الله - وآراؤه العقدية وتأثيره فى المغرب ورجاله فى النواحى العقدية والفقهية على حد سواء ·

أما الباب الثانى ، فقد ذكرت فيه علماء المغرب الذين أثر عنهم الحديث عن السنة وذكرت مصنفاتهم فى باب الاعتقاد ، ونقلت عنهم ماذكروه فى مسائل العقيدة ·

أما الباب الثالث ، فقد ركزت فيه على جهودهم فى المقاومة لأهل البدع على اختلافهم المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والمتصوفة والشيعة والخوارج والفلاسفة والوسائل التى اتخذوها فى مقاومتهم تلك ، كما ذكرت الانحرافات التى ألجأتهم الى تلك المقاومة مع نبذة عن نشأة هذه الفرق والطرق التى سلكوها للوصول الى بلاد المغرب ونشر انحرافاتهم بها·

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها النتائج التى توصلت اليها من خلال هذا البحث وأبرزها أن المغرب الاسلامى ونتيجة لتلك الجهود التى بذلها علماؤه ونتيجة للتشدد الذى تميزوا به فى مقاومة البدعة لم يصب بما أصيب به المشرق الاسلامى من انتشار للعقائد الضالة ، ومن الصراع بين الفرق المختلفة الى يوم الناس·

ولتسهيل عملية الرجوع الى مواد الكتاب وضعت فهارس تفصيلية للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والمراجع والفرق والموضوعات · كما قمت خلال الرسالة بالتعريف بالفرق والاعلام·

اعداد الطالب	اشراف الدكتور	يعتمد: عميد كلية الدعوة وأصول الدين
ابراهيم على التهامى	سيد عبدالعزيز السيلى	الدكتور/على العليـ[illegible]

*** أهـداء ***

================

الى روح والدتي الطيبة التي قضت قبل أن تقر عينها بهذا الانجاز، وقد كانت حريصة على ذلك أشد الحرص، فاليها وهي في دار الحق أهدى هذا الجهد المتواضع راجيا من الله تعالى ان يشملها بعفوه وينزل عليها سحائب رحمته وأن يجمعني بها في جنته .

والى والدي الذي تجشم الصعاب من اجلي وعانى الكثير من غربتي من آجل ان يرى هذا الحلم يتحقق ، أهدى ثمرة جهده وتعبه راجيا الله أن يجعلها في ميزان حسناتي وحسناته .

فاليهما أهدى هذه الرسالة سائلا الله أن يرحمهما كما ربياني صغيرا ...

* * *

** شكـــــر وتقديـــــر **

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الحمد لله أولا وآخـرا والشكر له علـى ما أنعم ووفق من دراسـة العلوم الشرعيـة بهذا البلـد الطيب مكـة المكرمـة الذى جعلـه اللـه مثابـة للنـاس وأمنـا ، ورزقـنى المقام فيـه كل هذه المدة .

ثم اقدم الشكر والتقدير لكل من ساعدنى فى انجاز هذه الرسالة وهـم كثير ، فان أشـكر الناس للناس أشكرهم لله وانما يعرف الفضل لذوى الفضـل أولوا الفضل .

وأول من يستحق الشكر بعد الله تعالـى هم المسؤولون فى هـذه الجامعة الغراء وعلى رأسهم مديرها الدكتور / **راشد الراجح** حفظه اللـه الذين مهدو الى سبيل طلب العلم وهيأوالى اسباب البحث وأكرموا وفادتـى فجزاهم الله عنى وعن طلبه العلم وعن العلم أحسن الجزاء .

ثم أخص بالشكر والتقدير والعرفان أستاذى ومشرفـى الدكتـور **سيد عبد العزيـز السيلـى** ـ على ما بذله فى الاشراف على من جهـد وما خصنى به من توجيهات وارشادات ولم يقتصر اشرافه لى على الساعـات المعتمده بل فتح لى بيته واقتطع لى من وقته وراحته الشىء الكثير ، فجزاه الله عنى أفضل الجزاء وأحسـنه .

كما أتقدم بالشكر والتقدير للمناقشين الفاضلين على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وابداء الملاحظات العلمية المهمة فجزاهما الله خيرا .

الى هؤلاء جميعا ، والى كل من ساهم فى انجاز هذا البحث ولو بكلمة أو ابداء نصيحه أو توجيه أو دلنى على كتاب أو بحث أقدم شكرى وتقديرى ـ راجيا من الله تعالى أن يتقبل من الجميع وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ويجعله فى ميزان حسناتى ـ انه ربى سميع قريب مجيب الدعوات .

=¢¢¢¢¢¢¢¢¢¢¢¢¢¢=

** بسم الله الرحمن الرحيم **

(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعـــوه
ولاتتـــبعوا السبل فتفرق بكم عــــــن سبيلـه
ذلكم وصاكـــم بــــــه لعلكــــــم
تتقـــــــون)

صدق اللـــــه العظيـــــم

المقدمة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

أما بعد ....

فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة .

ثم أما بعد ....

فإن العالم الاسلامى لم يمر فى تاريخه الطويل بمرحلة أخطر ولا أشد من المرحلة التى يمر بها اليوم بسبب تسلط أعداء الإسلام من أهل الكفر والبدع عليه فعمت البلوى وظهر الفساد وتعطلت أحكام الله وشرائعه واستبدلت بشرائع الكفر .

ولم يحدث فى تاريخ المسلمين الطويل أن استبدلت شرائع الله بشرائع الجاهلية بالرغم مما كانت تعاني منه الخلافة الاسلامية فى بعض الفترات من انحراف بعض الأمراء والسلاطين عن منهج الله وتسلطهم وظلمهم ، إلا أن ذلك كله لم يجعلهم يناقشون قضية الحاكمية ، لأنها كانت قضية مسلمة عندهم لاتحتاج إلى مناقشة أو جدال . وقد تأكد لأعداء الإسلام أنهم لن يستطيعوا أن يتسلطوا على المسلمين أو يسيطروا على خيراتهم مادام بناء الخلافة قائما ومادام المسلمون محتمين بهذا البناء المشيد ، وكذلك مادام القرآن هو الذى يقودهم، ويسترشدون به فعملوا على هدم هذا البناء وتقويضه وتشكيك المسلمين فى كتابهم ، فإن لم يقدروا على ذلك فلا أقل من أن ينحرفوا بهم عن المنهج الإسلامى الصحيح ويركزوا على جانب منه دون الجانب الآخر وعملوا على نشر البدع لتكون بديلا عن الاسلام الصحيح .

ولم تستطع يد الغدر أن تمتد إلى جزء من العالم الإسلامى لاقتطاعه واغتصابه إلا عندما تم لهم القضاء على الخلافة الاسلامية بالرغم من ضعفها عند ذلك قسموا العالم الإسلامى الى دويلات وزرعوا بذور العصبية فى كل بلد وفى كل شعب من شعوبه من الوطنية والقومية وغير ذلك مما كان له الأثر البالغ فى المصير المشئوم الذى آل إليه واقع المسلمين وأحيوا العصبيات القديمة التى تقوم على التمذهب فاستحكمت العداوة وقويت الشكيمة بين المسلمين

وتشتتت قواهم وذهبت ريحهم .

ولم يكن هذا الواقع المشئوم هو وليد الساعة ولم تكن الحرب على الإسلام وليدة اليوم ، بل إن جذور ذلك كله تمتد إلى بزوغ فجر الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام الذى بعثه الله تعالى على حين فوضى وفساد من العالم وانتشار الجهل والظلم والاستبداد فيه ، فكان فيهم من كل ملة ودين وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش وكانت المزدقية والمجوسية فى تميم واليهودية والنصرانية فى غسان والشرك وعبادة الأوثان فى سائرهم ، كما يقول مطهر المقدسي في (البدء والتاريخ) وكانت شرائع الجاهلية هي التى يحتكم إليها الناس فى قضاياهم إضافة إلى العادات والأعراف السيئة التي كانت تسيطر على واقعهم والتى لاتمت إلى الشرائع السماوية بصلة .

فى هذا الواقع المظلم أضاءت رسالة الإسلام فأنقشع بها الظلام ،ورأت البشرية النور الإلهى وشهدت الأمور على حقيقتها فخفت إلى صاحب النور والتفت حوله وسارت خلفه يقودها إلى الخير والسيادة والرفعة والعزة فى الدنيا وإلى الجنة والنعيم الأبدى فىالآخرة ، ولم يلبث أن بدأ نور هذه الرسالة يمتد ليشمل بقاع الأرض ، هنا بدأ الكيد للإسلام ووضع العراقيل فى طريقه ليقف مده ، وينطفىء نوره ، ولكن الله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، ففشلت محاولاتهم ، ووقفت رهبة الإسلام وغيرة المسلمين مانعا أمام كيدهم ، ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، بعد ما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة استمر كيد الأعداء وحربهم للإسلام فأرتدت أقوام عنه فى محاولة يائسة لتفريق كلمة المسلمين وشق صفهم وتشتيت شملهم/وحاول أناس تفريق شؤون الدنيا عن شئون الدين بالامتناع عن أداء الزكاة ، فقيض الله لهم أبا بكر الذى حاربهم وأخمد جذوتهم وأخفت صوتهم .

وكان عهد الفاروق عمر – رضى الله عنه – عهد قوة وعزة للمسلمين وعهد نكسة وخيبة أمل لأعدائه ، وكان عمر فضلا عن جهاده وفتوحاته يشتد على كل من يحاول أن يثير في الإسلام قضايا لم يطرقها من قبل المسلمون

فكان ينبغي من يسعى في ذلك ، ولم يقر
قرار أعداء الإسلام إلا بعد أن قضوا عليه - رضى الله عنه - فثلموا بذلك فى الإسلام ثلمة كبيرة لا يرتقبها جبل - كما يقول عبد الله بن مسعود - وقد مهدوا بقتله لظهور الفتن وتفريق المسلمين إلى فرق وأحزاب ، كل حزب بما لديهم فرحون.ورغم ذلك فقد استمر المد الإسلامى فى الانتشار واستمر دخول الناس فى دين الله أفواجا على عهد الخليفة الثالث - عثمان بن عفان إلا أن ذلك لم يستمر طويلا لأن سنى خلافته الأخيرة كانت ميدانا لظهور الفتن وتطاول الفاتنين وزادحقد أعداء الإسلام عليه فكثفوا من جهودهم من أجل تقويض بنيانه وتمالأت من أجل ذلك قوى الكفر جميعها من اليهود والفرس الذين لم ينسوا فى يوم من الأيام زوال دولتهم وسطوتهم على أيدى العرب الذين كانوا من قبء أقل الأمم خطلا بل كانوا يختبرونهم عبيدا ، عند ذلك راموا كيد الإسلام بالمحاربة فى شتى الأوقات فسلكوا من أجل ذلك شتى السبل والمسالك .

وكان من نتائج هذا الكيد وهذه الحرب الشرسة قتل الخليفة الثالث رضى الله عنه - عثمان بن عفان - وقيام الحرب بين الفئات المسلمة وظهور الفرق ، والمبتدعة ، وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه ، فظهرت أول بدعة فى الإسلام على عهد علي - وهى بدعة الخوارج ، الذين جزموا بالتكفير بالذنب والخروج على الإمام وقتاله وكانوا بذلك أول المتجردين لتفريق كلمة الإسلام،و أحداثهم السود مما يسود صحف التاريخ ، وكان عهد على - رضى الله عنه - شديدا على المسلمين حيث توقف فيه المد الإسلامى بسبب الفرقة التى حدثت بين المسلمين والاقتتال الذى وقع بينهم والذى استغله المبتدعة أيما استغلال فى النيل من الإسلام . وقد عمل الامام علي - رضى الله عنه - طيلة عهدة على إرجاع الأمور إلى نصابها ، ولكن الوضع كان قد بلغ مبلغا خطيرا ، لم يتمكن - رضى الله عنه - من السيطرة عليه وانتهى عهده بقتله - رضى الله عنه - قتله الخوارج ، بعد أن قاتلهم قتالا شديدا وقاومهم مقاومة عنيفة .

ولما انتقل الأمر إلى الإمام الحسن بن علي ـ وابن فاطمة الزهراء عليهم جميعا رضوان الله استمر فى قتال جيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ،ولكنه توقف بعد ذلك وتنازل لمعاوية لماعلم أن هذا الأخير لن يسلم له الأمر ولن يستسلم له فحقن بذلك دماء المسلمين ووفر عليهم مئات الأرواح التى كانت ستزهق لو استمر فى القتال وسمي ذلك العام بعام الجماعة لماجمع الله فيه شمل المسلمين ولم شتاتهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر به المسلمين فى لحظة من اطلاع الله له على الغيب إذ قال مشيرا إليه: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين .

وكان عهد معاوية رضى الله عنه بداية الانحراف الثانى إذ حول الحكم من خلافة راشدة تقوم على الشورى وانتقال الحكم فى الرجال الأكفاء الذين تتوافر فيهم الشروط الى ملك عضوض يقوم على الاستبداد بالرأى وانتقال الحكم بالعهد من غير مراعاة للكفاءة مما كان له الأثر السيء فى وضع المسلمين .

ونعود بعد هذا إلى الحديث عن الفرق التى ظهرت فى الإسلام وكانت وبالا عليه ولكن قبل ذلك أود أن أشير إلى حديث رواه المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى افتراق المسلمين إلى فرق كثيرة مثلهم فى ذلك مثل من كان قبلهم من اليهود والنصارى ،وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع،ولودخلوا جحر ضب لدخلتموه . قيل : اليهود والنصارى يارسول الله ؟ قال : فمن ؟ إ في اشارة واضحة الى آن هذه الأمة ليس لها فضل ولامزية على من سواها من الاثم الا بالاسلام فاذا انحرفت عنه صارت مثلها .

وهذا الحديث الذى فى افتراق المسلمين رواه غير واحد من الأئمة مع اختلاف فى اللفظ عن غير واحد من الصحابة أمثال أبي هريرة وعبدالله بن عمرو ومعاوية وغيرهم.فقد رواه أبو داود فى سننه (٢٧٦/٤) فى كتاب السنة (باب شرح السنة) والترمذى في سننه أيضا (١٣٤/٤-١٣٥) فى كتاب الإيمان (باب افتراق هذه الأمة) ،وابن ماجة فى كتاب الفتن (باب افتراق الأمم) سنن ابن ماجة (١٣٢١/٢ - ١٣٢٢) ،وأحمد فى المسند طبعة دار المعارف (١٧/ ١٦٩) عن أبى هريرة ،وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.ونص الحديث كمارواه أبو داود: " افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة" وزاد فى رواية أخرى " ثنتان وسبعون فى النار وواحدة في

فى الجنة وهى الجماعة" . ولكن بعد أن رووه اختلفوا فيه بين مصحح ومضعف فمنهم من رده جملة مثل ابن حزم ومنهم من صحح الجزء الأول منه ورد الجزء الأخير كابن الوزير ثم اختلفوا فى المراد بالعدد هنا ،فمنهم من جعله لمجرد التكثير ،ومنهم من قال إن العدد لامفهوم له فلامانع من الزيادة عليه وإن لم يجز النقص ،ومنهم من يقول: إن المراد به : أصول الفرق دون فروعها ، ومنهم من تكلف حصر العدد فى فرق خاصة .

ومهمايكن ،فان الأمة قد أصابها الداء الذى أصاب الأمم السابقة فتفرقت كلمتها وتشتت قوتها ،وكانت بداية ذلك على يد الخوارج ثم تبعهم الشيعة وقد حاول بعض المتعصبين أن يرد نشأة التشيع إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى زرع بذرته وتعهده بالعناية كمايقول صاحب (أصل الشيعة وأصولها) ولايخفى على أحد مافى هذا الكلام من غلو واجحاف ،ونحن لاننكر أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين من بعده قوم يكنون الحب والتقدير لعلي رضى الله عنه أمثال : سلمان والمقداد وابي ذر وغيرهم رضى الله عنهم وكانوا يرون أنه أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه تربى فى حضن النبوة ورضع من لبنها إلا أن ذلك لم يكن ليحيف بهم عن تقدير غيره من الخلفاء الراشدين بل إنهم لم يتلكؤا لحظة فى مبايعة أبى بكر وعمر وعثمان عندما بويعوا للخلافة .

ويذهب أهل السنة إلى أن أصل الشيعة اليهود،ذلك أن عبدالله بن سبأ اليهودي اليمني هو الذي كان له الدور البارز والفعال فى نشأتهم بأفكاره المنحرفة كمابينت ذلك بتوسع أثناء الحديث .

ثم مالبثت أن تفرقت هاتان الفرقتان (الخوارج والشيعة) إلى فرق كثيرة بين مغالية ومعتدلة واحتدم الصراع بينهما ،وكان ذلك عقابا من الله تعالى على فسادهم وكشفا لسوآتهم . ومن مذهب الشيعة خرج مذهب الاسماعيلية والمذاهب الباطنية الأخرى .

وفى أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجعة فأنكر ذلك الصحابة

والتابعين كعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله - رضى الله عنهم - ثم حدثت بعد ذلك فى أواخر عصر التابعين ،بدعة الجهمية منكرة الصفات وفى أثناء ذلك حدثت بدعة الاعتزال ،بكل ماتحمله من انحراف عن منهج السلف ورد لكتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ،وتبعهم على بدعتهم خلق كثير ،وألفوا فى تقرير مذهبهم والانتصار له ،مصنفات عديدة وصارت طريقتهم عند كثير من النظار المتأخرين هى دين الإسلام،بل يعتقدون أن من خالفها فقد خالف دين الإسلام ،فنهى أئمة الإسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله ثم حدث التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال ٠

ثم حدث فى عهد المأمون، سابع خلفاء بنى العباس ،مذهب الفلاسفة ، وانتشر فى الناس واشتهرت كتبه بجميع الأمصار ،وأقبلت فرق المسلمين على دراسته ،فانجز على الإسلام وأهله من ذلك مالايوصف من البلاء والمحنة فى الدين ،وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرا إلى كفرهم ٠

ثم مالبثت هذه البدع أن انتشرت وعمت الآفاق وقويت شوكة المبتدعة حتى صارت لهم دول تحميهم وتشجعهم على باطلهم ،وامتحنوا أهل السنة الذين وقفوا فى وجههم وكان المغرب الإسلامي ميدانا لظهور هذه البدع فيه ،حيث انتقلت إليه من المشرق عبر دعاتها ، الذى هربوا من تضييق الخلفاء وتعقبهم ،فاندسوا فى البربر ونشروا باطلهم وأقاموا دولتهم ٠

وأصل كل بدعة في الدين - كمايقول المقريزى - "البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول حتى بالغ القدري فى القدر فجعل العبد خالقا لافعاله وبالغ الجبري فى مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار وبالغ المعطل فى التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجمال ونعوت الكمال وبالغ المشبه فى مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجئ فى سلب العقاب وبالغ المعتزلى فى التخليد فى العذاب وبالغ الناصبي فى دفع علي رضى الله عنه عن الامامة ،وبالغت الغلاة حتى جعلوه إلها

فتعارضت الظنون وكثرت الأوهام وبلغ كل فريق فى الشر والعناد والبغى والفساد الى أقصى غاية وأبعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الأموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول. (الخطط ٣١٢/٣- ٣١٢) .

والسبيل الأجدى هو السبيل الوسط وهو سبيل أهل السنة والجماعة، ونقصد بأهل السنة أولئك المتبعين لاثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا الذين لم يتلوثوا بما تلوث به أهل الأهواء والبدع ولم يصبهم ما أصابهم وقد سئل الامام مالك عنهم فقال: هم الذين ليس لهم لقب يعرفون به لاخارجى ولامرجىء .

والسنة هى الطريقة التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته قبل ظهور البدع والمقالات .

والجماعة : المراد بهم سلف هذه الامة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتهموا ببدعة ولم يتهموا فى الدين .

يقول الامام ابن تيمية فى تعريفهم " ويسمون أهل السنة والجماعة لانهم على كتاب الله وسنة رسوله مجتمعون ولايتفرقون " . مجموع الفتاوى (١٥٧/٣) .
ويقول ابن حزم: أهل السنة هم أهل الحق كالصحابة وكل من سلك منهجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيل الى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم انظر الفصل (١١٣/٢) .

والذى أختاره وأميل اليه هو أن أهل السنة والجماعة هم السلف لأن المراد بالسلف الصحابة والتابعون وتابعوهم والعلماء بأصول السنة وطرائقها وهم حراس العقيدة وحماة الشريعة الواعون لاصولها العاملون بها قولا وعملا واعتقادا ظاهرا وباطنا [1].

---

(١) انظر رسالة الدكتوراه للدكتور سيد عبد العزيز السيلى، العقيدة السلفية بين الامام ابن حنبل والامام ابن تيمية: دراسة مقارنة (ص ١٨) نقلا عن عقيدة السلف للصابونى (ص ٢٣٦) .

والسلف هم الذين قالوا: نؤمن بما آمن به المسلمون الأوائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما آمن به أئمة الدين المشهود لهم بالخير والدين والتقوى والفهم السليم لدين الله عز وجل .(١)

وقيل هم ماكانوا على ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه.(٢)
وقد كان لعلماء السنة وحكامهم سعي مشكور فى محاربة البدع ودفع شبهها فى جميع أدوار التاريخ بشتى الوسائل الممكنة بالحكمة تارة والشدة تارة أخرى وبالتأليف ونشر السنة تارة ثالثة،يجدر بمن يهتم بامر دينه أن يطلع عليها ليزداد بصيرة فى أمر دينة وتصونا فى عقيدته وعلما بأطوار الفكر البشري فى باب الاعتقاد . وكان للامام ابى الحسن الأشعري جهد مشكور فى كشف عوارى هذه الفرق وتفنيد شبهها ورد كيد اصحابها ،بما ألفه من مؤلفات فى ذلك مثل الابانة ومقالات الاسلاميين وقد تبع هذا الامام خلق كثير نشروا مذهبه فى البلاد المختلفة الآن أتباعه انحرفوا عن طريقه ووقعوا فى حبائل الفلاسفة والمتكلين ،فصاروا هدفا لنقد علماء السنة الذين قاموا على كل من ينحرف عن طريق السلف ويتنكب عنها. وقد انتقل هذا المذهب الى المغرب على يد أحد تلاميذهم هو ابن تومرت ـ كماهو موضح فى موضعه من هذا البحث ،ولقد كان لعلماء السنة

---

(١) نفس المرجع .

(٢) نفس المرجع ،(ص ١٩) ،أما من حيث اللغة فالسلف يطلق على الجماعة المتقدمين ومنه قوله تعالى ﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ الزخرف ٥٦ .
وقيل الامم المتقدمة أي الماضية من سلف أي مضى والسالف المتقدم .
وقيل السلف ماقدمه العبد من عمل صالح او ولد فرط يقدمه . لسان العرب (١٥٨/٩) .
وقيل السلف من تقدم من الآباء وذوى الفضل .
أما من الناحية التاريخية فقد اختلفوا فى تعريفهم الى عدة أقوال فمنهم من حددهم بأنهم عاشوا قبل القرن الخامس الهجرى ،ومنهم من جعل ظهورهم فى القرن الرابع ،وكانوا من الحنابلة ثم تجدد ظهورهم فى القرن السابع الهجرى على يد شيخ الاسلام ابن تيمية ثم ظهروا مرة أخرى فى القرن الثانى عشر على يد الشيخ محمدبن عبدالوهاب . تاريخ المذهب لأبي زهرة (٢١١) والغزالي يحذدهم بالصحابة والتابعين . الجام العوام (٥) .
ويزيد بعضهم عليه : تابعى التابعين ،وقد اعتمد هؤلاء على حديث خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال عمران ابن حصين فلاأدرى اذكربعدقرنه قرنين أوثلاثة.(انظر تخريج الحديث ص ٢٢٢) .

المغاربة جهد مشكور وسعي مبرور فى نشر السنة والوقوف بقوة فى وجه المبتدعة ورد كيدهم فى نحورهم بجهادهم وتفانيهم فى مقاومتهم ،وقد سلكوا فى ذلك كل السبل واتخذوا كل الوسائل ،وكان لجهادهم ذلك ثماره التى ظهرت جلية فى بقاء المغرب الاسلامى مددا طويلة ينعم فيها فى ظلال المذهب السنى الوارفة الى أن غلب عليه وعلى غيره من بلاد الاسلام جيوش الغزو الصليبى كما بينت فى بداية هذه المقدمة ـ فعمت البلوى وظهر الفساد فى البر والبحر وأصبح أهل الاسلام أذلة في أوطانهم .

وهذا البحث محاولة متواضعة منى لاظهار الدور العظيم والجهد البارز لعلماء السنة بالمغرب وجهادهم وبذلهم فى سبيل نشر المذهب السنى بهذا الجزء من العالم الاسلامى الفسيح ومقاومة كل المذاهب البدعية التى تخالفه فى الفترة الممتدة من الفتح الاسلامى الى نهاية القرن الخامس أو قل الى ظهور المذهب الاشعرى .

وقد جاء اختيارى لهذا الموضوع لأننى فى حدود معرفتى ـ لم أطلع على بحث مستقل يتعلق بهذا الجانب فعقدت العزم على وضع رسالة فى الموضوع لعلها تساهم فى التعريف بالفكر الاسلامى المغربى فى مراحله الطويلة فيما يخص الجانب العقدى منها .

ولهذا الموضوع أهمية كبيرة من حيث انه يعرف بجانب من جوانب جهاد السلف ضد كل أشكال الانحراف ،فى جزء معين من اجزاء العالم الاسلامى ويعرف أيضا بالوسائل التى اتخذها العلماء فى جهادهم ذلك وهى وسائل تنفعنا حين نخوض التجربة مع أهل البدع اليوم وفى كل وقت .

وليس صحيحا مايردده بعض المفكرين الاسلاميين اليوم من ان هذا التراث الكبير الذى خلفه علماء السنة طيلة القرون الماضية يجب أن يباد حتى لايشوش على أفكار المسلمين ،ويجب ان يرد الناس مباشرة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون أن نلوى على شئ من ذلك الفكر وبخاصة اذا علمنا أن تلك الفرق قد بادت وانتهت . والحقيقة ان ذلك التراث ماهو

الاتفسير عملي لكتا الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجتهاد في الدين الله بمايوافق كل عصر .وأيضا فان من الخطأ الاعتقاد بان تلك الفرق والافكار قد بادت وانتهت ،بل هي قائمة الى يومنا هذا اما فى شكل أفكار أوفي شكل دول لنشر باطلها بما أوتيت من قوة ،وبماتحصل عليه من دعم من الجهات التى لاتريد الخير للاسلام .

وقد رأينا كيف انساق المسلمون وانجروا بحماس وراء دعايات الثورة الايرانية الاسلامية ،ولم ينج من تلك الخدعة الامن كان عارفا بمكائد القوم وفضائحهم خلال تاريخهم الطويل ،وما اقترفوه من التنكيل والقتل فى حق أهل السنة فتوقفوا عن تأييدهم بل وتوجسوا خيفة منهم ،وكانوا على حق فى ذلك وقد كشفت الأيام عن صواب توجههم ،ثم دراسة تاريخ هذا الفكر هو دراسة لأسباب وعوامل ارتقاء المسلمين وهبوطهم ومحاولة للاستفادة من ذلك كله فى تاريخنا المعاصر .

** ** **

ـخطتي في البحث ـ

المقدمـــــة : وفيها مباحث :ـ

المبحث الأول : أهمية هذا الموضوع وسبب اختيارى له ٠

المبحث الثانى : تعريف السلف ٠

المبحث الثالث : المقصود بالمغرب ٠

الباب الأول : العقيدة الاسلامية فى المغرب قبل ظهور الانحرافات العقدية وفيه فصول :

الفصل الأول : الحالة العقدية فى المغرب قبل ظهور الفرق وفيه مباحث :

المبحث الأول : فتح المسلمين للمغرب من الناحية التاريخية ٠

المبحث الثانى : عمل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على نشر دين الله فى هذه الربوع ٠

المبحث الثالث : بعثة عمر بن عبدالعزيز وأثرها فى توطيد دعائم الاتجاه السني فى المغرب ٠

الفصل الثانى : ظهور مذهب الامام مالك ـ رحمه الله ـ وأثره فى تأصيل الاتجاه السني وفيه مباحث :

المبحث الأول : ظهور الامام مالك والتزامه بالسنة ٠

المبحث الثانى : اقبال علماء المغرب على مالك وتأثرهم به ٠

المبحث الثالث : أثر الامام في المغرب في النواحي العقدية ٠

الفصل الثالث : أبرز علماء السنة فى هذه المرحلة ٠

الباب الثانى : علماء أهل السنة بعد ظهور الانحرافات العقدية :

الفصل الأول (يمكننا أن نقسم هذه الفترة الى مرحلتين) :

المرحلة الأولى : عدم الكتابة فى النواحى العقدية ٠

أبرز رجال هذه المرحلة ومقاومتهم للانحرافات العقدية : ـ

١ ـ عبدالله بن فروخ الفارسي (ت ١٧٦)٠

٢ ـ البهلول بن راشد (ت ١٨٢)٠

٣ ـ علي بن زياد التونسي (ت ١٨٣)٠

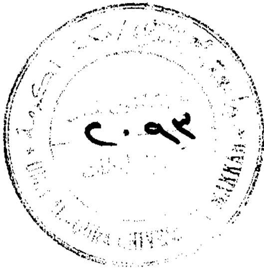
٤ ـ أبو جعفر موسى بن معاوية (ت ٢٠٢)٠

٥ ـ أسد بن الفرات (ت ٢١٠)٠

٦ ـ أحمد بن أبى محرز (ت ٢٢١)

٧ ـ عبدالله بن أبي حسان اليحصبي (ت ٢٢٦)٠

٨ ـ الامام سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠)٠



الفصل الثانى : ويتضمن مرحلة الكتابة فى النواحي العقدية وظهور المؤلفات فيها ٠

لقد برز فى هذه المرحلة كثير من العلماء كانوا على المذهب السني منهم:

١ ـ الامام بقي بن مخلد (ت ٢٧٦)٠

٢ ـ أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩)٠

٣ ـ جبلة بن حمود الصدفي (ت ٢٩٩)٠

٤ ـ ابراهيم بن محمد البردون (ت ٢٩٩)٠

٥ ـ محمد الرقادى القيرواني (ت ٣١٦)٠

أبرز علماء هذه المرحلة الذين كان لهم الأثر الكبير فى ترسيخ المذهب السنى بهذه الربوع هم : -

١ - محمد بن سحنون التنوخي)(٢٥٦)٠
٢ - سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢)٠
٣ - عبدالله بن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦)٠
٤ - محمد بن أبى زمنين (ت ٣٩٣)٠
٥ - أبو عمرو الطلمنكى (ت ٤٢٩) ٠
٦ - أبو عمرو عثمان الداني (ت ٤٤٤)٠
٧ - أبو عمر بن عبدالبر القرطبى (ت ٤٦٣)٠

الفصل الثالث : المسائل العقدية التى تناولها هؤلاء العلماء فى كتبهم وفيه مباحث :

المبحث الأول : ذكر الكتب التى ألفت فى هذه المرحلة ٠
المبحث الثانى : معرفة الله تعالى والطريق اليها ٠
المبحث الثالث : كلامهم فى صفات الله تعالى ٠
المبحث الرابع : كلامهم فى القرآن الكريم ٠
المبحث الخامس : كلامهم فى الايمان ومايتعلق به من زيادة ونقصان واستثناء٠
المبحث السادس : مرتكب الكبيرة ٠
المبحث السابع : القـــدر ٠
المبحث الثامن : الغيبيات ، الجنة والنار وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك ٠
المبحث التاسع : كلامهم فى الصحابة والتفضيل بينهم ٠

الباب الثالث : مقاومة علماء المغرب للانحرافات العقدية ،وفيه فصـــول :-

الفصل الأول : مقاومتهم للمتكلمين ، وفيه مباحث :
المبحث الأول : فى نشأة علم الكلام فى الاسلام وانتشاره بالمغرب ٠
المبحث الثانى : مقاومتهم لعلم الكلام ٠

الفصل الثانى : مقاومتهم للشيعة ، وفيه مباحث :
المبحث الأول نشأة التشيع وانتشاره بالمغرب ٠
المبحث الثانى : الانحرافات التى قام بها الشيعة بالمغرب والتى كانـــت سببا فى مقاومتهم من قبل علماء السنة ٠
المبحث الثالث : الرجال الذين قاموا التشيع ٠
المبحث الرابع : أساليب المقاومة ٠

الفصل الثالث : مقاومتهم للخوارج ،وفيه مباحث :-
المبحث الأول : نشأة الخوارج وانتشار مذهبهم بالمغرب ٠
المبحث الثانى : مقاومة علماء المغرب لهم ٠

الفصل الرابع : مقاومتهم للتصوف ،وفيه مباحث :-
المبحث الأول : نشأة التصوف بالمغرب ٠
المبحث الثانى : الرجال الذين كان لهم الأثر الكبير فى نشر التصوف بالمغرب
المبحث الثالث : المسائل التىقاوم علماءالمغرب من أجلها التصوف ٠
المبحث الرابع : الرجال الذين قاومهم علماء المغرب من أجل آرائهم الصوفية المنحرفة ٠
المبحث الخامس : حادثة احراق احياء علوم الدين للامام الغزالى وردود الفعل حولها ٠

الخاتمـــة : وفيها أذكر النتائج التى توصلت اليها من خلال هذا البحث ٠

أما منهجي فى البحث فيمكن أن أقول: إنه منهج تاريخي نقدى موضوعي،حيث رتبت ذكر العلماء ترتيبا تاريخيا حسب الوفيات وهو منهج نقدى لأننى لم آكتف فيه بالسرد بل قمت بنقد الأقوال وبيان الصحيح والسقيم منها ،وكان من منهجي أننى آعرض للمسألة التى آود الحديث عنها وآورد أقوال علماء السلف فيها ،وقبل ذلك أنظر الى آصلها فى الكتاب والسنة ،ثم آت الى علماء المغرب فأعرض لأقوالهم فى المسألة وأناقشها فأثبت ماوافق الكتاب والسنة وآقوال السلف وآرد ماخالف ذلك ،وكذلك كان عملى في المسائل التى ابتدعتها المبتدعة حيث آذكر أصل المسألة والشبه التى جعلت المبتدعة يخرجون بها عن سبيل السنة ،أعرض لذلك كله بكل موضوعية ثم أذكر مقاومة علماء السلف لتلك البدعة (آمثال مالك وابن المبارك والفضيل بن عياض والامام أحمد والامام ابن تيمية وغيرهم) ثم يأتي بعد ذلك دور علماء المغرب فى مقاومة تلك البدعة .

وكان من منهجى أننى آذكر البداية التاريخية لظهور تلك المسائل البدعية وأسباب نشأتها وظهورها ،كما أذكر بداية دخولها الى المغرب وانتشارها به قبل أن آت الى ذكر المقاومة وأسبابها وحجمها والنتائج التى ترتبت عنها .

الىذلك كله قمت بوضع مقدمات فى دخول الاسلام الى المغرب وجهود الصحابة والتابعين فى نشر الاسلام والتمكين للدين فى هذا الجزء من العالم الاسلامى الفسيح ،وذكرت جهود عمر ابن عبدالعزيز فى ارساء قواعد المذهب السني بالمغرب - بارساله للبعثة العلمية التى ساهمت مساهمة كبيرة فى هذا الجانب ،كما ذكرت فى هذه المقدمات الامام مالكا كنموذج لعالم من علماء السلف وجهوده فى نشر المذهب السنى بالمغرب .

وقد قمت بتخريج الأحاديث وعزو الأقوال الى مصادرها ،وعرفت بالفرق التى جاء ذكرها فى البحث مع اعطاء لمحة عن نشأتها وعقائدها . كما عرفت بالمدن والبلاد التى ورد ذكرها غير البلاد المشهورة التى لاتحتاج الى تعريف .

ولتسهيل الرجوع الى مادة البحث قمت بوضع فهارس للآيات والأحاديث والأعلام والمدن والفرق والمصادر والمراجع ،وفهرس مفصل للمواضيع .

وبعد .. فلست أدعي الاحاطة الشاملة بجوانب الموضوع لأن دون ذلك خرط القتاد،ولكن يمكننى أن آقول: اننى لم أدخر جهدا فى محاولة لالقاء الضوء على جوانب الموضوع وابرازها بما يؤدى الغرض منه ،فان كنت قد وفقت فذلك من الله وان كانت الأخرى فهو الجهد البشرى الذى يخضع للخطأ والصواب ولكن حسبى آننى لم أفرط،والله ولى التوفيق.

وكتبه : ابراهيم على التهامي

مكة المكرمة

١٤١٢/٤/٢٤ هـ ..

١٩٩١/١٠/٣٠م ..

الباب الأول

العقيدة الاسلامية فى المغرب قبل ظهور الأنحرافات العقدية

١) تمهيد فى فتح المسلمين للمغرب

٢) الفصل الاول : الفتح الاسلامى وأثره فى نشر الاسلام ومعه ذكر الفتح .

٣) الفصل الثانى : ظهور الامام مالك وأثره فى تأصيل المذهب السنى فى المغرب .

تمهيـــد :-

لقد دخل الإسلام إلى أرض المغرب مبكرا ، وكانت بداياته من عهد الخلافة الراشدة ، وظل يبسط سلطانه وظلاله الوارفة على هذا الجزء من العالم الإسلامي إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بإذن الله - إلا ما كان من بلاد الأندلس التي هي الجزء المكمل لبلاد المغرب ، حيث اغتصبها أعداء هذا الدين باسم الصليب ، وطمسوا معالم الإسلام فيها وسوّدوا تلك الصفحات البيضاء الناصعة من تاريخها المجيد .

ومع دخول الإسلام إلى هذه البلاد ، دخلت عقائده وأحكامه السمحة لتنظيم حياة الناس وانتشالهم من وحل العقائد الباطلة التي كانوا يدينون بها ، وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

وقد تحمل الفاتحون الأول العبء الأكبر من أجل أن يروا الإسلام يحكم هذه البلاد ، ومن أجل أن يروا هذه البلاد خالصة للإسلام ، ثم خلفهم في مهمتهم من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين واستمر الأمر على هذه الحال ، كلما خلا جيل خلفه جيل آخر ، وقد تزامن دخول الاسلام بعقائده الصافية الى هذه البلاد، مع دخول بعض العقائد المنحرفة التي ظل أصحابها يكيدون للإسلام ويسعون لهدمه إلا أن سعيهم لم يؤت ثماره لظهور الإسلام بعقائده الحقة كما جاء بها القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، ولكن خيبتهم هذه لم تثنهم عن مواصلة السير ، والعمل فى الظلام ، وإعداد العدة حتى يأتي اليوم الذى يتمكنون فيه .

وكان لهم ما أرادوا واستطاعوا أن يثبتوا أقدامهم بالمغرب بل ويقيموا الدول على أسس منحرفة ويبسطوا سلطانهم وينشروا عقائدهم بالقوة ، إلا أن الله تعالى قيض لهذا الدين من يذود عنه ويحمي حماه ، فكانت تلك الأجيال من العلماء العاملين الذين وقفوا حياتهم لنشر السنة ومقاومة كل بدعة .

وفى هذا الباب ، سأحاول أن ألقي الضوء على الجهود التي بذلت من قبل

الفاتحين ومن جاء بعدهم من العلماء من أجل إرساء دعائم الإسلام في هـذا الجزء من العالم الإسلامي ونشر تعاليمه السمحة به .

ولكن قبل ذلك يتعين علي أن أعرف ببلاد المغرب ، وأقدم لمحة موجزة عن فتح المسلمين لها والله الموفق .

التعريف ببلاد المغرب وفتح المسلمين لها :-

يعرف ياقوت الحموى (ت ٦٢٦) [١] المغرب بقوله : " المغرب بالفتح ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة ،قال بعضهم : حدها من مدينة مليانة [٢] وهي آخر حدود إفريقية [٣] إلى آخر جبال السوس [٤] التي ورآءها البحر المحيط وفيه جزيرة الأندلس ،وإن كانت إلى الشمال أقرب ماهي [٥] الى الجنوب .

ويقول ابن حوقل (ت : ٣٦٧ هـ) [٦] أيضا في تعريفه للمغرب مايدل على أن

---

(١) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموى ،شهاب الدين ، مؤرخ أديب ، شاعر ،لغوى ،نحوى ،عالم بتقويم البلدان . ولد ببلاد الروم وأعتقه مولاه عسكر الحموى ، له تصانيف كثيرة وممتعة منها : إرشاد الأريب في معرفة الأديب ، معجم البلدان،المشترك وضعا والمختلف صقعا وغيرها .
توفي في ٢٠ رمضان سنة ٦٢٦هـ ،وكانت ولادته سنة ٥٧٤هـ .
مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢٢/٣١٢-٣١٣) رقم ١٨٨ ،شذرات الذهب (٥/١٢١-١٢٢) ،وفيات الأعيان (٦/١٢٧-١٣٩) رقم ٧٩٠ .

(٢) مليانة : هي مدينة من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر الشلف (من أعمال الجزائر اليوم)، وهي ذات أشجار وأنهار ،جددها زيرى بن مناد وأسكنها ابنه بلكين .
انظر عنها : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميرى ، تحقيق احسان عباس (ص: ٥٤٧).

(٣) افريقية : تطلق على تونس في الأزمنة المتقدمة .

(٤) السوس : وتسمى السوس الأقصى وهي من أقصى بلاد البربر . يقال : انه ليس ورآءها شيء يعرف ".
انظر عنها : المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت الحموى (ص: ٢٥٩).

(٥) المشترك وضعا (ص : ٢٥٩).

(٦) هو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادى الموصلي ،رحالة جغرافي ،كان تاجرا ورحل الى بغداد ودخل المغرب وصقلية ، ==

الأندلس جزء منه وليست منفصلة عنه " وأما الأندلس فهي تتصل بالبر الأصفر من جهة جليقية (١) وافرنجة ، وهي من جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور" (٢).

ويقول المراكشي (ت ٦٩٥ هـ) (٣) في "البيان المغرب" (٤): "وبلاد الأندلس أيضا من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به".

ويقول الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) (٥) عند تناوله لحديث رسول الله

== وجاب بلاد الأندلس وغيرها . من آثاره صورة الأرض ، توفي سنة ٣٦٧ هـ .
مصادر ترجمته : معجم المؤلفين (١١/ ٥) ، هدية العارفين (٢/ ٤٣) ، مقدمة كتاب صورة الأرض .

(١) جليقية ، قال ياقوت : وجلق : ناحية بالأندلس بسرقسطة يسقي نهرها عشرين ميلاً من باب سرقسطة وليس بالأندلس أعذب من مائه ".
(معجم البلدان (٢/ ١٥٥) .

(٢) صورة الأرض (٦٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد المراكشي ، المعروف بابن عذارى ، مؤرخ أندلسي الأصل من أهل مراكش ، كان جليلا راوية مطلعا ، ألف كتابه الشهير (البيان المغرب) وهو عظيم الفائدة ، وقد طبقت شهرته الآفاق . توفي سنة ٦٩٥ هـ.
مصادر ترجمته : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (٤/ ٢٨٤-٢٨٥) رقم (٥٧٥) ، إيضاح المكنون (١/ ٢٠٧) ، هدية العارفين (٢/ ١٣٨) ، معجم المؤلفين (١٢/ ١٢) .

(٤) (١/ ٦) .

(٥) هو الامام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي المعروف بالحميدي ، روى عن ابن حزم والخطيب البغدادي وابن ماكولا وغيرهم ، وألف المصنفات الجيدة منها : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وكتاب من أدعى الأمان من أهل الايمان ، وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وغيرها ، توفي سنة ٤٨٨ .
مصادر ترجمته : الصلة (٢/ ٥٦٠-٥٦١) رقم (١٢٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٠-١٢٧) ، رقم (٦٣) ، نفح الطيب (٢/ ١١٢-١١٥) ، رقم (٦٣٠) وغيرها .

صلى الله عليه وسلم : " لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة "(١)

" هذا النص وان كان عاما لما يقع عليه فللأندلس منه حظ وافر لدخولها في العموم ومزية لتحققها بالمغرب وأنها من آخر المعمور فيه "(٢).

وبهذا يتضح لنا أن الأندلس جزء لا يتجزأ من المغرب الإسلامي ، وعلى هذا الأساس تكون دراستنا لعلماء المغرب ، حيث تشتمل العلماء الذين ظهروا في هذه البلاد : تونس والجزائر والمغرب والأندلس ، والله الموفق .

فتح المسلمين للمغرب :-

لقد جاءت فكرة فتح المغرب الإسلامي من قبل الجيوش الإسلامية على عهد عمر بن الخطاب(٣) - رضي الله عنه - (ت ٢٤) بعد فتح عمرو بن العاص

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الامارة (باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) برقم (١٩٢٥)، (١٥٢٥/٣) بلفظ : الغرب بدل المغرب، وانظر : الاختلاف حول شرح الحديث في شرح مسلم للنووي (٦٨/١٣) ، وعند الأبي (٥/ ٢٦٦) ، والحلل السندسية في الاخبار التونسية (٢٢٠/١) وفيه كلام جميل للطرطوشي حول هذا الموضوع.
والحديث أخرجه بسنده ابن أبي العرب التميمي القيرواني في طبقات علماء افريقية وتونس (ص: ٦٠-٦١ ، ٦٢-٦٣ ، ٦٤) .

(٢) جذوة المقتبس (ص: ٦) .

(٣) هو أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي الشهيد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم قديما ، وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد المشاهد كلها ، وابتلى بلاء حسنا ، ولي أمر المسلمين بعد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، مات شهيدا سنة ٢٤هـ.
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (١٣٨/٦-١٣٩) رقم (١٩٥٢)، الجرح والتعديل (١٠٥/٦-١٠٦) ، رقم (٥٥٨) ، حلية الأولياء (٣٨/١-٥٥) رقم (٢٠)، الاصابة (٥١٨/٢-٥١٩) رقم (٥٧٣٦) ، وغيرها من المصادر .

(ت ٤٣)[1] لمصر واقليمي برقة[2] وطرابلس[3] سنة ٢٣. عند ذلك أراد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن يفتح ماوراء هذين الإقليمين من بلاد إفريقية الا أن عمر بن الخطاب رفض ذلك إذ أنه خشي على الجيوش الإسلامية أن تتبعثر في هذه المناطق الشاسعة .

وبعد مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واستخلاف أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه (ت ٣٥هـ)[4] ، قرر أن يرسل البعوث لفتح المغرب،

---

(١) هو الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل ، أبو عبد الله ويقال : أبو محمد السهمي ، داهية قريش ، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم ، توفي سنة ٤٣هـ وقيل غير ذلك .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير للبخارى (٦/ ٣٠٣-٣٠٤) رقم (٢٤٧٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٥٥٨-٥٦١) ، المستدرك للحاكم (٣/ ٤٥٢-٤٥٥) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤-٧٧) رقم (١٥٠) .

(٢) برقة : بفتح أوله والقاف ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية .
انظر: معجم البلدان (١/ ٣٨٨-٣٨٩) ، صورة الأرض (ص ٦٩) .

(٣) طرابلس : بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ، تقع على شاطئ البحر، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣ عنوة .
انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٥-٢٦) .

(٤) هو أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين وختن رسول الله على ابنتيه ، ولذلك سمي ذا النورين ، الشهيد المقتول ظلما عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أسلم قديما وهاجر الهجرتين ومناقبه لا تحصى ، قتل مظلوما وذهب إلى ربه شهيدا سنة ٣٥هـ.
مصادر ترجمته : فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٤٨ - ٥٢٧) ، حلية الأولياء (١/ ٥٥-٦١) رقم (٣) ، المعارف (١٩١-٢٠٢) الاصابة: (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) رقم ٥٤٤٨ ، أسد الغابة (٣/ ٥٨٤ - ٥٩٦) ، رقم ٣٥٨٣ .

فأرسل (سنة ٢٧) عبد الله بن أبي سرح (ت ٥٩)(١) والي مصر على رأس حملة قوية اجتاز بها طرابلس واستولى على سفن للروم كانت راسية على الشاطئ هناك ثم واصل سيره في إفريقية إلى أن التقى بجيوش البيزنطيين في مكان يسمى سبيطلة(٢) في جنوب القيروان .

ولقد انتصر المسلمون في هذه الموقعة انتصارا حاسما وقتل القائد البيزنطي على يد عبد الله بن الزبير (ت ٧٣)(٣) ،لكن عبد الله بن أبي السرح هذا لم يستطع

---

(١) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري ، كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام وأهدر النبي دمه لكن عثمان آمنه بعد أن تاب وكان آخاه من الرضاعة ثم أسلم وحسن اسلامه ، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وغزا افريقية ، اختلف في مكان وفاته ، وزمن وفاته .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧/٤٩٦-٤٩٧) ، التاريخ الكبير : (٥/٢٩) ، رقم (٤٩) ، الجرح والتعديل (٥/٦٣) رقم ٢٩٢ ، سير أعلام النبلاء (٣/٣٣-٣٥) ، رقم (٨) ، الاصابة (٢/٣١٦-٣١٨) رقم (٤٧١١) .

(٢) سبيطلة : بضم أوله وفتح ثانيه ، مدينة من مدن افريقية ، بينها وبين القيروان سبعون ميلا .
انظرعنها : معجم البلدان (٣/١٨٧) .

(٣) هو : عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد أحد العبادلة ولد عام الهجرة غزا افريقية مع ابن أبي سرح ، ثم غزا افريقية ثانية مع ابن حديج وشهد فتح جلولاء كما شهد وقعة الجمل مع عائشة ، حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر وعمر وعثمان وخالته عائشة وغيرهم .
وروى عنه الكثير منهم : أولاده وأخوه عروة وطاوس وابن دينار وغيرهم ، بويع بالخلافة بعد يزيد بن معاوية سنة ٦٤ قتله الحجاج سنة ٧٣هـ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٥/٣٦٨) ، رياض النفوس (١/٦٣-٦٤) رقم (٣) ، المعالم (١/١١٢-١١٦) رقم ١٣ ، سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٣ - ٣٨٠) ، رقم (٥٣) ، حلية الأولياء (١/٣٢٩-٣٣٧) رقم (٤٦) .

الاستمرار طويلا فى عملياته الحربية بالمغرب إذ اضطر الى العودة إلى مصر لمحاربة أهل النوبة الذين هددوا مصر من الجنوب ،لذلك عقد معاهدة مع البيزنطيين عاهدهم فيها على إخلاء إفريقية فى مقابل جزية سنوية كبيرة يدفعونها .

ولما ولي الخلافة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - (ت ٦٠ هـ)(١) قرر اعادة الكرة لفتح إفريقية ، فعهد بذلك إلى قائده معاوية بن حديج (ت ٥٢)(٢) وكان ذلك سنة ٤٥ هـ ، وقد اتخذ معاوية بن حديج من القيروان معسكرا وصار

---

(١) هو : معاوية بن أبى سفيان ،صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، القرشي الأموى المكي ،وأمه هند بنت عتبه بن ربيعة ،قيل انه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، ولم يظهر إسلامه الا يوم الفتح ،حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم ،وأم حبيبة أخته ،وأبي بكر وعمر ،وعنه ابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهم ،وبايعه أهل الشام بالخلافة سنة ٣٨هـ ، وصالحه الحسن بعد مقتل على وبايعه سنة ٤٠ ، وتوفى سنة ٦٠ هـ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/ ٣٢٦-٣٢٨) ،رقم ١٤٠٥ ، الجرح والتعديل (٨/ ٣٧٧) رقم ١٧٢٣ ، أسد الغابة (٥/ ٢٠٩-٢١٢) رقم ٤٩٧٧ ، سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٩-١٦٢) ،رقم ٢٥ ،الاصابة : (٣/ ٤٣٣-٤٣٥) رقم ٨٠٦٧.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو نعيم معاوية بن حديج ،بالحاء ،وقيل بالخاء خديج ،الكندى ،شهد فتح مصر ،ثم غزا افريقية ثلاث مرات ، توفى سنة ٥٢ هـ) .

مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٣) ،أسد الغابة (٥/ ٢٠٦- ٢٠٧) ،رقم ٤٩٧٣ ،رياض النفوس (١/ ٩٢-٩٣) رقم ٢٤٠ ، معالم الايمان (١/ ١٤٠-١٤٤) ، رقم ٢٣ ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧-٤٠) رقم : ١٠.

يوجه بالسرايا منها ، فمنها سرية عبد الله بن الزبير الذى فتح فيها قابس[١] وبنزرت[٢] وسوسة[٣] ، ولكن قيادة معاوية بن حديج لم تستمر طويلا اذ عزله معاوية بن أبـــى سفيان ، وولى مكانه القائد عقبه بن نافع الفهرى[٤] .

وقد استمرت ولاية عقبة على إفريقية من سنة ٥٠ إلى سنة ٥٥ ولم تكن ولايته تلك هي أول عهده بالمنطقة ، بل لقد دخلها من قبل ضمن جيوش عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ ، وظل مرابطا هناك حتى عين واليا عليها ، يقاتل مع الجيوش الاسلامية.

وكان أول عمل قام به عقبة بن نافع بعد ولايته إفريقية هو تأسيس مدينــــة القيروان وجعلها بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة ليوطد بها نفوذ المسلمين .

وبعد أن أتم بناءها أتاه أمر الخليفة بعزله سنة ٥٥ هـ وولى مكانه أبا المهاجر

---

(١) قابس : هي مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وهـــي من مدن تونس اليوم وتقع فى الجنوب الشرقى .
انظر عنها : وصف افريقيا (٢/٩١) ، رحلة التيجاني (٨٦) صورة الأرض : (٢-٧٢-٧٣) .

(٢) بنزرت : مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، وهي تقـــع على نحو ٣٥ ميلا من تونس .
انظر عنها : وصف افريقيا (٢ / ٦٨) .

(٣) سوسه : انظر عنها : وصف افريقيا (٢ / ٨٣-٨٤) صورة الأرض (٧٤-٧٥) .

(٤) هو عقبة بن نافع بن قيس الفهرى ، ولد فى أيام النبى ، ولاه معاوية علـــى افريقية بعد عزل معاوية بن حديج الكندى وهو الذى بنى مدينة القـــيروان ومسجدها سنة ٥٥ ، كان مقتله رضي الله عنه سنة ٦٣ هـ بعد أن فتح جميع بلاد المغرب .

مصادر ترجمته : رياض النفوس (١ / ٩٧-٩٨) ، رقم (٢٩) ، أسد الغابـــة : (٤ / ٥٩-٦٠) رقم ٣٧١٤ ، معالم الايمان (١ / ١٦٤-١٦٧) ، رقم (٣٣) ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٥٣٢-٥٣٤) ، رقم ١٣٨ ، الاصابة (٢ / ٤٩٢) ، رقم (٥٦١٣) .

دينار (ت ٦٣) [١] الذى امتدت ولايته سبع سنوات (٥٥-٦٢هـ).

ولقد قام أبو المهاجر دينار بأعمال جليلة ، وكان سياسيا بارعا لم يعمل السيف في البربر [٢] كما فعل عقبة بن نافع ، وإنما اتخذ سبيلاً آخر هو المداراة والملاينة واستمالة البربر بنشر الإسلام بينهم ، وقد نجحت سياسته هذه نجاحا كبيرا إذ أسلم كسيلة زعيم البربر وكان نصرانيا وكانت النتيجة أن تحالف البربر مع العرب الفاتحين واستطاع أبو المهاجر بفضل هذا التحالف أن يجتاح المغرب الأوسط (الجزائر) ويحتل مدنه الساحلية حتى مدينة تلمسان [٣].

---

(١) هو أبو المهاجر دينار والي إفريقيا عينه عليها والي مصر مسلمة بن مخلد سنة ٥٥ ، ولما وصل الى القيروان سجن عقبة بن نافع ، حارب أبو المهاجر وهزم بقرطاجنة ، وقد وصل حتى ضواحي تلمسان ، قتل سنة ٦٣هـ.
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (٥٧) ، النجوم الزاهرة (١/ ١٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨) ، البيان المغرب (١/ ١٧).

(٢) البربر: هو اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب ، أولها برقة ثم الى آخر المغرب الأقصى وبحر المحيط ، وهم أمم وقبائل لا تحصى ، ينسب كل موضع إلى القبيلة التى تنزله ، ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر ، واختلف في أصل نسبتهم ، فأكثر البربر ، تزعم أن أصلهم من العرب ، وقال الطبرى : هم من بقايا العماليق ، ولما ساقهم افريقيش الحميرى بأمر النبى داود إلى إفريقية سموها باسم الذى ساقهم اليها فقالوا : إفريقية. وقال ابن عبد البر : البربر من القبط والقبط من ولد قبط بن حام بن نوح ، أول مانزل قبط بن حام مصر وأورث فيها بنيه وهم القبط الذين كان ملوكهم الفراعنة ومنهم تنسلت البربر ، وقال غيرهم غير ذلك فى نسبهم.
انظر : عنهم : معجم البلدان (١/ ٣٦٨-٣٦٩) ، جذوة الاقتباس: (١/ ١٤-١٦) ، صورة الأرض (ص: ٩٧).

(٣) تلمسان : بكسرتين وسكون الميم ، مدينة عظيمة من مدن الجزائر اليوم ، بينها وبين وهران مرحلتان ، وهي ذات مزارع كثيرة وفواكه جمة .
انظر عنها : معجم البلدان (٢/ ٤٤) ، الروض المعطار في خبر الأقطار: (١٣٥-١٣٦).

وفي سنة ٦٠هـ توفي معاوية بن أبي سفيان وخلفه ابنه يزيد[١] الذى أعاد عقبة إلى ولاية افريقية وعزل أبا المهاجر سنة ٦٢هـ ، وهذه هي الولاية الثانية لعقبة على إفريقية والتى استمرت سنتين (٦٢ - ٦٤ هـ) ، ولم يستمر في معاملة البربر بالسياسية التى كان يعاملهم بها أبو المهاجر ، بل لقد كان يسخر من سياسة أبي المهاجر ، ويسخر من قوة كسيلة ، وقد قام رضي الله عنه بحملته المشهورة حتى بلغ المحيط الأطلسي واقتحمه بفرسه قائلا عبارته المشهورة :

" اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك " .

ولكنه عاد مضطرا إلى افريقية لأن أخبارا سيئة بلغته ، والتقى مع جيش كسيلة - الذى كان قد هرب من جيش عقبة - في مدينة تهودة[٢] بالقرب من بسكرة[٣].

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو خالد القرشي ، تسلم الملك عند موت أبيه سنة ٦٠ هـ ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، له هنات كثيرة ، كان أمير الجيش فى غزو القسطنطينية . قال عنه الذهبي : كان قويا شجاعا ذا رأى وحزم وفطنة وفصاحة ، وكان ناصبيا (أى ممن كان ينصب العداء لعلى) فظا غليظا جلفا ، يتناول المسكر ويفعل المنكر ، توفى سنة ٦٤هـ ، وكانت ولايته ٣ سنوات وشهورا .
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (٣٥١) ، الكامل فى التاريخ : (٤/ ١٢٥ - ١٢٨) ، البداية والنهاية (٨/ ٢٢٩ - ٢٤١) ، سير أعلام النبلاء (٣٥ - ٤٠) ، رقم (٨) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٠ - ٣٦١) ، رقم (٦٩٩) .

(٢) تهودة : هي من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة وهى من أعمال الجزائر اليوم . انظر عنها : الروض المعطار فى خبر الأقطار (١٤٢ - ١٤٣) ، وقد فصل قصة استشهاد عقبة - رحمه الله .

(٣) بسكرة : بلدة بالمغرب الأوسط (الجزائر) من نواحي الزاب ، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان ، وهي مشهورة بالنخيل .
انظر عنها : معجم البلدان (١/ ٤٢٢) .

وأمام حشد كبير من البربر والبيزنطيين انهزم جيش المسلمين واستشهد عقبة وأبو المهاجر رضي الله عنهما سنة ٦٤هـ ، وانسحب زهير بن قيس (١) (٧٦ هـ) إلى طرابلس .

وفي تلك السنة التي استشهد فيها عقبة ، توفي يزيد بن معاوية ، وصار الأمر لعبد الملك بن مروان (٢) (ت: ٨٦هـ) وكان ذلك سنة ٦٥هـ ، فأمد جيش زهير بعدد وأمره بأن يستعيد القيروان وينتقم لمقتل عقبه ، وتقدم زهير بجيوشه في حملته التأديبية والتقى بكسيلة في معركة عنيفة انتهت - بحمد الله - بقتل كسيلة وهزيمة جيشه ومطاردتهم من قبل المسلمين .

واكتفى زهير بن قيس بما حققه وأراد العودة الى طرابلس الا أنه اعترضه جيش البيزنطيين في معركة انتهت باستشهاد زهير ومعظم جيشه ووقف بذلك فتح المغرب للمرة الثانية .

---

(١) هو : أبو شداد زهير بن قيس البلوى ، معدود في جملة الصحابة ، غزا زهير افريقية ووليها ورجع إلى مصر كراهة في الإمارة بعد أن سار بسيرة أهل العدل ، استشهد ببرقة سنة ٧٦ هـ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ٩٣ - ٩٤) رقم ٢٥ ، تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٩٦-٣٩٧) ، أسد الغابة (٢ / ٢٦٧) رقم ١٧٨٣ ، الاصابة: (١/ ٥٥٥-٥٥٦) ، رقم ٢٨٤١ .

(٢) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الأموى ، سمع من عثمان وأبي هريرة وأم سلمة ومعاوية وابن عمر وغيرهم ، وعنه رجاء بن حيوة والزهرى وربيعة بن يزيد وغيرهم . توفى فى شوال سنة ٨٦هـ ، وكانت ولادته سنة ٢٦هـ ، وكانت خلافته ٢١ سنة .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٥/ ٢٢٣-٢٣٥) ، تاريخ البخارى : (٥/ ٤٢٩ - ٤٣٠) رقم (١٣٩٧) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨-٣٩١) ، رقم (٥٥٦٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٦-٢٤٩) رقم (٨٩) .

ولكن عبد الملك بن مروان لم ييأس بل أعد جيشا قويا قوامه أربعون ألفا وزوده بأسطول بحرى وجعل قيادته في يد حسان بن النعمان الغساني (ت٠٨هـ)(١).

وخرج حسان في حملة ضخمة إلى افريقية ، وبدأ بقتال الروم فاستولى على قرطاجنة(٢) وطرد الروم منها ، ثم توجه نحو البربر وكانت تقودهم امرأة تسمى داهية وتلقب بالكاهنة(٣).

والتقى حسان بالكاهنة سنة ٧٥هـ في نفس الموقع الذى استشهد فيه عقبة وانهزم حسان وانسحب إلى إقليم برقة حيث أقام في موضع لا يزال يسمى : قصور حسان ، حيث لبث خمس سنوات .

والتقت الجيوش الإسلامية مرة أخرى بجيوش الكاهنة بعد أن انضم عدد كبير من البربر لصفوف المسلمين بعد ما نقموا عليها إحراق وتدمير كل شيء ، وألقت الرعب في قلوب البربر بحجة أن العرب إنما جاءوا لينهبوا خيرات البلاد ، فإذا قضت عليها رجعوا من حيث أتوا ، واستراحت منهم ، هذا السلوك - كما قلت - جعل البربر ينقمون عليها ويعلنون الانضمام لجيوش المسلمين .

والتقى جيش المسلمين بجيش الكاهنة سنة ٨٢هـ في مكان يعرف ببئر الكاهنة

---

(١) هو : حسان بن النعمان بن المنذر الغساني من ملوك العرب ، ولي المغرب فهذبه وعمره ، كان بطلا شجاعا لبيبا ، حكم على المغرب نيفا وعشرين سنة ، كان يدعى الشيخ الأمين لثقته وجلالته ، توفى سنة ٨٠هـ. مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠) ، رقم (٤٧) ، العبر : (١/ ٦٨) ، النجوم الزاهرة (١/ ٢٠٠ - ٢٠١) ، تهذيب تاريخ دمشق : (١/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) قرطاجنة : من ضواحي تونس الشمالية حاليا ، وكانت دار ملك افريقية. انظر: البكرى (٤١ - ٤٥) ، البيان المغرب (١/ ٢٣).

(٣) لم أجد لها ترجمة ، ولكن كل من تعرض للحديث عن الفتح الاسلامي للمغرب ذكرها على أنها كانت زعيمة للبربر ، ثم قتلت كما ذكرت .

في جبال أوراس[١] حيث انهزم جيش الكاهنة وأخذ يطاردها حتى قتلها ،ثم أخذ حسان يعمل على استمالة البربر فولى عليهم عمالا وَقُوَّاداً منهم وقام بإصلاحات عظيمة في المجال البحري والاقتصادي .

ولما ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦هـ[٢] عزل حسان بن النعمان وولى مكانه التابعي المشهور موسى بن نصير (ت ٩٧ أو ٩٩)[٣] الذى سار فيهم سيرة أبي المهاجر وسيرة حسان ، من استمالة البربر وإشراكهم في جيشه على نطاق واسع وقد عهد إلي فقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الإسلام.

---

(١) الأوراس : هي كتلة جبلية شاهقة تقع على بعد نحو ستين ميلا من بجاية وثمانين ميلا من قسنطينة. وهي ممتدة على نحو ستين ميلا .
انظر عنها : وصف افريقيا (٢/ ١٠٢-١٠٣).

(٢) هو الخليفة أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى ، الدمشقي الذى أنشأ جامع بني أمية ،بويع بعهد من أبيه . فتح الأندلس وبلاد الترك ، توفى سنة ٩٦ هـ، وله احدى وخمسون سنة .
مصادر ترجمته : المعارف : ٣٥٩ ، تاريخ ابن الأثير (٥/ ٨-١١) ،البداية والنهاية (٩/ ٧٠-٧١، ١٦١) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧-٣٤٨) ، رقم (١٢٠).

(٣) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي ،فاتح الأندلس ،كان شجاعا مقداما ، وهو من التابعين ،روى عن تميم الدارى وغيره ،وروى عنه يزيد ابن مسروق اليحصبي وغيره ، توفى بمر الظهران أو بوادى القرى على اختلاف فيه وذلك سنة ٩٧ أو ٩٩ رحمه الله .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٦-١٤٧) ، رقم ١٤٥٦ ، جذوة المقتبس (٣٣٨) رقم ٧٩٣ ،بغية الملتمس (٤٤٢) ، رقم ١٣٣٤ ، البداية والنهاية (٩/ ١٧٨-١٨١) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٦-٥٠٠) ، رقم (١٩٥).

وفتح المغرب الأقصى بعد أن وطد نفوذه بالمغرب الأدنى والأوسط ، وساعده على ذلك أسطوله القوى الذي بناه في عرض البحر ليحمي به ظهره من البيزنطيين ويتجنب ما وقع فيه عقبة من الخطأ واستطاع بذلك أن يقدم باطمئنان على فتح الأندلس .

فتح المسلمين للأندلس :-

ثم جاء فتح المسلمين للأندلس نتيجة تخطيط دقيق وضعه المسلمون ودراسة شاملة وتدبير محكم . فقبل العبور إلى الأندلس وفتحها نهائيا كان موسى بن نصير قد قام بعدة غارات استكشافية على الجنوب لجس النبض .

كان أول عمل قام به هو استدعاؤه لحاكم سبتة الكونت يوليان الذى كان يحرضه على غزو الأندلس وطمأنه بأنه سوف لا يجد مقاومة ذات بال لضعف ملكهم . وكانت بين يوليان هذا وحاكم الأندلس أمور جعلت يوليان يحنق عليه فكان وجود المسلمين فرصة للاطاحة به وشفاء غليله منه.(١)

ولكن موسى بن نصير قبل أن يفعل ما أمره به يوليان استدعى أحد قواده وهو أبو زرعة طريف بن مالك(٢) ، وأمره بشن غارة على ساحل الأندلس الجنوبى ، فعبر طريف المضيق في مائة فارس وأربعمائة راجل وذلك في رمضان من سنة (٩١ هـ) فأغاروا على تلك المناطق وأصابوا سبيا ومالا كثيرا ورجعوا سالمين، عند ذلك تأكد

---

(١) انظر: عن هذه القصة وصف افريقيا (١/ ٣١٦) ، واسم الملك لذريق .

(٢) هو : أبو زرعة طريف بن مالك المعافرى ، مولى لموسى بن نصير . . وهو من البربر ، كان موسى بن نصير قد أرسله فى أربعمائة رجل معهم مائة فرس ، فنزل بجزيرة تعرف بالخضراء ، يقال لها اليوم " جزيرة طريف " انظر عن خبره : نفح الطيب (١/ ٢٥٣-٢٥٤) صفة جزيرة الأندلس : (١٢٧) ، " آثار الأندلس الباقية لعبد الله عنان (٢٧٨) .

لموسى بن نصير ضعف المقاومة كما أخبره يوليان فأعد جيشا كبيرا قوامه سبعة آلاف محارب لغزو الأندلس بقيادة قائده طارق ابن زياد [١]، ومضى طارق لسبتة [٢] وجاء في مراكبه إلى جبل طارق [٣] المعروف باسمه إلى الآن وذلك سنة ٩٢ ، وأراد العدو أن يمنعه من النزول فعدل عنه إلى موضع آخر وعبر فنزل فيه ، ولما كان الليل كر على العدو فانقض عليه فجأة وأباده عن آخره وغنم ما معه من خيرات. ثم أقام طارق عند جبل طارق عدة أيام ، وهناك روايات تقول بأن طارقا أحرق سفنه حتى لا يفكر جيشه في الرجوع والارتداد إلى الوراء ، وأعد قاعدة عسكرية بجوار الجبل لحماية ظهره من الانسحاب أو الهزيمة . وعلم ملك أسبانيا بنزول المسلمين فأرسل بجميع قواته ومعداته وأمواله لملاقاتهم .. ، أما طارق فكان قد زحف نحو الغرب ، وعلم من عيونه المنبثين بأنباء الحشود الضخمة التي حشدها ملك أسبانيا ، فانزعج لذلك وأرسل إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد ، فاستجاب موسى لندائه وأمده بخمسة آلاف جندي فصار مجموع الجيش حوالي اثنى عشر ألفا .

---

(١) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، له فتوحات عظيمة بالمغرب ، وهو الذى فتح جزيرة الأندلس ودوخها ، وإليه ينسب جبل طارق رحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره .
مصادر ترجمته : بغية الملتمس (١١ ، ٣١٥) رقم ٨٦٤٠ ، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٤١-٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٠-٥٠٢) ، رقم ١٩٦ ، نفح الطيب (١/ ٢٢٩- وما بعدها .

(٢) سبتة : مدينة عظيمة ، سماها الرومان سيفيطاس ، وسماها البرتغاليون سوبتة ، أسسها الرومان على أصح الروايات ، وهي الآن تحت حكم الأسبان .
انظر عنها : وصف افريقيا (١/ ٣١٦-٣١٨) .

(٣) جبل طارق : جبل فيه خرج طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس ، وهو عند الجزيرة الخضراء .
انظر عنه : صفة جزيرة الأندلس لمحمد بن عبد الله الحميرى (ص: ١٢١) ، الآثار الأندلسية الباقية (٢٨٤-٢٩١) .

ثم كانت المعركة الفاصلة التى وقعت أحداثها في كورة شذونة (جنوب غرب أسبانيا[(١)]) والتي دامت ثمانية عشر يوما ،كان النصر فيها حليف المسلمين بعد اقتتال شديد لم يكن فى المغرب أعظم منه .

ولقد فتح هذا النصر أبواب الأندلس للمسلمين ، حيث توجه طارق شمالا نحو العاصمة طليطلة[(٢)] ، وأرسل بقوات أخرى الى المناطق الجانبية ،قرطبة[(٣)] وألبيرة[(٤)] فاستولوا عليهما ودخل طارق طليطلة دون مقاومة إذ فر منها أهلها حتى

---

(١) شذونة : بفتح أوله وبعد الواو نون ، مدينة بالأندلس ينسب إليها كثير من العلماء ، وهي كورة جامعة لخيرات البر والبحر ، كريمة البقعة ، وهي التي كان فيها النصر على لذريق حين افتتحت الأندلس سنة ٩٦ .
انظر عنها : صفة جزيرة الأندلس (١٠٠- ١٠١) ، معجم البلدان : (٣ / ٣٢٩) .

(٢) طليطلة : بضم الطائين وفتح اللامين ، مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ،كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم ، ولا تزال في أيدى المسلمين منذ الفتح إلى أن سقطت في أيدى الأفرنج سنة ٤٧٧ هـ وإليها ينسب كثير من العلماء .
انظر عنها : صفة جزيرة الأندلس (١٣٠-١٣٥) ، معجم البلدان : (٤ / ٣٩-٤٠) ،الآثار الأندلسية الباقية (٨٠-٩٢) .

(٣) قرطبة : هي قاعدة الأندلس ، وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين ، وفضائل قرطبة ، ومناقب خلفائها ، أشهر من أن تذكر ، وإليها ينسب أعلام العلماء وسادة الفضلاء جاء في وصفها وحسنها : -
بأربع فاقت الأمصار قرطبة : : منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة : : والعلم أعظم شيء وهو رابعها
انظر عنها : صفة جزيرة الأندلس (١٥٣-١٥٨) ، معجم البلدان : (٣٢٤-٣٢٥) ، الآثار الأندلسية الباقية (١٨-٣٤) ، نفح الطيب: ٢ / ٩ .

(٤) اليبيرة : من كور الأندلس ، جليلة القدر ، أسسها عبد الرحمن بن معاوية وأسكنها مواليه ،كانت من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة ، بينهما ==

أصبحت شبه خالية ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة من الكنوز والذخائر ، وخشي طارق أن يفتتنوا بها فيباغتهم العدو وهم على تلك الحال من الافتتان ، فاستنجد بقائده موسى بن نصير ، فعبر موسى إلى الأندلس في جيش قوامه ثمانية آلاف مقاتل معظمهم من العرب ومن بينهم عدد من التابعين وذلك في رمضان سنة ٩٣هـ ، ولم يسلك موسى بن نصير نفس الطريق الذى سلكه طارق بل اتجه غربا ، حيث استولى على مدن لم يكن طارق استولى عليها ، ثم التقيا عند نهر تاجه (١) بالقرب من العاصمة طليطلة ، وتابعا السير إلى أقصى الشمال ، وأخذت المدن تتهاوى في أيديهما تباعا حتى بلغا شاطئ بحر الشمال عند حدود فرنسا الجنوبية .

وهكذا انتهى كل من موسى وطارق من فتوحاتهما ، وكانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد مضت برجوعهما إلى دمشق فرجع موسى ومعه طارق بعد أن خلفا على الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير وذلك أواخر سنة ٩٥هـ ، وقد قام عبد العزيز بفتح شرق الأندلس ، أما الركن الشمالي الغربي فقد تركه المسلمون ولم يفرضوا سلطانهم عليه لوعورة مسالكه وبرودة مناخه .

هذه المقدمة عن فتح المسلمين للمغرب الإسلامي لخصتها من عدة مراجع ككتب التراجم التى كلما ذكرت علما من أعلام الفتح ذكرت صلته به . وكتب الجغرافية التى تعرف بالمدن ، كذلك كلما ذكرت مدينة ذكرت علاقتها بالفتح وهناك كتب التاريخ الخالصة التى أسهبت في ذكر وقائع الفتح . وقد أشرت إلى كل هذه المصادر أثناء الترجمة للأعلام أو التعريف بالمدن .

= = وبين غرناطة ستة أميال واليها ينسب كثير من العلماء .
انظر عنها : صفة جزيرة الأندلس (٢٩-٣٠) ، معجم البلدان : (١/ ٢٤٤-٢٤٥) .

(١) نهر تاجه : نهر عظيم يشق طليطلة ، وهو نهر موصوف من أنهار العالم .
انظر عنه : وصف جزيرة الأندلس (٦٢) .

الفصل الأول

آثر الفتح الاسلامى فى نشر الاسلام ببلاد المغـــــرب

المبحـــث الأول : جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين فى نشر الاسلام بالمغرب ٠

المبحـــث الثانى : بعثـــة عمـــر بـــن عبـــد العزيـــز

المبحث الأول : جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين في نشر الإسلام بالمغرب :-

يرجع استقرار المذهب السني بالمغرب إلى عهد الفاتحين الأول الذين كانوا يحملون معهم النور الرباني الذى اهتدوا به ، فكان أول عمل يقومون به هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ دين الله إلى الأمم وتفقيه الداخلين فيه وتعليمهم أمور هذا الدين ، بل لقد كان الغرض الأول والهدف الأسمي من الفتح هو نشر دين الله في الأمم وإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ، وهذا المعنى هو الذى عبر عنه ربعي بن عامر (١) - رضى الله عنه - حين سأله ملك الروم ما الذى جاء بكم ؟ فأجاب : " جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

لقد كانت هذه سيرتهم وكان هذا دأبهم في كل بلد حلوا به ، والغريب في الأمر أن قادة الفتح أنفسهم ، هم الذين كانوا يَتَوَلَّوْنَ توعية الناس وتعليمهم أمر دينهم ونشر الإسلام فيهم ، وإن كان هذا قليلا ، لأن هؤلاء القادة كانت تشغلهم عن القيام بأمر التعليم مهمات أخرى مثل تنظيم الجيوش وتنظيم البلاد التى حلوا بها والتفكير في فتوحات أخرى ، لذلك كان وراء هؤلاء القادة فئة أخرى هي أقدر على نشر الدعوة وتعليم الناس منها على الغزو والحرب ، وهذه الفئة هي التى اشتهرت بالعلم والصلاح وهي التى تولت مهمة القيام بنشر العلم والدعوة إلى هذا الدين .

---

(١) هو ربعي بن عامر بن خالد ، كان من أشراف العرب وكان ممن شارك في غزوة نهاوند وممن بني فسطاط أمير غزوة نهاوند النعمان بن بشر وولاه الأحنف بن قيس على طخارستان .

مصادر ترجمته : الاصابة (١/٥٠٣) رقم (٢٥٧٢٠).

لقد كان أول عمل قام به عقبة بن نافع[١] بعد فتحه القيروان[٢] هو بناء مسجدها العظيم وجعله مركزا لنشر الدعوة الإسلامية بين سكان المغرب ،كما جعل القيروان مركزا تنطلق منه الجيوش الإسلامية لفتوحات أخرى .

ومن هذا المسجد انطلقت الدعوة بين أهالي المغرب، وأقبل الناس عليه لتلقي العلوم الإسلامية والرجوع إلى أهليهم بعد ذلك لتلقيتهم إياها ، هذا بالإضافة إلى أولئك المعلمين العرب أو البربر[٣] الذين كانت ترسلهم الدولة الى الأقاليم المختلفة لتعليم الناس بعد أن يكونوا قد تكونوا في العاصمة.[٤]

وقد قام عقبة بتنظيم البلاد التى فتحها على أسس إسلامية ، ففرض على العرب وعلى غيرهم أحكام الإسلام ،وكان قصده من بناء القيروان ومسجدها أن تكون عاصمة للحكم الإسلامى ومركزا لنشر الدعوة ،وقال فى ذلك : " إنى أرى افريقية اذا دخلها إمام تحرموا بالإسلام ،فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله ،فهل لكم يامعشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد ".[٥]

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) القيروان : هى مدينة عظيمة فى تاريخ المغرب الاسلامى تقع فى تونس ، بنيت أيام معاوية بن أبى سفيان على يد عقبة بن نافع ، وكان من خبر بنائها أن عقبة حين فتح تونس وفشا في أهلها دين الإسلام جمع أصحابه وقال لهم : " ان أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم ،إذا عضهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ،وقد رأيت أن أبني هاهنا مدينة تكون لكم عز الأبد ،فبنى القيروان .
والقيروان : معرب وهو بالفارسية كاروان ،وينسب إلى هذه المدينة كثير من العلماء .
انظر عنها : معجم البلدان (٤/ ٤٢٠-٤٢١).

(٣) سبق التعريف بهم (ص : ٢٣)

(٤) الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى (ص: ٩٤).

(٥) الاستبصار فى عجائب الأمصار (ص: ١١٣) الاسكندرية : ١٩٥٨م.

وبعد مقتل عقبة بن نافع ارتد كثير من البربر في أنحاء المغرب عن الإسلام الأمر الذى أقنع حسان بن النعمان بأن يركز جهوده الدعوية بإفريقية (تونس) لأنه خشي أنه إذا تجاوزها إلى الأنحاء الأخرى النائية أن يحدث له ما حدث لعقبة .

ولما جاء دور موسى بن نصير (١) - رضي الله عنه - ركز هو الآخر على جانب التعليم ، حيث سخر سبعة وعشرين رجلا من العرب ممن ساهموا معه في الفتح لتعليم الناس أمور الدين والدنيا (٢) .

وكان لموسى بن نصير دور بارز - بفضل الله - فى استقرار كلمة الإسلام فى البربر ، حيث كان قدومه إلى المغرب مرحلة مهمة من مراحل نشر الإسلام به .
يقول عنه ابن أبي زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ) (٣) : " إن البربر ارتدوا اثنى عشرة مرة وإنهم لم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى بن نصير " (٤) .

وقد ساهمت حنكته السياسية التى اشتهر بها فى الإقبال الكبير على الإسلام من جانب البربر ، إذ كان إشراكه لهم في الحكم سببا في هذا الإقبال ومحاولة منهم

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/١٢٦) .

(٣) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النفزى ، ولد بالقيروان وأخذ بها عن عدد من العلماء منهم ابن اللباد وأبو الحسن الخولانى ، وأبو العرب وغيرهم ، وذاع صيته حتى لقب بمالك الصغير ، توفى بالقيروان سنة ٣٨٦هـ ، وكانت ولادته سنة ٣١٠هـ .
مصادر ترجمته : فهرست ابن خير (ص ٤٤) ، الديباج المذهب (١/٤٢٧ - ٤٣٠) رقم : ١١ ، معالم الايمان (٣/١٣٥-١٥١) ، النجوم الزاهرة : (٤/٢٠٠) ، شجرة النور الزكية (ص ٩٦) ، وانظر مقدمة الجامع : التى كتبها أبو الأجفان ، ومقدمة الرسالة الفقهية له - أيضا - .

(٤) انظر: الاستقصاء (١/٦٠) .

لفهم هذا الدين الجديد بعد أن كانوا قد ارتدوا عنه مرات عديدة ، وقد أخذ موسى بن نصير على عاتقه مهمة تفقيه البربر فى أمور دينهم ، فأنشأ لهم المساجد وهيأ لهم المعلمين ، فكان قدوم موسى بن نصير إلى المغرب مرحلة جديدة من مراحل انتشار الإسلام فى المغرب الإسلامى .

المبحث الثاني : بعثة عمر بن عبد العزيز (١) :-

وقد دعت هذا الاتجاه بعثة عمر بن عبد العزيز إلى المغرب ، التي تعتبر البدء الفعلي في تعلم علوم الدين بالمغرب والتي كانت تتكون من عشرة فقهاء ، وقيل تسعة ليفقهوا أهلها ويعلموهم الحلال والحرام ، وهؤلاء الفقهاء هم :

موهب بن حي المعافرى (٢) الذى سكن القيروان وبث فيها علما كثيرا (٣) ،

---

(١) هو : أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز من أولاد عمر بن الخطاب بوساطة أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولي أمر المسلمين بعد وفاة الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٩ هـ ، فكانت ولايته خيرا للمسلمين ، وقد ملأ الأرض عدلا وتحققت فيه نبوءة عمر بن الخطاب حين قال : "إن من ولدى رجلا بوجهه أثر ، يملأ الأرض عدلا " فكان هو - رحمه الله - وقد استمرت ولايته سنتين وخمسة أشهر توفي رحمه الله مسموما يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ١٠١هـ.
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣٠-٤٠٨) ، حلية الأولياء : (٥/ ٢٥٣-٣٥٣) ، رقم (٣٢٣٠) ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١٤٨) ، رقم (٤٨) .

(٢) هو موهب بن حي المعافرى ، تابعي ، صحب ابن عباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة ، سكن القيروان وبها توفي ، لم تذكر المصادر سنة وفاته .
مصادر ترجمته : طبقات ابن العرب ص (٨٤) ، رياض النفوس (١/ ١١٠- ١١١) رقم (٣٤) ، معالم الايمان (١/ ٢١٣) رقم (٥٩) .
ووردت في المعالم (ابن حبى) بدل (ابن حي) ، وقال : وهو الصحيح ، وأما أبو زرعة فقال " الصحيح : حي بن موهب " .
انظر: المعالم (١/ ٢١٣) هامش رقم (٢) .

(٣) انظر: المعالم (١/ ٢١٣) .

وحبان بن أبي جبلة (ت ١٢٢ أو ١٢٥) [١] ، الذى سكن القيروان وانتفع به أهلها .

واسماعيل بن عبيد الله بن الأعور القرشي (ت ١٣١ أو ١٣٢) [٢] الذى استعمله عمر على أهل إفريقية [٣] ليحكم بينهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويفقههم فى الدين ، فسار فيهم بالحق والعدل وعلمهم السنن وكان حريصا على إسلام البربر ، وقد أسلم على يديه خلق كثير منهم. [٤]

---

(١) هو حبان بن أبي جبلة القرشي المصري ، تابعي ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص وولده عبد الله ، وروى عنه أبو شيبة عبد الرحمن بن يحيى الصدفي وغيره ، توفي سنة ١٢٢ أو ١٢٥ هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ١١١-١١٢) ، رقم (٣٥) ، معالم الايمان (١/ ٢٠٩) ، رقم (٥٦) ، الاصابة (١/ ٣٧٢) ، رقم (١٩٤٥) ، نفح الطيب (١/ ٢٧٨) ، (٣/ ٩) رقم (٦٠) .

(٢) هو أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأعور القرشي المخزومي ولاه عمر بن عبد العزيز افريقية عام (١٠٠ هـ) فكان لها خير وال وخير أمير ، كان من أهل الدين والزهد ، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد الله وغيرهما ، وروى عنه الأوزاعي وغيره ، توفي بالقيروان سنة ١٣٢ هـ .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (٨٤) ، رياض النفوس (١/ ١١٥-١١٧) رقم (٣٨) ، معالم الايمان (١/ ٢٠٣-٢٠٦) رقم (٥٤) .

(٣) افريقية : المقصود بها تونس الحالية .

(٤) انظر: مصادر ترجمته

وإسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار (ت ١٠٧هـ)(١) هو الآخر انتفع به أهل القيروان انتفاعا كبيرا ، وبث فيهم علما كثيرا.(٢)

ومنهم طلق بن حابان.(٣) وبكر بن سوادة الجذامي (ت ١٢٨ هـ)(٤) ،

---

(١) هو إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى الملقب بتاجر الله ، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم منهم عبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص - رضى الله عنهم - وروى عنه عدد كبير من أهل المغرب ومصر ، قيل هو الذى بني مسجد الزيتونة سنة ٧١هـ ، توفى غريقا أثناء خروجه غازيا سنة ١٠٧هـ ، سمي بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لصرفه في وجوه الخير.

مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (٨٤-٨٦) ، رياض النفوس (١/١٠٦-١٠٩) ، رقم (٣٢) ، معالم الايمان (١/١٩١-١٩٥) رقم (٤٨).

(٢) انظر مصادر ترجمته .

(٣) هو : طلق بن حابان ، ويقال : ابن جابان ، ويقال : ابن جعبان الفارسى ، كان فقيها عالما ، روى عنه موسى بن علي وعبد الرحمن بن أنعم .

مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (٨٦) ، رياض النفوس (١/١١٧-١١٨)، رقم (٣٩) ، معالم الايمان (١/٢١٥) ، رقم (٦١).

(٤) هو : أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي المصرى الفقيه ، تابعي ، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وعطاء بن يسار وغيرهم ، وعنه عمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم ، وثقه النسائى واستشهد به البخارى ، سكن القيروان وغزا ، توفي سنة ١٢٨هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/١١٢-١١٣) ، رقم (٣٦) ، معالم الايمان (١/٢١١-٢١٣) رقم (٥٨) ، طبقات ابن سعد (٧/٥١٤) ، بغية الملتمس (٢٣٢) رقم (٥٨٦).

وعبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت ١١٣هـ)[١] الذى استقضاه موسى بن نصير[٢] بالقيروان وهو أول من استقضي بها بعد الفتح ،وقد انتفع به أهلها أيما انتفاع ، وعبد الله ابن يزيد (ت ١٠٠هـ)[٣] الذى انتفع به أهل المغرب انتفاعا عظيما ،وقد بث فيهم علما كثيرا ، وكان الشيخ أبو الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ)[٤] اذا ترحم على

---

(١) هو أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي ،أحد العشرة التابعين ، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجماعة من الصحابة ،روى عنه عبد الرحمن بن أنعم وغيره ، توفي بالقيروان سنة ١١٣هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/١١٠) ، رقم (٣٣) ، معالم الايمان : (١٩٨/١-١٩٩) ، رقم (٥١) ، تهذيب التهذيب (١٦٨/٦) رقم (٣٤٥) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن الحبلي ، عبد الله بن يزيد المعافرى ، تابعي ،روى عن جماعة من الصحابة منهم : أبو أيوب الأنصارى وعبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن زيد الأنصارى وغيرهم . روى عنه يزيد بن عمرو وعامر ابن يحيى المعافرى وغيرهما ،شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، سكن القيروان وبها توفي سنة ١٠٠هـ.
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧ / ٥١١) ، رياض النفوس(١/٩٩ - ١٠١) ، رقم (٣٠) ،معالم الايمان (١/١٨٠-١٨٤) ، رقم (٤٣) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٨١-٨٢) رقم (١٦١) .

(٤) هو الامام أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافرى القروى القابسى المالكى ، سمع من أبي يزيد المروزى وجماعة ، كان عارفا بالعلل والرجال ، له مؤلفات كثيرة منها (الملخص فيما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس ، وكتاب الممهد فى الفقه وكتاب أحكام الديانات ، وكتاب المنقذ من شبه التأويل وغيرها .
مصادر ترجمته : معالم الايمان (٣/١٣٤ ، ١٤٣) ،رقم ٢٦٤ ،ترتيب المدارك (٤/٦١٦ ، ٦٢١) ،وفيات الأعيان (٣/٣٢٠-٣٢٢) رقم: ٤٤٦ ،سير أعلام النبلاء (١٧/١٥٨-١٦٢) رقم (٩٩) .

والديه يقول : " رحمك الله يا أبا عبد الرحمن " لما كان له من جهد كبير وأثر عميق في نشر الإسلام والعلم بتلك المنطقة ، ومنهم سعيد بن مسعود التجيبي .(١)

وكان السبب - كما ذكر - في إرسال عمر بن عبد العزيز هذه البعثة مالاحظه من أن شيوع الإسلام بالمغرب لم يكن إلا أمرا سطحيا لا يقيها كيد الكائدين ولا يحقق فيها مايشد أزر الدين .

وقد كان لهذه البعثة أثر كبير فى نشر السنة وتفقيه أهل المغرب أمر الدين حيث " اختط كل واحد منهم دارا لسكناه وبنى مسجدا بحذائها لعبادته ومجالسه واتخذ بقربه كتابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية لصغار أطفال البلد وأشاعوا الرشد وعلموا الحلال والحرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمواساة فكان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة الكريمة ".(٢)

وكان قدوم هؤلاء الفقهاء إلى المغرب وانتشارهم فى ربوعه يفقهون الناس في أمور دينهم مرحلة هامة من مراحل انتشار الإسلام في المغرب .

ويلاحظ أن هؤلاء الفقهاء كانوا من قبائل مختلفة من العرب وبعضهم من العجم ، يجمع بينهم معتقد واحد ومعرفة معمقة فى الدين .

---

(١) هو : أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي الكندى ، مصرى ، صحب جماعة من الصحابة ، وروى عنهم منهم أبو الدرداء وغيره ، وروى عنه جماعة منهم : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، ويزيد بن أبي حبيب وغيرهما ، شهر بالدين والعقل وقلة الهيبة للملوك ، سكن القيروان وبها توفى .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (٢١) ، أسد الغابة (٢/ ٣٧٣) ، رقم (٢٠٤٤) ، رياض النفوس (١/ ١٠٢-١٠٦) ، رقم (٣١) ، معالم الايمان (١/ ١٨٤-١٨٧) ، رقم (٤٤) .

(٢) محمد الفاضل بن عاشور ، أعلام الفكر الاسلامى (ص : ١٠) .

والدليل على أن هذه البعثة كان لها أثر عميق في نشر الإسلام بالمغرب ما أشار إليه هويدي في كتابه (تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية)(١) من أن الأجيال التي جاءت بعدهم إلى يومنا هذا " تعدهم أصحاب الفضل الأكبر في نشر الثقافة الإسلامية في القارة الإفريقية كلها " .

وإلى جانب نشاطهم الدعوي والعلمي فقد كان لهم نشاط آخر سياسي ، حيث كانوا مع حنظلة بن صفوان(٢) والي القيروان ، والتفوا حوله لما ثار عليه ميسرة المدغرى الصفري(٣) بطنجة(٤) وكتبوا له رسالة هامة بعث بها إلى أهل طنجة ، وهي توضح قواعد الدين وطريق النجاة في الدنيا والآخرة ، وهذه الرسالة هي :-

" بسم الله الرحمن الرحيم :

من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة ، أما بعد :-

فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : إنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات :

---

(١) انظر ص : ١٤٥ .

(٢) هو حنظله بن صفوان كان واليا على مصر عند ما كانت الجيوش الاموية تتلقى الهزائم المتتالية أمام البربر أيام عبيد الله بن الحبحاب وكلثوم بن عياض فأمر الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بالإسراع إلى المغرب لإنقاذ الموقف فوصل إلى القيروان سنه ١٢٤ واستطاع أن يحرز نصرا على جيوش البربر سنه ١٢٥ واستمر في ولاية إفريقيه مدة سنتين استتب فيهما الأمر وهدأت الأحوال إلى أن اخرجه منها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيده بن عقبة بن نافع الفهرى سنه ١٢٧ . انظر عنه فجر الأندلس للدكتور/ حسين مؤنس ،(١٧٦-١٨٠) أعمال الاعلام (القسم الثالث - ص ٦ ، هامش ٢) .

(٣) سيأتي الحديث عن ثورات الخوارج بأسهاب في الفصل الذى عقدته لمقاومه الفكر الخارجي من قبل علماء المغرب .

(٤) طنجه : بالفتح ثم السكون مدينه تقع في المغرب الأقصى على ساحل مقابل الجزيرة الخضراء وينسب إليها عدد كبير من العلماء . انظر عنها : معجم البلدان (٤/ ٣٤) ، وصف افريقيا (١/ ٣١٣-٣١٥)

آمرة وزاجرة ومبشرة ومنذرة ومخبرة ومحكمة ومشتبهة وحلال وحرام وأمثال : فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر ، ومبشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين ومحكمة يعمل بها ومتشابهة يؤمن بها ، وحلال أمر أن يؤتى وحرام أمر أن يجتنب ، وأمثال واعظة :

فمن يتطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله مع طاعة واضحة ونية صالحة ، فقد فلح وأنجح ، وحَيِيَ حياة الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

والتفافهم هذا إلى جانب حنظلة بن صفوان يعكس معرفتهم التامة بما يمثله الفكر الخارجي من خطر ، وخروج عن الجماعة .

وكان من الآثار الكثيرة لهذه البعثة أن الخمرة كانت منتشرة كأنها حلال عند أهل افريقية حتى بعث عمر بن عبدالعزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا أنها حرمت (٢) .

ولم يقتصر جهد هذه البعثة على تبيين الحلال والحرام ، بل اهتموا بما هو أجل من ذلك اهتموا بتطهير المعتقدات وإزالة ماعلق بها من أدران الدعوة الخارجية .

ولم يقتصر نشر الإسلام على بعثة عمر بن عبد العزيز ، بل كان لغيرهم من التابعين فضلهم أيضا في تعليم أهل المغرب أمر دينهم ، ونشر علوم الكتاب والسنة فيهم ودعوتهم إلى الإسلام .

---

(١) انظر : رياض النفوس للمالكي (١/ ١٠٣) .

(٢) طبقات أبي العرب ص : ٩٧ .

فهذا أبو عبد الله على بن رباح بن نصير اللخمي (ت ١١٤هـ)(١) الذى قدم المغرب غازيا مجاهدا وسكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا وانتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان.(٢)

وكذلك عبد الله بن أبي بردة القرشي(٣) انتفع به أهل المغرب انتفاعا كبيرا.

إلى جانب هؤلاء المعلمين الذين جاؤوا من المشرق ، فإن أهل المغرب مالبثوا ، وبأعداد كبيرة أن رحلوا إلى المشرق للحج ولقاء من وجدوا من التابعين والأئمة الفقهاء والأخذ عنهم بالمدينة والشام ومصر ، فأخذوا عنهم أصول الدين والفقه والحديث ، وعادوا إلى بلادهم واستقروا فيها يعلمون الناس ويجتهدون في حل مايعرض لهم من مشاكل.(٤)

---

(١) هو : أبو عبد الله على بن رباح بن نصير اللخمي ، كان فاضلا جليلا ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عمرو بن العاص وولده عبد الله وأبو هريرة وعائشة رضى الله عنهم ، قدم إفريقية مجاهدا في سبيل الله وبها توفى سنة ١١٤هـ ، وقيل : ١١٧هـ.

مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (١٨) ، رياض النفوس (١/١١٩-١٢٠) رقم (٤٠) ، معالم الايمان (١/١٩٩-٢٠١) ، رقم (٥٢) ، تهذيب التهذيب (٧/٣١٩-٣٢٠) ، رقم (٥٤٠) ، حسن المحاضرة : (١/٢٩٧).

(٢) انظر: مصادر ترجمته .

(٣) هو: أبو المغيرة عبد الله بن أبي بردة القرشي ، من فضلاء التابعين ، روى عن سفيان بن وهب الخولاني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه يحيى بن سعيد الأنصارى وابن لهيعة وخالد بن ميمون ، وابن أنعم ، سكن القيروان وبها توفى ، ولم أجد ذكرا لسنة وفاته .

مصادر ترجمته : طبقات أبى العرب (٢٢) ، رياض النفوس (١/ ١٢٦-١٢٧) رقم (٤٥) ، معالم الايمان (١/٢١٠-٢١١) ، رقم (٥٧).

(٤) حسين مؤنس ، مقدمة رياض النفوس (ص: ١١-١٢) ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي (٩٧).

وكانت قد تكونت حول التابعين الذين استقروا بالمغرب الإسلامي ،نتيجة الفتح ،أو الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ، تكونت حول هؤلاء التابعين جماعات مؤمنة متمسكة بالكتاب والسنة ،نافرة من أصحاب الرأى لأن نفوسهم تربت على الخوف من الرأى والابتداع وعلى النفور مما لقيهم في طريقهم من آراء الاعتزال والتخريج والتأويل والكلام ،واستقر فى نفوسهم أن الدين انما هو القرآن والسنة ولا شيء بعد ذلك(١) .

---

(١) حسين مؤنس ، مقدمة رياض النفوس (١١-١٢) .

الفصل الثانى

ظهور الامام مالك وأثره فى تأصيل الاتجاة السنى بالمغرب

المبحـــــث الأول : الامام مالك والتزامـه بالسنـة

المبحـــــث الثانى : الامام مالك وأراؤه العقديـــه

المبحـــــث الثالث : تأثير الامام مالك فى علماء المغرب فى الجانب العقـــــدى

ظهور الامام مالك[1] - رحمه الله - وأثره فى تأصيل الاتجاه السني في المغرب

لقد جاء اختيارى لشخصية الإمام مالك فى هذا البحث لسببين اثنين :

السبب الأول : لأنه واحد من أئمة السلف وعلم من أعلامهم المنصوبة، الذين أثر عنهم حديث كثير فى الجانب العقدى ، والدليل على ذلك أقواله المبثوثة فى كتب العقائد والتراجم كما يأتي النقل عنها فى ثنايا البحث .

السبب الثاني : صلته القوية بالمغرب عن طريق كتبه وتلاميذه الذين نشروا مذهبه بالمغرب حتى أصبح هو المذهب السائد بعد مذهب الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)[2] الذى كان ينتشر فى الأندلس[3]، ومذهب أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ)[4] الذى كان

---

(١) هو الامام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، ولد بالمدينة واختلف فى السنة التى ولد فيها وهى بين (سنة ٩٠ و ٩٧)، وهو إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب الأربعة المتبوعة ، توفى سنة ١٧٩هـ بالمدينة .

مصادر ترجمته : الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء (٩-٦٣) ، ترتيب المدارك (١/١٠٢-٢٥٤) ، حلية الأولياء (٦/٣١٦-٣٥٥) رقم ٣٨٦ ، صفة الصفوة (٢/١٧٧-١٨٠) رقم ١٨٩ ، سير أعلام النبلاء (٨/٤٨-١٣٥) رقم (١٠) تهذيب التهذيب (١٠/٥-٩) .

(٢) هو : أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، سمع من عطاء بن أبي رباح وقتادة والزهرى وغيرهم من أوائل من صنف كتبا مبوبة فى السند ، توفى ببيروت سنة ١٥٧هـ وكانت ولادته سنة ٨٨هـ.

مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (٤٩٦-٤٩٧) ، حلية الأولياء (٦/١٣٥-١٤٩) ، رقم ٣٥٤ ، سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧-١٣٤) ، رقم (٤٨) .

(٣) انظر : نفح الطيب بن غصن الأندلس الرطيب للمقرى التلمساني (٣/٢٣٠) .

(٤) هو : الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التميمى ، ولد سنة ٨٠ هـ، بالكوفة فى حياة صغار الصحابة ، رأى أنس بن مالك ، وروى عن عطاء بن أبى رباح وطاوس والشعبى ، وغيرهم وأخذ عنه خلق لا يحصى عددهم ، وهو ==

موجودا بنواحي المغرب ، جاء في ترتيب المدارك(١) : " وأما افريقية (أي تونس) وماوراءها (أي الجزائر والمغرب والأندلس) فقدكان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد (ت ١٨٣هـ)(٢) وغيره بمذهب مالك " وبقي هذا المذهب يفشو وينتشر إلى أن جاء الإمام سحنون(٣) (ت ٢٤٠هـ) "فغلب في أيامه ، وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا(٤)".

وكما انتشر مذهبه الفقهي بالمغرب ، انتشر أيضا مذهبه في العقيدة الذي كان يقوم على أساس الكتاب والسنة ، وكما تأثر علماء المغرب بمذهبه الفقهي تأثروا - أيضا - بمذهبه في العقائد ، ولم يكتفوا بنشر آرائه في الفروع ، بل نشروا

== أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة ، توفي سنة ١٥٠هـ.
مصادر ترجمته : تاريخ البخاري (٨/ ٨١) ، رقم ٢٢٥٣ ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٩-٤٥٠) رقم ٢٠٦٢ ، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣-٤٢٣) رقم ٧٢٩٨ ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠-٤٠٣) رقم ١٦٣ ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٩-٤٥٢) رقم ٨١٧.

(١) ترتيب المدارك (١/ ٢٥).

(٢) هو : أبو الحسن علي بن زياد التونسي ، كان تلميذا لمالك ، وألف عدة كتب حول آراء مالك ، توفي حوالي سنة ١٨٤هـ.
مصادر ترجمته : طبقات الفقهاء للشيرازي ص(١٢٩) ، الديباج المذهب : (٢/ ٩٢-٩٣) رقم (١).

(٣) انظر ترجمته ص : ١٦٦

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٥٤) ، ويقول المقريزي في الخطط (٣/ ٢٦١) ، " ثم لما ولي سحنون بن سعيد القضاء نشر فيهم مذهب مالك .
ثم ان المعز بن باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ماعداه من المذاهب ، فرجع أهل افريقية وأهل الأندلس كلهم الى مذهب مالك إلى اليوم ".

أيضا آراءه العقدية ، وقد عقدت مبحثا لتأثير الامام مالك في المغرب في الجوانب العقدية.(١)

وقد كان تلاميذه وأتباعه من بعدهم هم حملة لواء السنة في المغرب.

نعم ، قد يأتي ذكر لبعض العلماء من غير المالكية في هذا البحث لكن ذلك على الندور ، أما الغالب والأكثر فهم المالكية .

---

(١) انظر ص (١٥٨) .

المبحث الأول : الامام مالك وتأثر علماء المغرب به في العقائد :

في النصف الأول من القرن الثاني كان أمر مالك بن أنس [١] قد بدأ يعلو وأخذ مذهبه في الفقه يتحدد بما امتاز به من التزامه بالقرآن والسنة والابتعاد عن التأويل ، والاقتصاد في القياس ما أمكن ، فأقبل عليه طلبة المغرب ووجدوا فيه طلبتهم وضالتهم التي كانوا ينشدونها ، فهو يدرس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إذا - في عرفهم - أقرب إلى روح الإسلام ممن يدرس في الكوفة أو البصرة أو دمشق وهو يلتزم الكتاب والسنة ولا يفتي إلا بحذر شديد وبحث طويل ، وهو عالم بدقائق الكتاب ، حافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عارف صحيحه من سقيمه [٢].

لذلك كله افتتن به أهل المغرب واقتدوا به في كل شيء حتى في أحواله الخاصة بمعاشه ولباسه وهندامه وجلوسه للإسماع كما جاء في ترجمة يحيى بن يحيى الليثي عند ابن بشكوال انه كان قد اخذ على نفسه وهيئته هيئة مالك وكل ذلك أصبح عندهم المثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذ به المسلم الصحيح ، وأقبلت جماعات من طلبة المغرب يأخذون عنه ، ويدونون كل ما يسمعونه منه ويعودون به إلى بلادهم ليعلموه أهلها . ويخف إلى المشرق من استطاع من أولئك الطلبة ليلقى مالكا ، وليأخذ عنه مباشرة فيرتفع شأنه بين قومه إلى طبقة الآخذين عن مالك [٣].

وأحس مالك بهذا الإعجاب وهذا التقدير فأقبل عليهم - هو الآخر - وأوسع لهم في مجالسه [٤] واهتم بتلقينهم فقهه وجعل يتتبع أخبارهم ومسالكهم في الحياة ،

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) مقدمة حسين مؤنس على رياض النفوس (ص : ١٢) .

(٣) مقدمة حسين مؤنس (ص: ١٢) .

(٤) من ذلك ما ورد في ترجمة ابن فروخ - رحمه الله - أنه لما قدم المدينة في طريقه إلى الحج دخل على مالك في مجلسه بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام اليه وكان لايكاد يفعل ذلك بكثير من الناس ، وكان لمالك موضع في مجلسه يقعد فيه وإلى جانبه المخزومي ==

وجعلوا يتصلون به بكتابات منتظمة كانوا يعنون بكتابتها ويعنى هو بالرد عليهـا .

وإذا علمنا أن تلاميذ مالك من أهل المغرب هم الذين كانوا يتولون الفتيا ونصح الامراء في المغرب وأن أحكامهم كانت تجرى على الكبير والصغير لاستطعنـا أن نقول - وبدون مبالغة - ان مالكا كان يحكم المغرب في هذه المرحلة عن طريق موطئه وتلاميذه .

== (المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي من كبار أصحاب مالك ، توفي سـنة ١٨٨هـ ، معروف له ذلك لا يستدعي مالك أحدا للقعود فيه فأقعده فيه وسأله عن أموره وأحواله وقال له : " متى كان قدومك يا أبا محمـد ؟ فأعلمه ابن فروخ أن قدومه كان في الوقت الذى وفد فيه إليه فقال لـه : " صدقت لو كان قدومك تقدم إذاً لعلمت بك ولو علمت لأتيتـك وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال : " أجب يا أبا محمد " فيجيب عبد الله ثم يقول مالك للسائل " هو كما قال " ثم التفت مالك إلى أصحابه وقال : " هذا فقيه أهل المغرب " .

انظر: رياض النفوس (١/ ١٧٩) .

وهكذا كان يفعـل أيضا بابن غانم إذا دخل عليه وقت إسماعه ، فإنـه يجلسه إلى جانبه ويقول لأصحابه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : " اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه " وهذا كريم في بلده .

وقيل : إنه عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده بالمدينة فامتنع ابن غانـم وقال : " إذا أخرجتها معي إلى القيروان تزوجتها " .

انظر: الرياض (١/ ٢١٧) ، وانظر الحديث في المقاصد الحسنة (٣٢) ، الفتح الكبير (١/ ٦٥) .

وأخرجه ابن ماجه في السنن في كتاب الأدب (باب اذا أتاكم كريم قـوم فأكرموه) رقم ٣٧١٢ (السنن : ٢/ ١٢٢٣) .

وقال صاحب مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : في اسناده محمد بن مسـلمة وهو ضعيف .

وانظر : ترجمته في الميزان (٢/ ١٥٨) ، وكذا في تهذيب التهذيـب : (٤/ ٨٣-٨٤) .

ولم ينتقل مالك - رحمه الله - إلى الرفيق الأعلى سنة ١٧٩هـ حتى كانت مدرسته بالمغرب أقوى مدارسه في نواحي الدولة الإسلامية كلها وأشدها استمساكا بآرائه واعتصاما بها .

ومما زاد في استمساك أهل المغرب بالنصوص الشرعية من قرآن وسنة والاعراض عن التخريج والتأويل واعمال الرأى ، التمرد السياسي وظهور الفرق وثورات الخوارج والشيعة (١) .

---

(١) مقدمة طبقات أبي العرب (ص ١٣-١٤) .

المبحث الثاني : الامام مالك وآراؤه العقدية :-

قلت - قبل قليل - إن علماء المغرب تأثروا بالإمام مالك فى العقائد كما تأثروا به فى الفقه ، وقبل أن أشرع فى بيان ذلك لا يسعنى إلا أن ألقي الضوء على موقف الإمام مالك فى مسائل العقيدة ، وهل خاض فيها كما خاض غيره أم لا ؟ وهل كانت له مؤلفات في هذه الناحية يمكننا أن نستشف منها آراءه العقدية ونكون منها فكرة واضحة حول هذه الجانب فى فكر الإمام مالك كما كونا فكرة واضحة عن منهجه فى الناحية الفقهية والحديثية أم لا ؟ .

المعروف عن السلف - رضى الله عنهم - أنه لم يكن من منهجهم الخوض فى مسائل العقيدة ولا محاولة إثارتها إلا إذا ألجأتهم الضرورة إلى ذلك فيجيبون بقدر الحاجة دون محاولة التوسع فى ذلك حتى لا يفتح باب يصعب بعد ذلك سده.(١)

وإنما كان منهجهم هو بيان السنة وتوضيحها للناس وتعليمهم إياها دون جدال حولها ، سئل الامام مالك عن الرجل يكون عالما بالسنة هل يجادل عنها قال : لا ، ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت منه والا سكت.(٢)

هكذا كان سلوكهم مدة حياتهم ، والإمام مالك - رحمه الله - كان من أشدهم حرصا على هذا الجانب لذلك وقف حياته لتحصيل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبثه فى الناس فكان محدثا وفقيها ، بل من أعظم الفقهاء والمحدثين ، يقول الإمام الشافعى (ت ٢٠٤ هـ)(٣) "اذا ذكر

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

(٢) جامع بيان العلم (٢/ ٩٤).

(٣) هو: الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبى الذى ينسب اليه المذهب الشافعي في الفقه ، أحد الأئمة الأربعة ، توفى سنة ٢٠٤هـ من مؤلفاته : الرسالة فى أصول الفقه ، والمسند .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (١/ ٤٢) رقم (٧٣) ، حلية الأولياء: ==

العلماء كمالك النجم"[(١)] وقد حمل كثير من العلماء قوله عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل طلبا للعلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة"[(٢)].

قلت: لقد حمل كثير من العلماء هذا الحديث على أن المقصود به الإمام مالك، لانه لم يكن في عصره بالمدينة مثله والله أعلم، وهو قول منقول عن سفيان ابن عيينة[(٣)] (ت ١٩٨ هـ) وابن جريج[(٤)] (ت ١٥٠ هـ)، ...

== (٩/ ٦٣-١٦١) رقم: ٤١٥، الانتقاء (٦٥-١٢١)، مناقب الشافعي للبيهقي، مناقب الشافعي للرازي، طبقات الشافعية، الجزء الأول، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥-٩٩) رقم: ١ - فؤاد سزكين (١/ ٣/ ١٨٠).

(١) انظر هذا القول في الحلية (٦/ ٣١٨)، السير (٨/ ٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) والترمذي في كتاب العلم (باب ما جاء في عالم المدينة) (٥/ ٤٧) رقم: ٢٦٨٠، وقال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٠-٩١) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في كتاب الصلاة، السنن (١/ ٣٨٦)، وابن حبان (٢٣٠٨) كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة ورجاله ثقات، إلا أن ابن جريج وأبا الزبير مدلسان، وأعله الإمام أحمد بالوقف.

(٣) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبيعي وزياد بن علاقة وغيرهم وعنه الأعمش وابن جريج وشعبة وغيرهم، هو أحد أعلام الحديث، انتهى إليه علو الاسناد ورحل إليه من البلاد، توفي سنة ١٩٨ هـ وكانت ولادته سنة ١٠٧ هـ.

مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٤/ ٩٤-٩٥) رقم: ٢٠٨٢، الجرح والتعديل (١/ ٣٢-٥٤)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٩١-٣٩٣) رقم: ٢٦٧، السير (٨/ ٤٥٤-٤٧٥)، رقم: ١٢٠، تهذيب التهذيب (٤/ ١١٧-١٢٢) رقم: ٢٠٥.

(٤) هو: أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، القرشي الأموي، المكي شيخ الحرم، صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة، وكان ذا عبادة وزهد، توفي سنة ١٥٠ هـ.

==

وعبد الرزاق (ت ٢١١هـ) [1] وغيرهم [2].

فقد كان المحدث الفاحص للرجال الناقد المختص لما يتلقى ، وكان في الفقه الامام الذى يرجع اليه ويهتدى بهديه وتوزن الآراء على رأيه. [3] ولم يكن معنيا بمدارسة الذين يبثون علما غير المعتمد على علم السلف ، ولم يعرف بمدارسة أهل الأهواء ولا مذاكرة احد من أهل الفرق المختلفة. [4]

وقد كان كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كان سنة : : وشر الأمور المحدثات البدائع [5]

وكان يدعو إلى العودة الى المصادر الأساسية لهذا الدين . الكتاب والسنة لأنهما العاصم الذى يعصم من الزلل والانحراف حيث يقول : " الحكم على وجهين فالذى يحكم بالقرآن والسنة الماضية فذلك الصواب والذى يجهد نفسه فيما لم يأت

== مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٥/٤٢٢-٤٢٣) رقم: ١٣٧٣ الجرح والتعديل (٥/٣٥٦-٣٥٨) رقم: ١٦٨٧ السير (٦/٣٢٥-٣٣٦) رقم: ١٣٨. تهذيب التهذيب (٦/٤٠٢-٤٠٦) رقم: ٨٥٥.

(١) هو الامام عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ، مولى حمير من أهل صنعاء، صاحب المصنف المشهور روى عن الأئمة الأعلام توفى سنة ٢١١

مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٦/١٣٠) وطبقات ابن سعد (٥/٥٤٨) السير (٩/٥٦٣-٥٨٠) رقم: ٢٢٠ تهذيب التهذيب (٦/٣١٠-٣١٥)، رقم: ٦٠٨.

(٢) انظر ترتيب المدارك (١/٨٢/٨٦). انظر سنن الترمذى (٥/٤٧-٤٨)

(٣) الأمام مالك لأبى زهرة ص ١٥١.

(٤) نفس المصدر ص ١٥١.

(٥) لم أجد نسبته .

فيه شيء فلعله (يعني يوفق) وثالث متكلف لما لايعلم فما أشبه ألا يوفق "[١] ويقول أيضا : " دعو السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي "[٢] .

وكان يروى قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله - ويحفظه ويذكره في كثير من المناسبات وهو قوله : " سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده شيئا الأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله وليس لأحد بعد تبديلها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهدي ومن استنصر بها فهو منصور ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا » كان مالك إذا حدث بهذا الكلام المأثور ارتج سرورا منه وتصديقا له[٣] .

موقف الأمام مالك من علم الكلام[٤] : أما موقفه من علم الكلام والخوض فيه : فقد كان يقف موقفا متشددا منه وممن يتعاطاه يتبين لنا ذلك مما نقل عنه ، فقد نقل الأمام ابن عبد البر (ت ٤٦٢هـ)[٥]

---

(١) جذوة المقتبس (٢٧٨) .

(٢) جذوه المقتبس (١٧٢) .

(٣) انظر هذا القول في الجامع لأبن أبي يزيد (ص ١١٧) .

(٤) اختلف العلماء في تعريف علم الكلام ، فعرفه الإيجي في شرح المواقف (١/ ٢٣-٢٤) والتفتازاني في شرح المقاصد (١/ ٥) بأنه العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بابراز الحجج ورفع الشبه .
ويعرفه الغزالي في المنقذ من الضلال (١٨) بأنه علم مقصود هحفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة" .
وعرفه ابن خلدون في المقدمه (٤٢٣) بقوله : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الأيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة " .

(٥) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات و الفقه وعلوم الحديث والرجال قديم السماع كثير الشيوخ . على أنه لم يخرج من الأندلس ، وله مؤلفات نافعة وكان يميل في

==

في كتابه مختصر جامع بيان العلم وفضله" (١) عن مصعب بن عبد الله الزبيري (ت٢٣٦هـ) (٢) قال : "كان مالك بن أنس يقول الكلام في دين الله أكرهه ولم يزل أهل بلدنا (٣) يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم (٤) ....

== الفقه إلى مذهب الشافعي ، من مؤلفاته : التمهيد والاستيعاب والاستذكار وغيرها توفي سنة ٤٦٠ أو ٤٦٣ وكان مولده سنة ٣٦٢

مصادر ترجمته : جذوة المقتبس (٣٦٧-٣٦٩) رقم : ٨٧٤ ، ترتيب المدارك (٤ / ٨٠٨-٨١٠) الصلة (٢ / ٦٧٧-٦٧٩) رقم : ١٥٠١ السير (١٨ / ١٥٣-١٦٣) رقم : ٨٥ ، وغيرها كثير .

(١) (٢ / ٩٥) .

(٢) هو أبو عبد الله مصعب بن ثابت بن الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي الزبيري المدني ، حدث عن أبيه وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن المنكدر وغيرهم ، وعنه عبد العزيز الدراوردي وحاتم بن إسماعيل ومحمد بن عمر الواقدي وغيرهم . كان من أعبد الناس حتى قيل عنه : إنه يبس من العبادة قال عنه النسائي وغيره ليس بالقوي . توفي سنة ١٥٧ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

مصادر ترجمته : الجرح والتعديل (٨ / ٣٠٤) رقم : ١٤٠٧ ميزان الاعتدال (٤ / ١١٨-١١٩) رقم : ٨٥٥٨ سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٩-٣٠) رقم : ١٣ تهذيب التهذيب (١٠ / ١٥٨-١٥٩) . رقم : ٣٠٢ .

(٣) قول الإمام مالك أهل بلدنا ، وأهل العلم عندنا ، المقصود بهم ربيعة الرأي وابن هرمز انظر التمهيد (٣ / ٤) .

(٤) هو أبو محرز الراسبي . مولاهم السمرقندي المتكلم ، أس الضلالة ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدال وكان ينكر الصفات بدعوى التنزيه ويقول بخلق القرآن - قتل سنة ١٢٨ قتله مسلم بن أحوز .

مصادر ترجمته : الطبري (٧ / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧) الملل والنحل (١ / ١٩٩-٢٠٠) الفصل (٤ / ٢٠٤) ميزان الاعتدال (١ / ٤٢٦) رقم : ١٥٨٤ سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٦-٢٧) رقم : ٨٠ الكامل في التاريخ (٥ / ٣٤٢-٣٤٤) .

والقدر وما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل وأما الكلام في دين الله وفي الله فالسكوت أحب إلي لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل "(١).

وقول الإمام مالك "إلا فيما تحته عمل" المقصود منه كما يشرح ذلك الإمام ابن عبد البر "الأحكام من الصلاة والزكاة والطهارة والصيام والبيوع ونحو ذلك ولا يجوز عنده الجدال فيما تعتقده الأفئدة مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد، وفي مثل هذا خاصة نهى السلف عن الجدال وتناظروا في الفقه وتقايسوا فيه "(٢).

وذكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)(٣) عنه أنه قال: "إياكم والبدع قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان (٤) وقال: "لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام ولكنه باطل يدل على باطل" (٥).

ونقل من طريق ابن مهدي (ت ١٩٨ هـ)(٦) أنه قال:

---

(١) انظر هذا الكلام في التمهيد (١٩/٢٣٣) وفي مصادر ترجمته.

(٢) انظر التمهيد (١٩/٢٣٣).

(٣) هو الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن محمد الخضيري الأسيوطي أخذ عن علم الدين البلقيني وشرف الدين المناري والإمام تقي الدين الشبلي وغيرهم، وكان بحرا في علوم شتى وله مصنفات حافلة متقنة كاملة جامعة في التفسير وعلوم القرآن واللغة وغيرها من العلوم النقلية والعقلية توفي رحمه الله، سنة ٩١١ وكان مولده سنة ٨٤٩.
مصادر ترجمته: الضوء اللامع (٤/٦٥-٧٠) رقم: ٢٠٣، والبدر الطالع (١/٣٢٨-٣٣٥) رقم: ٢٢٨، الشذرات (٨/٥١-٥٥) وغيرها

(٤) **انظر صور المنطق (٣٢) شرح السنه للبغوى (١/٢١٧) وابن مفلح في الاداب الشرعية (١/٢٢٧).**

(٥) نفس **المراجع ونفس الصفحات**

(٦) هو الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن الإمام

==

" دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد (١) ، لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدع من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع " (٢) .

من هنا يتبين أن بغضه لعلم الكلام إنما كان لاعتقاده بأنه من البدع التي حدثت بعد عهد الصحابة والتابعين وهم خيار المسلمين ولو كان خيرا ما تركوه ، بل حتى إذا قلنا ان هذه البدع حدثت في عهدهم ، فقد انكروها وأنكروا على من يتعاطاها أشد الانكار .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من البدع المحدثات في مناسبات كثيرة لعلمه عليه السلام بالآثار السيئة التي تحدثها هذه البدع إذا دخلت الدين . والأمة الإسلامية لم تشوه عقيدتها وتنحرف عن منهاجها القويم إلا حينما دخلت الأهواء والبدع فيها وعندما أرتضى كثير من المسلمين المناهج الكلامية والجدل والخصومات في الدين ، وعندما أدخلوا منطق اليونان والمباحث الفلسفيه ضمن العقيدة الإسلامية .

== الناقد المجود أخذ الحفاظ ، سمع من خلق كثير منهم شعبة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وغيرهم ، وعنه ، ابن المبارك وابن أبي شيبه وغيرهم .
وكان اماما حجة ، قدوة في العلم والعمل ،توفي بالبصرة سنة ١٩٨ وكانت ولادته سنة ١٣٥ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٧) المعارف لابن قتيبة : (٥١٣) حليه الاولياء (٩/ ٣-٦٣) رقم : ٤١٤ تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠-٢٤٨) رقم : ٥٣٦٦ السير (٩/ ١٩٢-٢٠٩) رقم : ٥٦ . وغيرها .

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب ولد في بلخ سنة ٨٠ وكان جده من سبي فارس ، تتلمذ أول الأمر على الحسن البصري إلى أن انفصل عنه هو وواصل بن عطاء ، ويعتبر هذان الرجلان هما موءسسا مذهب الاعتزال توفي سنة ١٤٤ .
مصادر ترجمته : البيان والتبين للجاحظ (١/ ٢٣) . السير (٦/ ١٠٤-١٠٦) رقم : ٢٧ ، المعارف لأبن قتيبة (٤٨٢-٤٨٣) تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦-١٨٨) رقم : ٦٦٥٢ ميزان الأعتدال (٣/ ٢٧٢-٢٨٠) رقم : ٦٤٠٤ فوءاد شركين (١/ ٤/ ٢٠-٢١) .

(٢) صون المنطق (٣٢-٣٣) .

قلت: لقد حذر النبى عليه السلام من خطر البدع فى كثير من المناسبات من ذلك ما جاء فى حديث العرباض بن ساريه [(١)]، قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عيه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يارسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [(٢)].

وقال: فى حديث آخر "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفى رواية "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" [(٣)] أى مردود عليه.

---

(١) هو الصحابى الجليل، العرباض بن سارية السلمى، أبو نجيح من أهل الصفة، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، سكن الشام وبها توفى رضى الله عنه سنة ٧٥.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٤/٢٧٦)، التاريخ الكبير (٧/٨٥) رقم: ٣٨١، الجرح والتعديل (٧/٣٩) رقم: ٢٠٨ حلية الأولياء (٢/١٣-١٤) رقم: ١٠٣، سير اعلام النبلاء (٢/٤١٩-٤٢٢) رقم: ٧١.

(٢) أخرجه الامام أبو داود فى كتاب السنة (باب لزوم السنة) رقم الحديث: ٤٦٠٧ (٤/٢٠٠-٢٠١) والامام الترمذى فى كتاب العلم (باب ماجاء فى الأخذ بالسنة) رقم: ٢٦٧٦ (٥/٤٣-٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح". ورواه ابن ماجه فى المقدمة (باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين) رقم: ٤٢، ٤٣، ٤٤ (١/١٥-١٧) واحمد فى المسند (٤/١٢٦-١٢٧).. والحاكم فى المستدرك (١/٩٥-٩٧) من أكثر من طريق قال فى إحداها ""هذا حديث صحيح ليس له علة" وقال فى آخر: "هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعا ولا أعرف له علة".

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب الصلح (باب اذا اصطلحوا على صلح يجوز

==

وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الوعيد الشديد لمن أحدث في دين الله ماليس منه (١) ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في مسائل العقيدة كالقدر خاصة حين خرج يوما على مجموعة من الصحابة وهم يتنازعون في القدر فغضب حتى أحمر وجهه عليه الصلاة والسلام ثم قال : أبهذا أمرتم؟ **أم** بهذا **أرسلت إليكم؟ إنما** هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعو" (٢) . . .

وقال عليه الصلاة والسلام " ما ضل قوم بعد هدى الا أوتو الجدل ثم تلا (مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف: ٥٨) (٣) .

== فالصلح مردود " رقم الحديث ٢٦٩٧ الفتح (٥/ ٣٠١) ومسلم في كتاب الأقضية (باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) رقم الحديث ١٨ (١٧١٨) (٣/ ١٣٤٣-١٣٤٤)) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وأخرجه أبو داود في السنة (باب في لزوم السنة) رقم: ٤٦٠٦ ، **سنن أبي** داود (٤/ ٢٠٠) .

(١) سيأتي ذكر بعضها في موضعه من هذا البحث .

(٢) أخرجه الترمذي في القدر (باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر) رقم ٢١٣٣، السنن (٤/ ٧٥٢) وفي مسنده صالح بن بشير بن وادع المري وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقريب (ص ٢٧١) رقم: ٢٨٤٥ ، بتحقيق محمد عوامة ولكن للحديث شاهد عند ابن ماجه في المقدمة (باب في القدر) رقم: ٨٥: (١/ ٣٣) وقال الهيثمي في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ٧٥٢) رقم الحديث ١٢٦٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة الزخرف) رقم ٣٢٥٣ ، **السنن** (٥/ ٣٧٨-٣٧٩) وابن ماجه في **المقدمة** (باب اجتناب البدع والجدل) رقم: ٤٨ ، سنن ابن ماجه (١/ ١٩) . واحمد في المسند (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٦) وانظر: جامع الأصول (٢/ ٧٤٩) رقم الحديث: ١٢٥٦ .
قال الترمذي حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥) .

وهذا الذى قاله الإمام مالك هو الذى كان عليه سلف الأمة ، فلم يكونوا يخوضون فى هذا العلم إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا"(١).

ولكن ليس معنى ذلك أن كل واحد يضطر إليه فله الحق أن يخوض فيه بل ينبغى لمن يضطر إلى ذلك أن يكون متمكنا له قدرة فائقة فى الرد على المخالفين من المبتدعة حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى نتائج لا تحمد عقباها وقد نبه الإمام مالك على ذلك فى رسالة ارسل بها إلى عبد الله بن فروخ (ت ١٧٦)(٢)

نقل أبو العرب (ت ٣٣٣)(٣) فقال "كان ابن فروخ كتب إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع وأنه ألف لهم كتابا فى الرد عليهم ، فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لا يقدرون أن يعرجوا عليه فهذا لا بأس به وأما غير ذلك فإننى أخاف أن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسى فقيه ومحدث من أهل المغرب سكن القيروان وعرض عليه القضاء فأبى ، خرج حاجا فمر بمصر فى طريق عودته وبها توفى من آثاره: ديوان يعرف باسمه جمع فيه مسموعاته وسؤالاته للإمامين مالك وأبى حنيفه ، وكتاب فى الرد على أهل البدع والأهواء توفى سنة ١٧٦ وكانت ولادته سنة ١١٥ .
مصادر ترجمته: طبقات أبى العرب (١٠٧-١١١) رقم: ٤ ، رياض النفوس (١/ ١٧٦-١٨٧) رقم: ٧٧ المدارك (١/ ٣٣٩-٣٤٧) المعالم (١/ ٢٣٨-٢٤٧) رقم: ٧٢ تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٦-٣٥٧) رقم: ٦١٢ ، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٧١-٤٧٢) رقم: ٤٥٠٧ معجم المؤلفين (٦/ ١٠٢) .

(٣) هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمى من عائلة عربية شهيرة بالقيروان ، أخذ العلم عن يحي بن عمرو ابى داود العطار وعيسى بن مسكين وغيرهم وأخذ عنه ابن ابى زيد القيروانى ومحمد بن الحارث الخشنى من مؤلفاته كتاب طبقات علماء افريقيه وكتاب المحن وكتاب فضائل مالك توفى سنة ٣٣٣ وكانت ولادته سنة ٢٥٠ و ٢٦٠ .
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ٣٠٦-٣١٢) رقم: ٢٣٠ معالم الإيمان ==

تكلمهم فتخطئ فيمضوا على خطئك ويظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك" (١) وهذا الذي خشيه مالك هو الذي وقع لابن فروخ فقد كان يتهم بالاعتزال ثم برأه الله منه . (٢)

موقف العلماء من الاشتغال بعلم الكلام والرد على أهله :

هنا أقطع الكلام قليلا عن الإمام مالك لأعرض أقوال العلماء في جواز الاشتغال بعلم الكلام والخوض فيه ، وجواز الاشتغال بالرد على أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم .

فأقول : لقد اتفقت كلمة العلماء على ذم الكلام وأهله وهذه جملة من أقوالهم في ذلك . وقد مر ذكر أقوال مالك في الموضوع فلا داعي لاعادتها هنا ، وإنما أذكر ما قاله غيره من العلماء .

== (٣/٣٦-٣٩) رقم: ١٩٤ ترتيب المدارك (٢/٣٣٤-٣٣٦) تذكرة الحفاظ (٣/٨٨٩-٨٩٠) رقم: ٨٥٦ الديباج (٢/١٩٨-١٩٩) رقم ٣١ .

(١) طبقات أبي العرب (١٠٨) ، المدارك (٣٤٦/١) ، وقيل إنما قال ذلك إشفاقا منه أن يكون ذلك سببا لإظهار طريقة الجدل بإفريقية فيؤدي ذلك إلى أسباب يخاف غوائلها ولا يؤمن شرها فأراد حسم الباب" والله أعلم .
انظر رياض النفوس (١٧٧/١) .
والذي قاله مالك هو دأب العلماء مع تلامذتهم ، فهذا الامام سحنون يقول لابنه محمد عندما دخل عليه يوما فوجده يؤلف كتابا في تحريم النبيذ يرد فيه على الأحناف القائلين باباحته : "يابني انك ترد على أهل العراق ولهم لطافة أذهان وألسنة حداد فاياك أن يسبقك قلمك الى مايعتذر منه"
انظر ترتيب المدارك (١٠٧/٣) .

(٢) المدارك (٣٤٦/١) .

فمن أقوال الامام أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ)[١]، ماروواه عنه محمد بن الحسن (ت ١٨٩ هـ)[٢].

قال : قال أبو حنيفة: لعن الله عمرو بن عبيد[٣] فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام: قال محمد بن الحسن وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه ونهانا عن الكلام"[٤].

وكان الإمام الشافعي[٥] من أشد الناس على أهل الكلام، وقد نقل عنه في ذم الكلام وأهله الشيء الكثير، من ذلك قوله: حكمي في أهل الكلام حكم عمر[٦].

---

(١) تقدمت ترجمته (ص ٤٥)

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن واقد الشيباني، صاحب أبي حنيفة، عالم فاضل فقيه، له مصنفات عديدة منها الحجة على أهل المدينة توفي سنة ١٨٩ وكانت ولادته سنة ١٣٢ .
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (٥٠٠) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (١٦٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢-١٨٢) رقم: ٥٩٣ الانتقاء (١٧٤) فوائد سركين (١/ ٣/ ٥٥) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) صون المنطق والكلام (١/ ١٠٠-١٠١).

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) سبقت ترجمته .

في صبيغ (١) .

وقال ايضا حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك السنة واقبل على الكلام (٢)

وقال أيضا : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد .

وقال أيضا : لأن يبتلى الله المرء بكل ما نهى عنه خلا الشرك خير من أن يبتليه بالكلام (٣) .

---

(١) كان من أهل الأهواء يسأل عن متشابه القرآن وقصته مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشهورة ذكرها غير واحد ، وهي أن صبيغا جاء إلى عمر يسأل عن المتشابه وتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتنا بين العامة فطلبه عمر وقال له من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله صبيغ ، وقال عمر، أنا عبد الله عمر ، فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه فقال صبيغ حسبك ياأمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله.
وروى اللالكائي بسنده عن رجل يقال له فلان بن زرعة عن أبيه قال .....
لقد رأيت صبيغ بن حسبة بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء الى الحلق فكلما جلس الى حلقه قاموا وتركوه فإن جلس الى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقه الأخرى عزمة أمير المؤمنين انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٦٣٦) رقم: ١١٤٠ . وانظر سنن الدارمي في المقدمة (باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/ ٥٤-٥٥) (٥/ ١٦٨-١٦٩) .

(٢) اخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٨) وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٨٠) والبيهقي في مناقب الإمام الشافعي (١/ ٤٦٢) .

(٣) اخرجه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٣٣٥، ٣٣٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٦) ، ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ١٨٢) وابن عبد البر في الأنتقاء (ص ٧٨) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١١) . وغيرها .

وأما مواقف الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) [(١)] من أهل الكلام فهي أشهر من أن تذكر وكلامه فيهم يدل على بغضه الشديد لهم وتحذيرة منهم، من ذلك قوله: " أئمة الكلام زنادقة " [(٢)].

وفي " مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) [(٣)] عن عبد الله بن احمد (ت٢٩٠هـ) [(٤)]. عن ابيه انه كتب: " لست بصاحب كلام ولا ارى الكلام

---

(١) هو الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل، اصله من بني شيبان، ولد ببغداد سنة ١٦٤، وبها درس الحديث واللغة ورحل في طلب العلم الى الشام واليمن وغيرهما، سمع من عبد الرزاق وسفيان بن عيينة وابي يوسف والشافعي وغيرهم. وأخذ عنه خلق كثير امتحن في محنة خلق القرآن فصبر وهو موٴسس المذهب الرابع من المذاهب الفقهية الأربعة واليه ينسب توفي رحمه الله سنة ٢٤١.
مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (١/ ٢٩٢-٣١٢)، مناقب الإمام احمد لابن الجوزي حلية الاولياء (٩/ ١٦١-٢٣٢) رقم: ٤٤٥ تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢-٤٢٣) رقم: ٢٣١٧ التهذيب لابن عساكر (٢/ ٣١-٥١) السير (١/ ١٧٧-٣٥٨) رقم: ٧٨ وغيرها كثيرا نظر فوٴاد سركين (١/ ٣/ ٢١٥-٢٢٧)

(٢) صون المنطق (١٥٠).

(٣) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي امام حافظ، وواعظ، كان علامة عصره في الحديث والوعظ صنف في علوم عديدة كالتفسير والحديث والتاريخ توفي سنة ٥٩٧.
مصادر ترجمته: وفيات الاعيان (٣/ ١٤٠-١٤٢) رقم: ٣٧٠، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٢-١٣٤٨) رقم: ١٠٩٨ شذرات الذهب (٤/ ٣٢٩-٣٣١). السير (٢١/ ٣٦٥-٣٨٤) رقم: ١٩٢).

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، اخذ عن أبيه ويحي بن معين وغيرهما، وتولى منصب القضاء في أماكن مختلفة بخراسان توفي سنة ٢٩٠ وكانت ولادته سنة ٢١٣.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥-٣٧٦) رقم: ٤٩٥ طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠-١٨٨) مناقب الامام أحمد لابن الجوزي (٣٠٦) تذكرة الحفاظ

في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله أو عن صاحب فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود"(١).

وهكذا كان موقف غيرهم من أهل السنة ينهون عن الكلام ويذمون أهله كالامام عبد الرحمن بن مهدي (٢) الذي قال: "ومن طلب الكلام فآخر أمره زندقة"(٣).

وكان سفيان الثوري (ت ١٦١) (٤) يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي ويقول "عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله" (٥).

وقد استمرت هذه المواقف المتشددة في من بعدهم من العلماء في المراحل المتأخرة، ففي شرحه لحديث "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" (٦).

== (٢/ ٦٦٥-٦٦٦) رقم: ٦٨٥ تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١-١٤٣) رقم: ٢٤٦ فؤاد سركين (١/ ٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(١) مناقب الامام احمد (٢٥٤).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) صون المنطق.

(٤) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، كان ثقة مأمونا وكان عابدًا توفي سنة ١٦١ كانت ولادته سنة ٩٧.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧١-٣٧٤). التاريخ الكبير (٤/ ٩٢-٩٣) رقم: ٢٠٧٧، المعارف (٤٩٧-٤٩٨) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦-٧/ ١٤٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩-٢٧٩) رقم: ٨٢.

(٥) صون المنطق (ص ١٥٥).

(٦) أخرجه الامام البخاري في التفسير (باب وهو الد الخصام) من حديث عائشة رضي الله عنها رقم: ٤٥٣٣ الفتح (٨/ ١٨٨)، وفي كتاب الأحكام (باب الألد الخصم) رقم: ٧١٨٨، الفتح (١٣/ ١٨٠) ومسلم في كتاب العلم (باب في الألد الخصم) رقم: ٢٦٦٨ (٤/ ٢٥٤). والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة البقرة) رقم: ٢٩٥٥ (٥/ ٢٠٤).
والألد: شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه. لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر.
والخصم: الحاذق في الخصومة.

يقول الإمام القرطبي (ت ٦٧١هـ)[(١)] في بيان المقصود من هذا الشخص في الحديث : " هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة "[(٢)] .

هذه نتف من أقوال علماء السنة المقتفين آثار سلف الأمة في هذا الباب وهي غيض من فيض ، ولست هنا معنيا باحصاء كل ما قالوه في هذا الموضوع لأن ذلك باب واسع لكن جئت ببعض ما قالوه ليفيدنا في بحثنا .

ولم يقتصر ذم الكلام والخوض فيه على علماء السنة وأهل الحديث فقط بل قد شاركهم في ذلك كثير من خواص علماء الكلام المشاهير بصفاء الأذهان ولطافة الأفهام فالامام الغزالي مثلاً (ت ٥٠٥هـ)[(٣)] ، الذي عرف بعلمه الغزير بهذا النوع من العلوم وممارسته الطويله له وغوصه في أعماقه يصل إلى النتيجة التي يقول فيها "وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف . ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم تلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، الامام المفسر ، صاحب التصانيف الجليلة كان من الغواصين في معاني الحديث ، من مصنفاته التفسير المشهور ، والمفهم في شرح مسلم . توفي سنة ٦٧١ .

مصادر ترجمته : الديباج المذهب (٢/ ٣٠٨-٣٠٩) رقم: ١١٤ ، شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥) . الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢-١٢٣) رقم: ٤٧٠ . معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩-٢٤٠) .

(٢) انظر فتح الباري (١٢/ ٣٤٩) .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الملقب بحجة الاسلام من ائمه ==

المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الطريق مسدود " ولعمري لا ينفك الكلام عن الكشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام " (١).

وكثير من كبار المتكلمين رجعوا عن الكلام وتركوا وصايا لتلاميذهم يحذرونهم فيها من الخوض فيه وولوج بابه. فمنهم الإمام أبو المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ) (٢) الذي كان يقول: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام " (٣).

== الصوفيه ، كان على مذهب الأشعري في العقائد مع تأثر واضح بالفلسفة على الرغم من أنه رد على أصحابها في كتابه (تهافت الفلاسفة) . وانتهى بعد الخوض في علم الكلام والفلسفة إلى اختيار الطريقة الصوفية ونبذ ماعداها من الطرق إلا أن تصوفه كان مشوبا بالفلسفه التي لم يستطع التخلص منها. ألف مصنفات كثيرة في فنون شتى تدل على علمه الغزير ووفود عقله. توفى رحمه الله سنة ٥٠٥ . وكانت ولادته سنة ٤٥٠.

مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/٢١٦-٢١٩) رقم: ٥٨٨، طبقات الشافعية (٦/١٩١-٣٨٩) رقم: ٦٩٤ شذرات الذهب (٤/١٠-١٣) تبيين كذب المفترى (ص ٢٩١-٣٠٦) ، وانظر المصنفات الخاصة به مثل موءلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (نشر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب. والعلوم الاجتماعية القاهرة ، ١٩٦١) وغيره .

(١) الإحياء (١/١٦٨) الروض الباسم (٢/١٢).

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني . ويلقب بإمام الحرمين ، كان من أعظم أئمة الأشعرية ، وقد تتلمذ عليه الغزالي . تولى التدريس بالمدرسة النظامية مدة ثلاثين عاما الف موءلفات عدة منها الأرشاد والبرهان في أصول الفقه ، والغياثي ، وتوفي بنيسابور سنه ٤٧٨ وكانت ولادته بها سنة ٤١٩.

مصادر ترجمته: شذرات الذهب (٣/٣٥٨-٣٦٢) ، تبين كذب المفترى (٢٧٨-٢٨٥) طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٦٥-٢٢٢) رقم: ٤٧٥ وفيات الأعيان (٣/١٦٦-١٧٠) رقم: ٣٧٧.

(٣) سير اعلام النبلاء (١٨/٤٧٣).

وكان يقول " ياأصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به " (١) .

وحكى أبو الفتح الطبرى الفقيه (٢) ، قال " دخلت على أبى المعالي في مرضه فقال : اشهدوا علي أنى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وانى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور" (٣) ومنهم الوليد بن أبان الكرابيسي (ت ٢١٤ هـ) (٤) الذى قال لبنيه لما حضرته الوفاة " أتعلمون أن أحدا اعلم منى " قالوا : لا . قال أتتهموني ؟ قالوا لا ، قال : فإني أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم قال: عليكم بما عليه أهل الحديث فإنى رأيت الحق معهم" (٥) .

وهذا ابو الوفاء بن عقيل (ت ٥١٣ هـ) (٦) الذى كان معتزليا ثم تاب واشهد على نفسه بذلك وصحت توبته . كما يقول الإمام ابن حجر العسقلانى

---

(١) السير (١٨/٤٧٤) .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) السير ١٨/٤٧٤) .

(٤) هو الوليد بن أبان المعزلى متكلم من أهل البصرة له فى الاعتزال مقالات توفى سنة ٢١٤ .
مصادر ترجمته : النجوم الزاهره (٢/٢١٠) معجم المؤلفين (١٣/١٦٩-١٧٠) .

(٥) الروض الباسم (٢/١٤) .

(٦) هو ابو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى من الحنابله الذين خالفوا المذهب ولجاوا الى التاويل مثل ابن الجوزى بل والاعتزال ، وكان شديد الذكاء قوى الفهم . الف كتبا عدة تدل على ذكاء وفهم أعظمها كتابه (الفنون) توفى سنة ٥١٣ وكانت ولادته سنة ٤٣١
مصادر ترجمته : شذرات الذهب (٤/٣٥-٤٠) لسان الميزان (٤/٢٤٣-٢٤٤) رقم: ٦٦١ سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣-٤٥١) رقم : ٢٥٩ الأعلام (٤/٣١٣) .

(ت٨٥٥هـ) [١] في لسان الميزان [٢] ، يقول بعد توبته "لقد بالغت في الأصول طول عمرى ثم عدت القهقرى إلى مذهب المكتب" [٣] .

وهذا الإمام الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) [٤] صاحب نهاية الاقدام في علم الكلام" يصف حاله فيما وصل إليه من الكلام والنتيجة التى انتهى اليها من اشتغاله به حيث يقول :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها :: وسيرت طرفى بين تلك المعاهد

فلم أر إلا واضعا كف حائر :: على ذقنه أو قارعا سن نادم

ثم قال " عليكم بدين العجائز فإنه أسنى الجوائز" [٥]

ومتكلم آخر ، كان لا يجارى فى علم الكلام والعلوم العقلية المختلفة هو الإمام فخر الدين الرازى (ت٦٠٦هـ) [٦] صاحب التفسير المشهور الذى يدل على عقلية

---

(١) انظر ترجمته ص:٧٤ .

(٢) (٢٤٣/٤) .

(٣) الروض الباسم (١٤/٢) .

(٤) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني ، من أئمة الأشاعرة ، وله اطلاع واسع على الفلسفة والمقالات المختلفة وكتابه (الملل والنحل) الذى قال السبكى فيه هو أحسن كتاب فى هذا الباب ، يدل عليه وله كتاب (نهاية الاقدام فى علم الكلام) توفى سنة ٥٤٨ وكانت ولادته سنة ٤٧٩ .

مصادر ترجمته: طبقات الشافعية (١٢٨/٦-١٣٠) رقم: ٦٥٣ وفيات الاعيان (٢٧٣/٤-٢٧٥) رقم: ٦١١ الأعلام (٨٣/٧-٨٤) .

(٥) نهاية الاقدام فى علم الكلام (٣-٤) طبعة الفرد جوم بدون تاريخ . الروض الباسم (١٤/٢-١٥) .

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازى ، فخر الدين المعروف بابن الخطيب . من كبار الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعرى بالفلسفة والاعتزال توفى سنة ٦٠٦ .

==

جبارة وذكاء حاد يصل هو الآخر الى النتيجة نفسها التي يقررها في قوله :

"لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى الى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى . ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية " .

ومن شعره في هذا المعنى قوله :

نهاية إقدام العقول عقال : : وأكثر سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا : : سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا (١)

ولكن ما هو السبب في هذه الخصومة الشديدة من علماء السنة لأهل الكلام الأسباب في واقع الأمر كثيرة أحاول أن أذكر بعضها هنا :

(١) أولى هذه الأسباب أن علم الكلام بدعة في الدين لم يقل به سلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين ولو كان خيرا ما تركوه . بل أثر عنهم أنهم خاصموا من قال به ومارسه وأنكروا عليهم ، حيث تحدثوا " فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتقديرها واتحادها في نفسها وهل هي الذات أو غيرها ، وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو بالوصف إلى غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم بل نهوا عن الخوض فيها " (٢)

= = مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٤/٢٤٨-٢٥٢) رقم : ٦٠٠ شذرات الذهب (٥/٢١-٢٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/٨١-٩٦) رقم ١٠٨٩ لسان الميزان (٤/٤٢٦-٤٢٩) رقم : ١٣١١ .

(١) طبقات الشافعية (٨/٩١-٩٦) .

(٢) انظر فتح البارى (١٣/٣٤٩) نقلا عن القرطبى فى المفهم .

(٢) ما ترتب على هذه البدعة من أمور منكرة مخالفة لما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخترعوا " قوانين جدلية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية أو مناقضات لفظية ينشأ بسببها على آخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الإيمان معها " (١)

(٣) ابتدعوا طرقا لمعرفة الله لا يقدر عليها إلا الحذاق منهم ومن ثم نشأ لهم القول بتكفير عوام المسلمين حيث" زعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالادلة التي حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين " (٢) وكذلك قولهم : " إن أول الواجب الشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر " (٣).

(٤) كون علم الكلام ليس علما إسلاميا وإنما نقل إلينا من الثقافات الأجنبية اليهودية والنصرانية . وذلك أن نصارى العراق هم أول من ترجم كتب أرسطو الفيلسوف اليوناني المعروف. وأقاموا عليها دراسات وتفسيرات وقد ناقش هؤلاء النصارى قضايا فلسفية من قبيل القضاء والقدر. وخلق الأنجيل وصفات الخالق (٤).. ثم أن هؤلاء النصارى احتكو بالمسلمين بعد الفتح وأسلم بعضهم وترك ديانته النصرانيه وعن طريق هؤلاء النصارى انتقلت الأفكار الفلسفية إلى المسلمين (٥) فظهر علم الكلام عند المسلمين وقد ذهب إلى هذا الرأى غير واحد من علماء السنة من القدماء والمحدثين وغيرهم من المستشرقين حيث أشاروا إلى أن

---

(١) نفس المصدر (١٣/٣٤٩) .

(٢) الفتح (١٣/٣٤٩) نقلا عن الامام الغزالي وقول القرطبي .

(٣) الفتح (١٣/٣٤٩) .

(٤) انظر النصرانية وعلم الكلام عند المسلمين مقال لجاسم صكبان على في مجلة كلية التربية (العراق) (العدد ١/ سنة ١٩٧٩ / (ص ١٩٩) .
وانظر ايضا : " نصارى العراق في العصر الأموى) للطالب جاسم صكبان مخطوطة بمكتبة البحث العلمي بجامعة أم القرى ص ٤٧ وما بعدها .

(٥) نفس المصدر .

سوسن [١] الذي كان نصرانيا هو أول من تكلم في القدر وأخذ عنه ذلك معبد الجهني [٢]. وعن طريق هذا الرجل انتقل الكلام في القدر والصفات إلى المسلمين وكان الصحابة ينكرون عليه ذلك .

فمن القدماء الذين ذهبوا إلى هذا الرأي نجد الاستاذ أبا المظفر الاسفرايني "(ت ٤٧١ هـ) [٣] في كتابه " التبصير في الدين " [٤] حيث يقول : " وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي [٥] وكان ينكر عليهم من قد بقي من الصحابة

---

(١) لم اجد له ترجمة الا ما ذكره العلماء من صلة معبد الجهني به واخذه عنه

(٢) هو معبد بن خالد الجهني البصري ، اختلفوا في اسم ابيه وهو أول من تكلم في القدر ، رأى من يتعلل في المعصية بالقدر فأراد أن يرد عليه فأخطأ الطريق وقال : " لا قدر والأمر أنف " فنبذه الصحابة والتابعون . قال ابو حاتم قدم المدينة فأفسد بها ناسا . خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج بعد سنة ٨٠ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/ ٣٦٩-٤٠٠) رقم: ١٧٤٥ المعارف ٤٧ و٦٢٥) . ميزان الأعتدال (٤/ ١٤١) رقم: ٨٦٤٦ السير (٤/ ١٨٥-١٨٧) رقم: ٧٦ ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥-٢٢٦) رقم: ٤١٤ .

(٣) هو شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراييني الشافعي ، أبو المظفر المفسر ، امام بارع صنف في التفسير والأصول ، رحل في طلب العلم سمع من أبي العباس الأصم وكان له اتصال مصاهرة بأبي منصور البغدادي . توفي بطوس سنة ٤٧١ .
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفترى (٢٧٦) طبقات الشافعية (٥/ ١١) رقم رقم: ٤٢٠ طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢١٢-٢١٣) رقم: ٢٠٦ سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠١-٤٠٢) رقم: ١٩٩

(٤) ص ١٣ ، ٤٠ .

(٥) هو ابو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي ، كان أتباعه من اوائل القدرية قتله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ .
مصادر ترجمته : البيان والتبيين (١/ ٢٩٥) الفرق بين الفرق (١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤) الملل والنحل (١٠٣) لسان الميزان (٤/ ٤٢٤) رقم: ١٣٠٣ المعارف (٤٨٤) .

كعبد الله بن عمر (١) وعبد الله بن عباس (٢)"

ونقل اللالكائي (٣) (ت ٤١٨هـ) في شرح السنة عن الاوزاعي (٤)

---

(١) هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . اسلم وهو صغير ثم هاجر مع ابيه ولم يحتلم. وكان ممن بايع تحت الشجرة روى علما كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم وابيه وابي بكر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة وروى عنه جمع غفير لا يحصى عددهم توفي سنة ٧٣ وعمره ٨٧ سنة .
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٢، ٤/ ١٤٢-١٨٨) الجرح والتعديل (٥/ ١٠٧) رقم: ٤٩٢ تاريخ بغداد (١/ ١٧١-١٧٣) رقم: ١٣ الحلية (١/ ٢٩٢، ٣١٤) رقم: ٤٤ سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣-٢٤١) رقم: ٤٥ .

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر الأمة وترجمان القرآن وامام المسلمين في التفسير، دعا له رسول الله بالفقه في الدين وتعلم التأويل وكان الى جانب علمه بالتفسير عالما باللغة والمغازي وأشعار العرب وأيامهم وكان على صغر سنه أثيرا عند الخلفاء الراشدين يستشيرونه في المعضلات شهد قتال الخوارج مع علي وناظرهم وألزمهم الحجة وهو أحد العبادلة الأربعة سكن الطائف وبها توفي سنة ٦٨ وكانت ولادته قبل الهجرة بثلاث سنوات .
مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦٥-٣٧٢) حلية الأولياء (١/ ٣١٤-٣٢٩) رقم: ٤٥ تذكرة الحفاظ (١/ ٤٠-٤٢) رقم: ١٨ البداية والنهاية (٨/ ٢٩٥-٣٠٦) الأصابة (٢/ ٣٤٧-٣٥٠) رقم: ٤٨٣٤ تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٦-٢٧٩) رقم: ٤٧٤ .

(٣) هو الامام هبة الله بن الحسن بن منصور . الطبري الرازي الشافعي اللالكائي سمع أبا طاهر المخلص والعلاء بن محمد وغيرهما ، وعنه: الخطيب البغدادي ومكي الكرمي وعدة، كان مفيد بغداد في وقته، توفي بالدينور سنة ٤١٨ .
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠-٧١) رقم: ٧١٨ تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٣-١٠٨٥) رقم: ٩٨٦ السير (١٧/ ٤١٩-٤٢٠) رقم: ٢٧٤ . شذرات الذهب (٢/ ٢١١) . **واللالكائي نسبه الى بيع اللوالك التي تلبس في الارجل اي صانع النعال : الباب (٣/ ١٠٤)**

(٤) مرت ترجمته .

أنه قال :أول من نطق في القدر من أهل العراق رجل يقال له سوسن . كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد (١) .

وعن مسلم بن يسار (ت١٠٠هـ) (٢) أنه قال "إن معبدا يقول بقول النصارى (٣)

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) (٤) : "أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن ، كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد ، إن معبدا كان يقول بقول النصارى وكان رأس القدرية" (٥)

---

(١) لم أعثر على هذا القول في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ولكن نقله الكوثري في تعليقه على التبصير في الدين (ص٤٠) .

(٢) هو أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري مولى بني أمية القدوة الفقيه الزاهد روى عن ابن عباس وابن عمر وعن أبيه يسار وحدث عنه ابن سيرين وقتادة وثابت البناني وغيرهم ، كان خامس خمسة فقهاء في البصرة وكان لا يفضل عليه أحد في زمانه توفي رحمه الله سنة ١٠٠ وقيل ١٠١ .
مصادر ترجمته: تاريخ البخاري (٢٧٥/٧) رقم ١١٦٦ ، الحلية (٢٩٠/٢-٢٩٨) رقم: ١٩٣ ، سير أعلام النبلاء (٥١٠/٤-٥١٤) رقم : ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب (١٤٠/١٠-١٤١) رقم: ٢٦٠ .

(٣) انظر: مقال : النظرانية فعلم الكلام وعند المسلمين ص١٩٩ ، مصدر سابق

(٤) هو الامام الحافظ المحدث أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصري الشافعي . طلب العلم في صغره ، وبرع في علم الحديث وشهد له أعيان عصره بالحفظ . له مؤلفات عظيمة جليلة تربو على المائة والخمسين مؤلفا ، اجلها واعظمها فتح الباري بشرح صحيح البخاري توفي سنة ٨٥٢
مصادر ترجمته: الضوء اللامع (٣٦/٢-٤٠) رقم: ١٠٤ شذرات الذهب (٢٧٠/٧-٢٧٣) البدر الطالع (٨٧/١-٩٢) رقم: ٥١ هدية العارفين (١٢٨/١-١٣٠) الرسالة المستطرفة (١٢١-١٢٢) التاج المكلل لصديق خان (٣٦٢-٣٦٣) رقم: ٣٨٤ .

(٥) تهذيب التهذيب (٢٦٦/١٠) .

وقال ابن كثير" كان أول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ويقال: إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوسن وأخذ غيلان القدر عن معبد" (١)

وجاء فى ميزان الاعتدال قول الامام الذهبى (ت٧٤٨هـ) (٢): " معبد الجهنى تابعى صدوق ولكنه سن سنة سيئة ، فكان أول من تكلم فى القدر" (٣)

هذه اقوال المتقدمين من العلماء وهى ايضا اقوال المحدثين منهم كالاستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله الذى يقول فى الظلال مشيرا إلى التأثيرات اليهودية والنصرانية فى علم الكلام " وما كان الجدل الكلامى الذى ثار بين علماء المسلمين حول هذه التعبيرات (٤) القرآنية (يقصد الصفات) **إلا آفة من آفات الفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى عند مخالطتها للعقلية العربية الصافيه وللعقليه الإسلامية الناصعة وما كان لنا نحن اليوم أن نقع فى هذه الآفة فنفسد جمال العقيدة وجمال القران بقضايا علم الكلام " (٥)**

كما يذهب كثير من المستشرقين إلى هذا الراى مثل دى بور الذى يقول " وقد نشات البواكير العقلية عند المسلمين من موثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة اليونانية " (٦).

---

(١) البداية والنهاية (٩/٣٤).

(٢) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى الحافظ كان أكثر أهل عصره تصنيفا وكان علامة زمانه فى الرجال وأحوالهم. له تصانيف كثيرة مشهورة . توفى سنة ٧٤٨.
مصادر ترجمته: فوات الوفيات (٣/٣١٥-٣١٧) رقم: ٤٣٦ طبقات الشافعية (٩/١٠٠-١٢٣) رقم: ١٣٠٦ الدرر الكامنة (٣/٤٢٦-٤٢٧) رقم: ٣٤١٣، شذرات الذهب (٦/١٥٣-١٥٦) ، الذهبى ومنهجه فى كتابة (تاريخ الاسلام) بشار عواد معروف .

(٣) ميزان الأعتدال (٤/١٤١).

(٤) الأفضل استعمال الألفاظ بدل التعبيرات .

(٥) الظلال (١/٥٣).

(٦) النصرانية وعلم الكلام عند المسلمين ص ٢٠٣.

وهكذا يتضح لنا جليا تأثير العناصر الأجنبية فى هذا العلم ومن هنا نرى كثيرا من أهل العلم وحتى المتكلمين منهم الذين مارسوا علم الكلام يرون أن هذا العلم ليس وراءه فائدة تذكر "لأن المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم وكان أكثر خوضهم فى استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع" (١).

بعد هذا العرض لأقوال علماء السنة في ذم الكلام وأهله واتفاقهم على ذلك نصل إلى نقطة أخرى مهمة يقتضيها سياق الكلام وهي موقف هؤلاء العلماء من الخوض فى علم الكلام وتعلمه إذا قصد به الرد على الشبهات التى يلقيها المتكلمون فى محاولة لتشكيك الناس فى عقائدهم .

لكن قبل ذلك يجدر بي أن أشير إلى ماذكره القرآن فى شأن جدال (٢) أهل الباطل من المخالفين . القرآن ذكر نوعين من المجادلة : مجادلة مدحها وحث عليها وهى "المجادلة الشرعية كالتى ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام".

فى مثل قوله تعالى : (قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) هود : ٣٢ وقوله تعالى (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) الأنعام : ٨٣ ، وقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) البقرة : ٢٤٨ وقوله (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل : ١٢٥ وأمثال هذا فهذا النوع من المجادلة قد يكون واجبا أو مستحبا وما كان كذلك لم يكن مذموما فى الشرع (٣).

---

(١) المنقذ من الضلال (٦٧).

(٢) الجدال أو المجادلة : دفع القول عن طريق الحجة بالقوة مأخوذ من الأجدل : طائر قوى وقيل : هو مأخوذ به الجدالة ، وهى الأرض فكأنه يقلبه بالحجة ويقهره حتى يصير كالمجدول بالأرض ، وقيل : هو مأخوذ من الجدل ، وهو شدة الفتل ، فكأن كل واحد من المتجادلين يفتل حجة صاحبه حتى يقطعها انظر تفسير القرطبى (٧/٧٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٥٦ - ١٧٤)

ويقول الإمام القرطبى [١] فى معنى هذه الآيات مشيرا إلى دلالتها على إثبات المناظرة فى الدين " وتدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة وفى القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله ، قال الله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) البقرة: ١١١ [٢] وقد وصف خصومة إبراهيم عليه السلام مع قومه ورده عليهم فى عبادة الأوثان كما فى سورة الأنبياء وغيرها . وقال فى قصة نوح عليه السلام: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) الآيات . وكذلك مجادلة موسى مع فرعون الى غير ذلك من الآى . فهو كله تعليم من الله عز وجل للسؤال والجواب والمجادلة فى الدين لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل [٣]"

هذا فيما يتصل بالنوع الأول من أنواع المجادلة، وهو النوع الممدوح ، الذى مدحه القرآن وهو ما يسمى بالمجادلة بالحق ، لإظهار الحق ودحض الباطل .

النوع الثانى : المجادله بالباطل وهو النوع المذموم

والنوع الثانى من أنواع المجادلة، هو المجادلة بالباطل وهو النوع الذى ذمه القرآن وحذر منه فى مواضع كثيرة فى مثل قوله تعالى (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) آل عمران: ٦٥) .. وقوله تعالى : (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) غافر: ٤ وقوله تعالى (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) غافر: ٥ يقول الإمام القرطبى فى تفسيره لاية آل عمران : فى الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده) [٤] .

ويقول فى معنى قوله تعالى فى سورة غافر (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ ......) الآية: " سجل سبحانه على المجادلين فى آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله تعالى ، وأما الجدال فيها

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) وانظر سورة الانبياء: ٢٤ . النحل : ٦٤ ، القصص: ٧٥ .

(٣) تفسير القرطبى (٣/٢٨٦) طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) تفسير القرطبى (٤/١٠٨) .

لا يضاح ملتبسها وحل مشكلها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله " [(١)] فهذا النوع كما ترى . هو الذي ذمه السلف لأنه مخالف للكتاب والسنة وهذا لا يكون في نفس الأمر إلا باطلا فمن جادل بالباطل وإن كان ذلك الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل لما فيه من الشبهة فإن الباطل المحض الذي يظهر بطلانه مشوبا بحق كما قال الله تعالى : " لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " آل عمران : ٧٠ [(٢)] ويقول ابن تيمية (ت٧٢٦هـ) [(٣)] " فالمذموم شرعا ما ذمه الله ورسوله كالجدل بالباطل والجدل بغير الحق بعد ما تبين " [(٤)] .

من هذا العرض ، نخلص إلى أن هناك نوعين من المجادلة ذكرهما القرآن الكريم ، نوع مدحه وحث عليه ، وهو المجادلة بالحق لأظهار الحق وإبطال الباطل ونوع ذمه القرآن وحذر منه وهو المجادلة بالباطل ، لدحض الحق وإظهار الباطل .

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/٢٩٢) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٦٧-١٧١) .

(٣) هو الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، شيخ الإسلام الحافظ الناقد الزاهد ، صاحب التصانيف العظيمة الجليلة ، وهو أكبر من أن نترجم له في هذه العجالة توفي سنة ٧٢٨ وكانت ولادته سنة ٦٦١ .

مصادر ترجمته : لقد تناول ترجمته معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن عصره وأفرده بالترجمة عدد غير قليل أيضا منهم ابن ناصر الدين في " الرد الوافر " وابن قدامة في " العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية " ومحمد كرد علي في " ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية " ومحمد بهجت البيطار في " حياة شيخ الاسلام ابن تيمية " ومحمد أبو زهرة " ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه الفقهية " .

(٤) درء التعارض (٧/١٧٤) .

موقف علماء الإسلام من الاشتغال بعلم الكلام بقصد الرد على المخالفين :-

بعد هذا نأتي إلى موقف علماء السنة من الاشتغال بهذا العلم بقصد الرد على المخالفين من اهل البدع **هل هو جائز ام ممنوع ؟**

والجواب على ذلك أننا بعد ماعرفنا اتفاق العلماء على ذم الكلام وأهله للأسباب التي ذكرتها وغيرها . اختلفوا في جواز الاشتغال به وبالتالي الرد على أهله إلى فريقين .

الفريق الأول :- فريق المجيزين .

ذهب قوم إلى جواز ذلك لكن بشرط " أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا[1] كما نقلنا ذلك عن ابن عبد البر .[2] وكما يقول غيره . . " إلا أن يرى موضع حاجة يظن أنه إذا تكلم بالحق قُبل منه ويحذر أنه يخطئ على الله فيرد الباطل بالباطل "[3] وهو رأى ابن تيمية أيضا الذي كان يذهب إلى أنه يجوز مخاطبة أهل الأصطلاح باصطلاحهم إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة وإنما كرهه الائمة إذا لم يحتج إليه[4] . من هذه الأقوال مجتمعة يتبين لنا أن هناك فريقا من العلماء يذهب إلى جواز الرد على أهل الأهواء ومجادلتهم ولكن ليس على إطلاقه إنما إذا طمع في رد الباطل ورجا صرف مبطل عن عقيدته ومذهبه أو خشي فتنة العامة وضلالها .

هذا هو الشرط الأول الذي شرطه علماء السلف في جواز الرد على أهل الأهواء ، أما الشرط الثاني فهو مترتب على الأول وهو أن يشترطفيمن يتولى جدال المبتدعة أن يكون ملما بطرقهم حتى لا يقدروا عليه كما سبق ذكر ذلك في قول

---

(١) راجع هذا القول ص .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) صون المنطق (٨٤) .

(٤) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ٢٣) .

مالك رحمه الله في رسالته لأبن فروخ .

فإن اعرفت المعاني التي يقصد ونها ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي اثبته الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق (١) .

هذا هو رأى الفريق الأول وهو فريق المجوزين لأن يتولى فريق من الناس مجادلة المبتدعة بشرطين اثنين : الأول أن تدعو الحاجة الى ذلك والثاني أن يكون له علم بالرد حتى لا يخطئ فيرد الباطل بالباطل .

الفريق الثاني :-

هو فريق المانعين منعا باتا من الخوض في مجادلة المبتدعة وبالتالي تعلم طرقهم الكلامية ولم يستجيروا أن يقابلوا الفاسد بالفاسد ويردوا البدعة بالبدعة (٢) . حتى لو كان صاحبه يقصد به نصرة الكتاب والسنة .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/٢٤) .

(٢) انظر درء التعارض (٧/٢٨٨) وسئل ابن مهدى عن رجل ألف كتابا يرد فيه على الجهمية ، فأجاب رد عليهم بكتاب الله وسنة رسوله ؟ قالوا: بل بالرأى والمعقول ، قال : أخطأ رد بدعة ببدعة انظر ترتيب المدارك (١/٤٠٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٩٩) .

وفي هذا يقول الإمام ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) [١] : " فأما الدخول في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا تلطخ في بعض أوضارهم بحال الإمام احمد : لا يخلو من نظر في الكلام أن متجهم ، وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وان ذبوا عن السنة" [٢] .

ويقول الإمام الآجرى (ت٣٦٠هـ) [٣] : وكل من نسبه أئمة المسلمين إلى أنه مبتدع بدعة ضلالة فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه ولا يناظر ولا يجادل " [٤] .

والسبب في هذا التشديد من قبل هؤلاء العلماء ماكانوا يخشونه من الوقوع في بدعتهم ، أو مايصيبهم من أوضارهم ، وفوق ذلك ما يخشى عليهم من الفتنة يقول الآجرى " فإن قال قائل : فلمَ لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟ قيل له : لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلاما يفسد عليك قلبك ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت" [٥] ويقول الامام الخطابي

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي المحدث الفقيه الزاهد ، ألف مؤلفات عديدة وجيدة ،وأكثر من الشيوخ توفي سنة ٧٩٥ .
مصادر ترجمته: الدرر الكامنة (٢/٤٢٨-٤٢٩) شذرات الذهب (٦/٣٣٩-٣٤٠) البدر الطالع (١/٣٢٨) الرسالة المستطرفة (١١١) ، معجم المؤلفين (٥/١١٨) .

(٢) فصل علم السلف على الخلف (١٠٥) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى الفقيه الشافعي المحدث كان صالحا عابدا له مصنفات عديدة منها كتاب الشريعة ، جاورَ بمكة ثلاثين عاما وبها توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ .
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/٢٩٢-٢٩٣) رقم: ٦٢٣ السير (١٦/١٣٣-١٣٦) رقم: ٩٢٠ طبقات الشافعية (٣/١٤٩) رقم: ١٣٣ البداية (١١/٢٧٠) .

(٤) كتاب الشريعة (١/٣٤٠) صون المنطق (١٢٤) .

(٥) نفس المصدر (١/٣٤٠) .

(ت٣٨٨هـ)[١] فى بيان السبب فى ترك السلف النظر فى علم الكلام ومناظرة أهله مبينا أن ذلك ليس عن عجز منهم "بل إنما تركوا هذه الطريقة وأعرضوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وحذروه من سوء مغبتها"[٢].

بل إن مقاطعة هؤلاء المبتدعة فيها سد لباب الشر وإغلاق لطرق الفساد لأن فى جدالهم وتكليمهم نشرا لأفكارهم وفسادهم ، يقول الإمام اللالكائى[٣] :

فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الحالة يموتون من الغيظ كمدا ودردا ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقا ، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلا حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة[٤] ومن هذه المفاسد التى ترتبت على الخوض مع المتكلمين ما كتبه المتكلمون فى قضايا مختلفة "وتركوها بين أيدي الجماهير فأفسدوا عليهم معتقداتهم وأثاروا الشبه فى الإسلام بتصريحهم فى الشرع بما لم يأذن به الله فإنه ليس فى الشرع الحديث مثلا عن الله بأنه مريد بإرادة حادثة ولا قديمة وما قاله المتكلمون فى مسألة حدوث العالم ليس كذلك فى شريعة المسلمين ولا يقوم عليه برهان"[٥]

---

(١) هو أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابى ،كان ثقة ثبتا تقيا ورعا ، له تصانيف كثيرة فى فنون عديدة وكانت له موهبه شعرية ويكسب قوته من التجارة ، تصوف فى آخر عمره ودخل رباط الصوفية توفى سنة ٣٨٨ وكانت ولادته سنة ٣١٩.
مصادر ترجمته : المنتظم ربن الجوزى (٦/ ٣٩٧) رقم: ~~٣٢٢~~ وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤-٢١٦)رقم: ٢٠٧ تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٨-١٠٢٠)رقم: ٩٥٠ طبقات الشافعية (٣/ ٢٨٢-٢٩٠)رقم: ١٨١ شذرات الذهب (٣/ ١٢٧-١٢٨) معجم المؤلفين (٢/ ٦١) ٤/ ٧٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٨٦ - ٢٨٧)

(٣) سبقت ترجمته

ويحدثنا الخطابى عن الطريقة التى سوغ بها العلماء اللجوء إلى جدال أهل البدع بعد أن يذكر الأئمة الماضين وإمساكهم عن ذلك: " فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم فى طلب حقائق علوم الكتاب والسنة وقلّت عنايتهم واعترضهم الملحدون بشبههم والمتحذلقون بجدلهم حسبوا أنهم ان لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يقووا بهم ولم يظهروا فى الحجاج عليهم ، فكان ذلك ضلة من الرأى وغبنا فيه وخدعة من الشيطان والله المستعان" (١) .

وكان السبب فى هجر أحمد بن حنبل للحارث المحاسبى (ت ٢٤٣هـ) (٢) تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، حيث قال له: ويحك ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث" (٣) .

بعد ذكر الفريق الثانى وأدلته يَجْدُرُ بي أن أشير إلى أنه بالنظر إلى كلام الامام ابن تيمية، نلاحظ عليه أنه يوجه كلام المانعين بحيث يتفق مع كلام المجيزين حيث يقول في ذلك: "إنهم لم يذموا الكلام لمجرد مافيه من الأصطلاحات أو لفسط

---

(١) الغنية عن الكلام (١/ ١٣٩-١٤٠) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٨٦ - ٢٨٧)

(٢) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ، من شيوخ الصوفية . توفى سنة ٢٤٣ ببغداد .
مصادر ترجمته: طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٥-٢٨٤) رقم: ٦٥ شذرات الذهب (٢/ ١٠٣) طبقات الصوفية السلمى (٥٦-٦٠) رقم: ٦ ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٣٠-٤٣١) رقم: ١٦٠٦ .

(٣) احياء علوم الدين (١/ ١٦٤) وكذلك طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٨) .

كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك بل لأن المعانى التى يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم من الأدلة والأحكام ما يجب النهى عنه .

ثم يقول . فإذا عرفت المعانى التى يقصدونها ووزنت ذلك بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذى أثبته الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق" (١)

ويقول فى موضع آخر فى توجيه هذا المنع أيضا " والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها أو مع من لا يكون فى مناظرته مصلحة راجحة أو فيها مفسدة راجحة فهذه امور عارضة تختلف باختلاف الأحوال ".

هذه خلاصة الحديث فى هذه المسألة والتى يترجح عندنا فيها مذهب الفريق المجيز إذا غضضنا الطرف عن توجيه ابن تيمية لكلام الفريق الثانى وذلك نظرا لأدلتهم القوية من الكتاب والسنة وعمل السلف والله أعلم . عود الى الحديث عن الامام مالك فى آرائه العقدية :

واذا كان الأمام مالك رحمه الله يكره الكلام فى دين الله وفى صفات الله عز وجل فإنه اضطر بتعبير ابن عبد البر - إلى بيان رأيه فى هذه المسائل ، ولم يكن ذلك من فراغ ولكن كان عن علم ودراية ، فقد بينت من قبل كيف كان يحذر من أن يتولى الرد على المبتدعة غير المتمكن المتمرس ومن هنا فإن مالكا كان له علم بالرد على المخالفين من أهل الفرق . فمن أين حصل على هذا العلم ؟ .

الروايات تشير إلى ابن هرمز (ت ١٤٨ هـ) (٢) الذى لازمه الامام مالك سبع

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/٢٤) .

(٢) هو الإمام أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم ، أحد الأعلام عداده فى التابعين كان يتعبد ويتزهد وكان مالك يجالسه كثيرا وقال : كنت أحب أن اقتدى به توفى سنة ١٤٨ .

مصادر ترجمته : تاريخ البخارى (٥/٢٢٤-٢٢٥) رقم : ٧٣٣ الجرح والتعديل (٥/١٩٩) رقم : ٩٢٤ سير أعلام النبلاء (٦/٣٧١-٣٨٠) رقم :

سنين وقيل ثمان لم يخلطه بغيره [١] هذا الرجل الذى تأثر به مالك تأثرا بالغا هو الذى أخذ عنه هذا العلم كان كما يقول مالك نفسه من أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء وما أختلف فيه الناس [٢] وذكر أنه كان يأتيه إلى بيته بكرة فما يخرج من عنده حتى الليل [٣].

ومن هنا فلا عجب أن نجد للأمام مالك رسالة فى الرد على أهل الأهواء هى من خيار الكتب الدالة على سعة علمه فى هذا المجال [٤] ، إلا أن هذه الرسالة لم تصلنا ولو وصلتنا لأستطعنا ان نتعرف من خلالها على المواضيع التى تدور حولها ونخرج بالتالى بفكرة واضحة عن منهجه فى العقائد وفى الرد على المخالفين من أهل الأهواء ولكن عدم وصول هذه الرسالة إلينا لا يعنى أننا لم نصل الى معرفة آرائه فى هذا الجانب ، بل إن المطلع على ترجمته وأقواله فى المصادر المختلفة يستطيع أن يكون لديه فكرة ولو جزئية عن منهجه فى العقائد .

== ١٥٩ وانظر المجلة التاريخية المصرية (١٩٥٨/٢/١) ص ٥٥) بمقال لجمال الشيال . من أعلام الاسكندرية فى العصر الأسلامى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج التابعى الجليل .

(١) الأمام مالك لأبى زهرة (٨٩) .

(٢) كتاب الجامع لأبن أبى زيد (١٤٩) .

(٣) الأمام مالك لأبى زهرة (٨٩) .

(٤) الأمام مالك لأمين الخولى (٧١) .

ومن خلال اطلاعي على المصادر المختلفة بهذا الشأن وجدت أن الإمام مالكاً تكلم في كل المواضيع المتصلة بالعقيدة تقريبا وفيما يلي من البحث أحاول أن أتعرض لآرائه فيها وهذه المسائل هي :

(١) البدعة عموما (٢) والإيمان

(٣) القدر (٤) صفات الله تعالى ومنها (صفة الكلام وصفة الاستواء)

(٥) رؤية الله تعالى .

(٦) التفاضل بين الصحابة .

(٧) موقفه من التصوف وغيرها من المسائل التي تتصل بالعقيدة والتي سوف اتعرض لها بالحديث ان شاء الله .

وبعد فلم يبق أمامي إلا أن أعرض لآرائه تلك وبإيجاز شديد لأن الغرض من البحث هو بيان تأثير الإمام مالك في أتباعه من علماء المغرب وليس القصد دراسة شخصية

* * موقف الإمام مالك من البدعة :

(١) تعريف البدعة :-

أما في اللغة فالأصل فيها الاختراع على غير مثال سابق .

قال في الصحاح : "أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال ، والله تعالى بديع السماوات والأرض والبديع المبتدع . والبديع: المبتدع أيضا " (١) .

ويقول الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) (٢) في تعريف البدعة في اللغة

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/ ١١٨٣) .

(٢) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي من أعلام الأندلس في القرن الثامن شهد له كثير من العلماء بالفضل وهو من أفراد العلماء المحققين الأثبات ، وكان أصوليا ومفسرا وفقيها ومحدثا ولغويا نظارا ، وله مؤلفات بارعة منها : الموافقات في الأصول وكتاب الاعتصام توفي سنة ٧٩٠ .

مصادر ترجمته : شجرة النور الزكية (٢٣١) رقم: ٨٢٨ فهرس الفهارس

==

وأصل مادة بدع للاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) البقرة: ١١٧ ، : أي مخترعها على غير مثال سابق متقدم ، وقوله تعالى : (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) الأحقاف: ٩ أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق ...) (١) .

هذا في اللغة، أما تعريف البدعة في الاصطلاح فهي : " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه" (٢)

والفرق بين التعريفين " أن البدعة في الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدث على غير مثال سابق يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما . " (٣)

فالبدعة على هذا إنما يقصد منها صاحبها الزيادة في التعبد والتقرب إلى الله تعالى كما قال تعالى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (الحديد : ٢٧) ،أي أنهم قصدوا بذلك رضوان الله فما قاموا بها التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين .

== الكتاني (١/ ١٩١) رقم: ٥٥ نيل الابتهاج للتنبكتي (٤٦) . برنامج المجاري (١١٩-١٢٢) رقم: ٤ معجم المؤلفين (١/ ١١٨) مقدمة الدكتور أبي الأجفان على كتاب الأفادات والأنشادات للشاطبي .

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٦) .

(٢) الاعتصام (١/ ٣٧) .

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٥٣) أو الاستذكار (٢/ ٢٣٢) .

أحدهما : الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله .

الثاني : عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم الى الله عز وجل [١]

فصاحب البدعة يقع في المحظور من هذا الباب - حيث يحاول أن يزيد على القدر الذي حدده الشارع ظنا منه أنه بذلك يزيد قربة إلى الله ومادرى أن ذلك منه يعد اتهاما للسلف الصالح وهو " أكبر ناقض لشرعة المهديين ، حيث أن استحسان مالم يأت بتحسينه نقل ، ورد ماثبت بنقل العدل " [٢] ، ووجه ذلك أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، فقال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة : ٣) . وهي دليل على أنه تعالى أكمل الدين للمؤمنين فلا يحتاجون معه إلى زيادة أبدا [٣]

فمن أراد أن يتقرب إلى الله بغير مافرضه الله وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكأنما أراد أن يتقرب بشيء قصر عنه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم وهذا هو الباطل بعينه ولذلك كان السلف الصالح يحذرون من الوقوع في مثل هذا الضلال ، كما نقل عن مالك أنه قال : " من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا " [٤] .

والنبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على تربية أتباعه على هذه المفاهيم شديد الغضب على من يرتكب مثل هذه الأخطاء كما جاء ذلك في حديث أنس رضي الله عنه [٥] ، أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا بعض

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٩٢) ط دار الفكر (١٤٠٨ / ١٩٨٨) .

(٢) عقد الزبرجد في تحية أمة محمد السيوطي (ص٥)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسيوطي (٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٢٠) .

(٤) الأعتصام (١ / ٤٩) .

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

==

أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله فى السر، فلما أخبرتهم كأنهم تقالوهـا فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال آخر: اما انا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج النساء أبدا .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال : " ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ؟ أما والله أنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " (١) .

وقد ورد فى ذم البدع أحاديث وآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين نقلها الأمام الشاطبي (٢) وغيره ، نُورِدُ بعضها هنا للتنبيه فقط .

فأما الأحاديث فقد ورد فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها (٣) أن

== وخادمه روى عنه وعن أبى بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم ، وعنه الحسن وأبو بكر المزني وقتادة والزهرى وغيرهم ولد بالمدينة ونزل بالبصرة واستقر بها وبها توفى سنة ٩٣ .

مصادر ترجمته : الاصابة (١/ ٧١-٧٢) رقم: ٢٧٧ تهذيب التهذيب (١/ ٣٧٦-٣٧٩) رقم: ٦٩٠ تذكرة الحفاظ (١/ ٤٢-٤٥) رقم: ٢٣ المعارف (١٠٤) أسد الغابة (١/ ١٥٠-١٥٢) رقم: ٢٥٨ .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (باب الترغيب فى النكاح) رقم: ٥٠٦٣ الفتح (٩/ ١٠٤) ومسلم فى كتاب النكاح (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ووجد مؤنة) (٢/ ١٠٢٠) رقم: (١٤٠١) . والنسائي فى كتاب النكاح (باب الحث على النكاح) (٦/ ٤٩-٥٠) وأحمد فى المسند (٣/ ٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥) .

(٢) الأعتصام (١/ ٦٨) وما بعدها .

(٣) هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، تزوجها النبى عليه السلام قبل الهجرة وبنى بها بعدها وهى من أكثر الصحابة رواية قال عنها ==

النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد " وفى رواية : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "(١) أى مردود عليه .

قال الإمام الشاطبى: " وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام ويستوى فى ذلك ما كان بدعة أو معصية "(٢) .

وأخرج الامام مسلم (ت ٢٦١هـ)(٣) عن جابر بن عبد الله(٤)

== عطاء : " كانت عائشة من أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا " رميت بالافك فبرأها الله منه وجلد النبى الذين ولغوا فى ذلك. كانت أحب الناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم . توفى عنها النبى وهى ابنة ثمانى عشرة سنة . شاركت فى وقعة الجمل ، خرجت لتصلح بين الفئتين المتقاتلتين توفيت رحمها الله ورضى الله عنها سنة ٥٧ ودفنت بالبقيع

مصادر ترجمتها : طبقات ابن سعد (٨/٥٨-٨١) حلية الأولياء (٢/٤٣-٥٠) رقم: ١٣٤ اسد الغابة (٧/١٨٨-١٩٢) رقم ٧٠٨٥ البداية والنهاية (٨/٩١-٩٤) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥-٢٠١) رقم : ١٩ . الاصابة (٤/٣٥٩-٣٦١) رقم: ٧٠٤ تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٣-٤٣٦) رقم: ٢٨٤١.

(١) سبق تخريجه (ص٥٨)

(٢) الاعتصام (١/٦٨).

(٣) هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أحد الأئمة الحفاظ صاحب المصنف المشهور بصحيح مسلم ثانى كتاب بعد صحيح البخارى ، روى عن خلق لا يحصون كثرة وروى عنه مثلهم. توفى سنة ٢٦١ ، وكانت ولادته سنة ٢٠٤.

مصادر ترجمته : الجرح والتعديل (٨/١٨٢-١٨٣) رقم: ٧٩٧ ، تاريخ بغداد (١٣/١٠٠-١٠٤) رقم: ٧٠٨٩ سير أعلام النبلاء (١٢/٥٥٧-٥٨٠) رقم: ٢١٧ تهذيب التهذيب (١٠/١٢٦-١٢٨) رقم: ٢٢٦.

(٤) هو الصحابى الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصارى السلمى ، أحد المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

==

رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته: "أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ،صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ."(١)

وعن أبى هريرة (٢) رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "(٣).

== شهد العقبة وأكثر المشاهد مع النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت له بعد وفاة النبى حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه فيها العلم ،توفى سنة ٧٤أو٧٦ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٧)رقم: ٢٢٠٨ الجرح والتعديل (٢/ ٤٩٢)رقم: ٢٠١٩ ،السير (٣/ ١٨٩-١٩٤)رقم: ٣٨ ، الأصابة (١/ ٢١٣)رقم: ١٠٢٦ .

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبه)رقم الحديث: ٨٦٧ صحيح مسلم (٣/ ٥٩٢) .

(٢) هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسى أبو هريرة كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة مهاجرا عام خيبر ولازم النبى صلى الله عليه وسلم، وصبر على الجوع ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحفظ

مصادر ترجمته حلية الأولياء (١/ ٣٧٦-٣٨٥)رقم: ٨٥ سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨-٦٣٢) رقم: ١٣٦ الاصابة فى معرفة الصحابة (٤/ ٢٠٢-٢١١) رقم: ١١٩٠ ، أسد الغابة (٦/ ٣١٨-٣٢١) رقم: ٦٣١٩ تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢-٢٦٧) رقم: ١٢١٦ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب العلم (باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا الى هدى أو ضلالة) رقم الحديث ٢٦٧٤ ، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٠) .

==

وعن ابن مسعود (١) ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دونى فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لا تدرى ماأحدثوا بعدك " (٢)

== وأبوداود فى كتاب السنة (باب لزوم السنة) رقم الحديث: ٤٦٠٩ سنن أبى داود (٤/ ٢٠١) والترمذى فى كتاب العلم (باب فيمن دعا الى هدى فاتبع أو الى ضلالة رقم: ٢٦٧٤ سنن الترمذى (٥/ ٤٢) . وابن ماجه فى المقدمة (باب من سن سنة حسنة أو سيئة) رقم ٢٠٦ . سنن ابن ماجه (١/ ٧٥) والإمام احمد فى المسند (٣/ ١٨) .

(١) هو الصحابى الجليل أوعبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن غافل الهذلى أسلم قديما فى مكة وهو أول من جهر بالقرآن بمكة حتى أوذى فى ذلك ، خدم الرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر الهجرتين شهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد وكان من أعلم الصحابة بالقرآن والتفسير وجهه عمر إلى الكوفة يعلم الناس واستقدمه عثمان فى خلافته إلى المدينة وبها توفى سنة ٣٢ .

مصادر ترجمته: حلية الأولياء (١/ ١٢٤-١٣٩) رقم: ٢١ ، أسد الغابة (٣/ ٣٨٤-٣٩٠) رقم: ٣١٧٧ سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١-٥٠٠) رقم: ٨٧ ، الأصابة فى معرفة الصحابة (٢/ ٣٦٨-٣٧٠) رقم: ٤٩٥٤ .

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقائق (باب فى الحوض) رقم الحديث ٦٥٧٦ انظر الفتح (١١/ ٤٦٣) وفى كتاب الفقه (باب ما جاء فى قول الله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) رقم الحديث ٤٠٧٩ الفتح (١٣/ ٣) . وأخرجه الامام أحمد بمعناه : رقم الحديث ٣٦٣٩ المسند (٥/ ٢٣١) بتحقيق أحمد شاكر والإمام مسلم فى كتاب الأمارة (باب الناس تبع لقريش والخلافة فى قريش) رقم الحديث ١٨٢٢ . صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٣-١٤٥٤) .

هذا عن الأحاديث ، أما الآثار عن السلف من الصحابة والتابعين فهي كثيرة أيضا من ذلك ماروى عن حذيفة بن اليمان [١] رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : " هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور قالوا : يا أبا عبد الله مانرى بينهما من النور إلا قليلا قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق الا قدر مابين الحجرين من النور . والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا : تركت السنن " [٢] .

وعن ابن عباس [٣] ، رضى الله عنهما قال ما يأتى على الناس عام الا أحدثوا بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن " [٤] .

وعن ابن مسعود [٥] ، رضى الله عنه ـ قال : " الاقتصاد فى السنة خير من

---

(١) هو الصحابى الجليل حذيفة بن حسل بن جابر العبسى ، واليمان لقب أبيه حسل ، وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين فقد أخبره بأسمائهم واستكتمه فحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد أحدا وولاه عمر بن الخطاب المدائن فقام بالولاية أحسن قيام وفتح همذان والرى وسندان وصالحه صاحب نهاوند توفى رضى الله عنه فى المدائن سنة ٣٦ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٣ / ٩٥-٩٦) رقم : ٣٣٢ ، الجرح والتعديل (٣ / ٢٥٦) حلية الأولياء (١ / ٢٧٠-٢٨٣) رقم : ٤٢ أسد الغابة (١ / ٤٦٨-٤٧٠) رقم : ١١١٣ السير (٢ / ٣٦١-٣٦٩) رقم : ٧٦ .

(٢) انظر الاعتصام (١ / ٧٨) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١ / ١٨٨) وقال : رواه الطبرانى ورجاله موثقون وهو فى المطالب العالية لابن حجر رقم : ٢٩٦٤ ، المطالب العالية (٣ / ٩٠) وهو فى الاعتصام الشاطبى (١ / ٨٢) .

(٥) سبقت ترجمته .

الاجتهاد في البدعة "[١].

وعن الحسن البصري[٢] (ت ١١٠ هـ)، قال: " صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا صياما وصلاة الا ازداد من الله بعدا "[٣].

هذه بعض الأحاديث وبعض الآثار في ذم البدع وأهلها وهي كلها تحذر كما رأينا من الوقوع في البدعة لأنها هدم للدين، وصد عن السنة التي أمرنا أن نتمسك بها لأن فيها النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا وجدنا الإمام مالكا رحمه الله - من أشد الناس تحذيرا من البدع مهما كانت صغيرة وكانت مواقفه مع المبتدعة مشهودة، وقد نقل الينا من تلك المواقف شيء كثير. فمن ذلك مارواه أبو مصعب الزبيري[٤] صاحب مالك في تخوف مالك من البدعة واشفاقه منها قصته مع إمام من أئمة السنة وهو عبد الرحمن بن مهدي[٥]

---

(١) أخرجه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) (١/٥٥، ٨٨)، والدارمي في السنة رقم ٢٢٣، والحاكم في المستدرك (١/١٠٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/١٩) وهو في المطالب العالية من طريق عبد الرحمن بن يزيد مرفوعا رقم: ٢٩٦٣ المطالب (٣/٩٠) وقال عنه الحاكم صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وهو في زوائد الهيثمي (١/١٧٣) قال عنه الهيثمي " فيه محمد بن بشير الكندي، قال يحي بن معين ليس بثقة "

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ولد بالمدينة سنة ٢١ كان والده مولى من ميسان أحضر الى المدينة زمن الفتح نشأ الحسن البصري بوادي القرى ثم انتقل إلى البصرة روى عن عدد من الصحابة وأكثر مروياته عن أنس بن مالك وكان عالما ورعا شجاعا، توفي رحمه الله بالبصرة سنة ١١٠.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/١٥٦-١٧٨) المعارف لابن قتيبة (٢٢٥) حلية الأولياء (٢/١٣١-١٦١) رقم: ١٦٩ سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣-٥٨٨) رقم: ٢٢٣ تهذيب التهذيب (٢/٢٦٣-٢٧٠) رقم: ٤٨٨ فؤاد سزكين (١/٤/٩-١٤).

(٣) انظر ابن وضاح في البدع (ص ٢٧) والاعتصام (١/٨٢) وروى مرفوعا وهو منكر انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ١٤٩٣) (٣/٦٨٤).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

رحمه الله - حين قدم المدينة فصلى ووضع رداءه بين يدى الصف فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا وكان قد صلى خلف الإمام ، فلما سلم قال مالك: مَنْ هَا هُنَا من الحرس؟ فجاءه نفسان ، فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس. فقيل له: إنه ابن مهدى. فأرسل إليه وقال: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك فى الصف وشغلت المصلين بالنظر إليه وأحدثت فى مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من أحدث فى مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين"(١) فبكى ابن مهدى وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى غيره (٢).

وفى رواية أخرى: قال ابن مهدى: يا أبا عبد الله إنه كان يوما حارا كما رأيت فثقل ردائي على ، فقال مالك: آللّه ما أردتَ بذلك الطعنَ على من مضى والخلافَ عليهم. قال آلله. قال مالك: خليا ه) (٣). وهناك واقعه أخرى اوردها ابن العربى (٤) عند تفسيره لقوله تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور: ٦٣.

وهى أن مالكا أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟

---

(١) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه وانما الموجود "المدينة حرام مابين عير الى كذا فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" أخرجه البخارى فى الجزية (باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة) رقم: ١٨٧ (الفتح ٤/ ٨١) ، ومسلم فى الحج (باب فضل المدينة) رقم الحديث ١٣٧٠.

(٢) الاعتصام (١/ ١١٦).

(٣) المدارك (١/ ١١٧).

(٤) هو الامام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى الاشبيلى المالكى ، ولد سنة ٤٦٨ ، بأشبيلية كان اماما فى الأصول

==

قال : عن ذى الحليفة (١) ، من حيث أحرم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : إنى أحب أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل فإنى أخاف عليك الفتنة قال الرجل ، وأى فتنة هذه ؟ إنما هى أميال أزيدها ، فقال الامام مالك عند ذلك : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أما سمعت الله يقول : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور ٦٣ .

وهذه الفتنة التى ذكرها مالك - رحمه الله - تفسيرا للآية الكريمة هى شأن أهل البدع وقاعدتهم التى يؤسسون عليها بنيانهم ، فإنهم يرون أن ما ذكره الله فى كتابه وما سنه نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتدوا إليه بعقولهم " .

وفى مثل ذلك يقول الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه (٢) حينما مر بقوم يجمعهم رجل يقول لهم : رحم الله من قال : كذا وكذا مرة (سبحان الله) فيقول القوم . ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مره (الحمد لله) . يقول ابن مسعود : لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم وإنكم لتمسكون بذنب ضلاله " (٣)

== والفروع . رحل الى المشرق فلقى فى رحلته كثيرا من العلماء الأعلام واخذ عنهم منهم أبو حامد الغزالى والطرطوشى وغيرهما وأخذ عنه عدد كبير منهم القاضى عياض ". ألف فى جميع فنون العلم من مؤلفاته أحكام القرآن ، أنوار الفجر قانون التأويل ، عارضة الأحوذى ، العواصم من القواصم . توفى سنة ٥٤٣ مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٢/٢٩٦-٢٩٧) رقم : ٦٢٦ نفح الطيب (٢/٢٥-٤٣) رقم : ٨ ، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧-٢٠٤) رقم : ١٢٨ ، التاج المكلل (٢٨٠-٢٨٥) رقم : ٣٠٨ ، وانظر الدراسة التى قدمها عنه الدكتور عمار طالبى فى آراء أبى بكر بن العربى الكلامية الجزء الأول وكذلك مقدمة كتاب قانون التأويل .

(١) هو ميقات أهل المدينة للحج والعمرة وقته لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) الاعتصام (١/١٣٢-١٣٣) وأخرجه الدارمى فى السنن (١/٦٨-٦٩) :

==

وهذا الذى ذهب إليه مالك فى تفسير الآية الكريمة يدل على علمه الواسع بدقائق القرآن (١) وسيأتى فى ثنايا هذا البحث ما يدل على ذلك أكثر فأكثر

وكانت أكثر مواقفه قوة وصلابة وجرأة تلك التى كانت موجهة ضد المبتدعة من أهل الفرق الذين أحدثوا فى دين الله أمورا لم يأذن بها الله تعالى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أحدثت هذه البدع التى أحدثوها فى دين الله شرخا كبيرا فى جسد الأمة الإسلامية . وما هذه الانقسامات وهذه الصراعات التى تنهك قوة المسلمين إلا نتيجة لما أحدثته تلك الفرق من البدع فى دين الله . إن الإسلام الذى جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم واحد وكتابه واحد هو القرآن الكريم

== وابن وضاح فى البدع (٨-١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من طرق عدة عن ابن مسعود ، وابن الجوزى فى تلبيس ابليس (ص ١٦-١٧) .

(١) فى مناظرة للأمام الشافعى مع محمد ابن الحسن صاحب أبى حنيفة - رحمهم الله جميعا - قال الشافعى : هل صاحبكم (يعنى أبا حنيفة) أعلم بكتاب الله أم صاحبنا (يعنى مالكا) ، قال محمد بن الحسن ، بل صاحبكم " انظر الحلية (٦/٣٢٩) . ومن هذا القبيل ما نقله الشاطبى عن الأمام مالك أنه حمل قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ إلى قوله بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) على أهل الأختلاف من أهل الأهواء ، قال مالك " ما آية فى كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من هذه الايه . انظر الاعتصام (١/٥٦) .

ويقول الامام أبو عمرو البهلول بن عمرو بن صالح بن عبيدة التجيبي (ت ٢٣٤هـ) " ما رأيت أنزع بآية من كتاب الله عز وجل من مالك " . معالم الإيمان (٢/٦٧) .

الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الكتاب الذى أنزله الله لهداية البشرية لا لضلالها ولجمع المسلمين وتوحيد كلمتهم لا لتفرقهم وتنابذهم، وهو الذى جمع الله به بين قلوب العرب حتى أصبحوا أمة واحدة بعد أن كانوا أمما متفرقة متناحرة يقتل أحدهم الآخر لأسباب تافهة .

ان المتتبع لسيرة السلف الصالح رضى الله عنهم لا يكاد يعثر على نقاش واحد دار بينهم فى مسائل العقيدة " ولم يستفسروا عن شئ بصددها كما كانوا يفعلون فى شأن الزكاة والصيام والحج وما إليه، ولم يرد فى دواوين الحديث وآثار السلف أن صحابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفات الله أو اعتبرها صفات ذات أو صفات فعل [١] ، لما كان يعترى هذا الجانب عندهم من الوضوح الذى لا لبس فيه ولا غموض. فكان موقفهم نحوها التسليم بكل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى .. " وكانوا كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية كلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم " [٢] ، تلك كانت سيرتهم، رضى الله عنهم مع قربهم من الوحى وعلمهم بأسرار اللغة العربية التى هى لغة القرآن . والذى ساعدهم على هذا السلوك عدة عوامل .

أول هذه العوامل أن الصحابة عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأدركوا زمان الوحى وشرف الصحبة وأزال نور الصحبة عنهم ظلمة الشكوك والأوهام [٣]

(٢) أنهم انصرفوا للفتوح بكل إيمانهم فلم يبق لديهم متسع من الوقت لمثل تلك المباحث .

(٣) حمتهم سليقتهم اللغوية من الوقوع فى الخلط بين مستويات اللغة فكانت لهم القدرة على التصرف فى فهمها والتعامل مع النص القرآنى .

---

(١) الخطط للمقريزى (٢/٣٥٦) ط بولاق سنة ١٢٧٠ .

(٢) اعلام الموقعين (١/٤٩) .

(٣) مفتاح دار السعادة لطاش كبرى زاده (٢/٣٢) .

وظل الأمر كذلك حتى نبتت نابتة فى الإسلام تجادل فى دين الله وتشكك فى عقائد المسلمين وكان ذلك نتيجة لاتساع رقعة الفتوحات الإسلامية ودخول الناس فى دين الله أفواجا وكان فيمن دخل فى هذا الدين قوم ليس حبا فيه ولكن دخلوا هذا الدين وهم يحملون معهم أوزار الجاهلية التى تربوا فيها ورضعوا من لبنها من حقد دفين لهذا الدين . ووثنية متأصلة فى قلوبهم فرأوا أن هدم صرح هذا الدين لا يتم من خارجه بل يجب أن يكون من داخله كالجرثومة التى تسكن جسم الإنسان ولا تزال تنخر فيه حتى ترديه قتيلا .

وهكذا بدأت سلسلة الكيد للاسلام ولا تزال مستمرة إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإذا كان أولئك قد أثاروا شبهات حول العقيدة فإن أحفادهم اليوم يثيرون شبهات حول الإسلام نفسه وحول رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لذلك يمكننا أن نقول : لو وجه لأى دين أو أى نظام فى الكون عشر معشار ما وجه للإسلام من سهام لانهار، أما الإسلام فلم تزده تلك السهام إلا شموخا وعظمة فى نفوس الناس (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الأنفال : ٣٠ . (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) التوبة: ٣٢ ، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) الصف : ٩ .

ويلخص لنا الامام ابن أبى زيد القيروانى [١] هذا المعنى بقوله " رحم الله بنى أمية لم يكن فيهم خليفة قط ابتدع فى الإسلام بدعة وكان أكثر عمالهم وأصحاب ولا يتهم العرب فلما زالت الخلافة ودارت إلى بنى العباس قامت [٢] دولتهم بالفرس وكانت الرياسة فيهم ، وفى قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام فأحدثوا فى الإسلام الحوادث التى تؤذن بهلاك الإسلام وليولا

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) أى استعانت بهم دولتهم .

أن الله تبارك وتعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام ولكنهم قد ثلموه وعوروا أركانه والله منجز وعده إن شاء الله " (١).

نعم إن ديننا قد تكفل الله بحفظه وتأييده ونصرته وإتمامه لن تستطيع قوى الأرض ولو اجتمعت أن تنال منه.

قلت: إن كثيرا من الذين دخلوا هذا الدين كانوا يحملون معهم موروثات الجاهلية التي كانوا يعيشونها وبدأت سلسلة الكيد للإسلام بإثارة قضايا العقيدة التي انتهى المسلمون منها وفرغوا من بيانها. فكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عامران ببيان هذه المسائل بحيث لا يشك فيها ولا يجادل إلا مريض القلب كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران : ٠٧ . فبين الله تعالى أن الذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف إنما يثيرون هذه المسائل لا ابتغاء المعرفة والبحث عن الحقيقة كما يزعمون وإنما يبتغون الفتنة وتشكيك الناس في عقائدهم. لقد بدأوا بإثارة مسائل الصفات هل هي قديمة أم حادثة؟ وإذا كانت قديمة فإنه يلزم من ذلك تعدد القدماء وهل هي زائدة على الذات أم هي نفس الذات؟ وهل القرآن كلام الله مخلوق أم قديم؟ وهل الإنسان في هذا العالم مخير أم مسير؟ وكانوا قبل ذلك قد أثاروا مسألة الإمامة، والتي تولى كبرها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني (٢).

---

(١) صون المنطق (ص ٢٥٦).

(٢) هو عبد الله بن سبأ ويدعى ابن السوداء نسبة الى أمه التي كانت سوداء

==

== اللون ، ذكره غير واحد من المؤرخين من السنة والشيعة وغيرهم أمثال الطبرى (ت ٣١٠هـ) وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) من أهل السنة والجاحظ (ت٢٥٥هـ) من المعتزلة والنوبختي من الشيعة هولاء القدماء ، وذكره أيضا من جاء بعدهم أمثال الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) وعبد القاهر البغدادى (ت ٤٢٩هـ) وابن حزم (ت ٤٥٦هـ) والأسفراينى (ت ٤٧١هـ) والشهرستانى (ت ٥٤٨هـ) وابن تيمية وابن القيم (ت ٧٥١هـ) وغيرهم ، وكلهم أثبت سعيه فى الفتنة ، وأنه كان يهوديا فأسلم ظاهرا فى عهد عثمان رضى الله عنه - بغرض إحداث الفتنة والانشقاق فى صفوف المسلمين يقول ابن قتيبة عنه فى المعارف (ص٢٦٧هـ) " السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة وقال: علي رب العالمين فأحرق علي أصحابه بالنار" ويقول الإمام ابن تيمية .. رحمه الله فى منهاج السنة (٨/٤٧٩) : وكان عبد الله بن سبأ شيخ الرافضه لما أظهر الاسلام أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه . فأظهر النسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى سعى فى فتنة عثمان وقتله " .

وهو أول من ابتدع القول بالرجعة أى رجعة علي في الدنيا . والقول بالوصية وبالطعن على الخلفاء والقول بإلهية على - رضى الله عنه . يقول المقريزى فى الخطط (٣/٢٩٦ ، ٣٠٣) " وابن سبأ هذا هو الذى ابتدع عقيدة الرجعة بعد الموت فى الدنيا لعلي - كرم الله وجهه ولغيره من الأئمة والقول بتناسخ الأرواح وتقمصها فى الأجساد كما هو المتوارث فى تلمود اليهود . وكان يزعم أن عليا لم يقتل وأنه حي وأن فيه الجزء الألهى وأنه هو الذى يجئ فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وعنه أخذوا القول بحلول الجزء الإلهى فى الأئمة بعد على كرم الله وجهه ".

ويقول الامام ابن تيمية ايضا (منهاج السنة) (٧/٢٢٠) : " وهو الذى ابتدع النص فى علي وابتدع أنه معصوم ، فالرافضة الإمامية هم اتباع المرتدين وعلماء

==

الذى دخل الإسلام ظاهرا ، ولكن باطنه كان مشحونا بالحقد على هذا الدين فزعم أنه جاء ليرد حق آل البيت المسلوب من قبل الخلفاء وصار يمشي في الناس ويبث سمومه في شكل أفكار فقال بإمامة على والوصية (١) والرجعة (٢) والعصمة (٣)

== الملحدين وورثة المنافقين " .

وتعجب بعد هذا البيان عن حقيقة هذا اليهودي أن نسمع أصواتا ممن ينتمون إلى الإسلام تنكر حقيقة هذا الرجل وسعيه فى الفتنه ، ولذلك يقول الشيخ الكوثرى - رحمه الله -: "فاستبعاد سعي ابن سبأ فى الفتنة فى عهد عثمان بعد اعتراف مثل جولد سيهر بذلك تحزب لليهود فوق اليهود أنفسهم " .

انظر: مقدمة الكوثرى على رسالة (المقدمات الخمس والعشرون فى إثبات وجود الله ووحدانيته وتنزهه لأبى عمران موسى بن ميمون الفيلسوف الإسرائيلي القرطبي (ت٦٠٥هـ) .

وابن سبأ لم تذكر المصادر سنة وفاته وإنما ذكرت أن عليا نفاه إلى ساباط والمدائن . فلما قتل علي ادعى أنه لم يمت وإنما هو فى السماء إلى آخر مقالته. انظر: التبصير فى الدين (ص٧٢) .

(١) الوصية التى يقول بها الشيعة هى أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى رضى الله عنه من بعده .

(٢) انظر عن عقيدة الرجعه عند الشيعة رسالة الرد على الرافضة لأبى حامد محمد المقدسى (ت ٨٨٨) تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن طبعه: الدار السلفية بالهند ، (الطبعة الأولى ١٤٠٣) ص ١٠٣ .

(٣) أى عصمة الإمام من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدا وسهوا لأنَّ الامام عندهم أعلى مرتبة من النبى، لأن النبى يتلقى شرعه بالواسطة أما الامام فيتلقاه مباشرة .

انظر عنها : نفس المصدر السابق (٧٩-٨١) .

والتقية[١] ، وكل المبادىء التى تتبسناها الشيعة اليوم هى بنات فكر هذا اليهودى الحاقد .

وغير ذلك كثير مثل القول فى مرتكب الكبيرة هل يخرج بكبيرته عن دائرة الإيمان وهل يخلد فى النار أم لا ؟ .

كل هذه الأفكار كان لها الأثر البالغ فى تفرق المسلمين وتمزقهم . ولو أنها لم تصادف قلوبا مريضة اعتنقتها وحكاما متساهلين تركوا لها المجال مفتوحا تعث فيه ولو أنهم اتخذوا منها موقفا حازما من البداية لكانوا قضوا عليها فى مهدها ولم يكن لها كل هذا الانتشار وهذا التأثير والخطر .

المهم أن هذه الأفكار وهذه الضلالات انتشرت وتأثر بها كثير من الناس ولكن الله تعالى قيض لها من العلماء المخلصين من يردها ويدفعها ويفضحها ولم يخل زمان من الأزمنة ولا مكان من الأمكنة الا أظهر الله فيه من يذود عن دينه ويدفع عنه كيد الأعداء مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام : " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله "[٢] وقوله عليه الصلاة

---

(١) التقية عند الشيعة : معناها الكذب والنفاق أى أنهم يجوزون الكذب والنفاق والخداع والتظاهر بغير مايبطنون . وهى عندهم دين وشرعة ، بل هى من أفضل الأعمال . والتقية عند أهل السنة تختلف تماما عنها عند الشيعة ، فهى عندنا : أن كل موء من وقع فى ضيق لا يستطيع أن يظهر دينه لتعرض المخالفين له وكان له عذر شرعى ففيه رخصة .
انظر المرجع السابق (ص٤٠١-٤٠٦) .

(٢) هذا الحديث روى بألفاظ مختلفة عن المغيرة بن شعبة وعقبه بن عامر وجابر بن عبد الله ومعاوية ابن أبى سفيان وغيرهم ، حديث المغيرة أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة (باب قول النبى ، لا تزال طائفة من امتى ...) رقم : ٧٣١١ ، الفتح (٢٩٣/١٣) ، ومسلم فى الامارة (باب

==

والسلام (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغاليـــــن وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) ,[(١)] وفيه تخصيص لعلماء السنة وبيـــان لجلالة قدرهم لأنهم يحمون مشارع الشريعة و متون الروايات من تحريف الغاليـن وتأويل الجاهلين[(٢)] ولقد كان الإمام مالك رحمه الله تعالى - من هذه الفئة ، فلقـد وقف نفسه لنشر السنة ودفع البدعة .

أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء[(٣)] أن الإمام مالكا رحمه الله - سئـل

== قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ...) رقم: ١٩٢١ . (٣/١٥٢٣) .

وروى من طرق أخرى أيضا انظر مسلم: رقم ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ (صحيح مسلم ٣/١٥٢٢-١٥٢٤ ، ١٥٢٥ .

وانظر مسند أحمد (٥/٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤) وأبو داود رقم: ٤٢٥٢ - (٤/٩٨) وابن ماجه: رقم ٣٩٥٢ (٢/١٣٠٤) .

(١) انظر إرشاد الساري (١/٤) ، حيث يقول القسطلاني بعد أن ذكـر جملة من الصحابة ممن روى هذا الحديث ومنهم علي وابن عمر وابن مسعـود وأسامة وغيرهم رضي الله عنهم قال : "وأورده ابن عدي من طرق كثيـرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر لكن يمكـن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسنا كما جزم به ابن كيكلدي العلائي " . . وانظر عن هذا الحديث التمهيد (١/٥٩) والكامل لابن عــدي (١/١٥٢-١٥٣) ومجمـع الزوائد (١/١٤٠) وميـزان الأعتـدال (١/٦٣٥) وانظر ما قيل فيه بتوسـع في فتح المغيـث (١/٢٧٥-٢٧٧)

(٢) ارشاد الساري (١/٤) .

(٣) (٨/١٠٠) وانظر حلية الأولياء (٦/٣٢٦) .

عن القدرية (١) فقال " رأيي فيهم أن يستتابوا فان تابوا والا قتلوا " وكان رأيه أن لا يصلى خلف المبتدعة ولا يشهد جنائزهم ولا يصلى عليها ولا يحمل عنهم الحديث (٢) ويعني بالمبتدعة الذين لا يؤخذ عنهم الحديث: الذين يدعون إلى بدعتهم كما قال . . " لا يؤخذ العلم عن أربعة وذكر: لا يؤخذ عن مبتدع يدعو الى بدعته وقال . . " وإن وافيتموهم في ثغرنا فأخرجوهم منه "

واستدل مالك على معاداة القدرية وعدم مجالستهم بقوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ " المجادلة: ٢٢ ، .

قال الإمام القرطبي (٣) رحمه الله " استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال أشهب (٤) عن مالك : لا تجالس القدرية

---

(١) القدرية: هم الذين ينكرون القدر . قال الامام أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤)، " سموا بذلك قيل : لأنهم نفوا القدر كما سمي داود الظاهري بالقياسي لأنه نفى القياس، وقيل : سموا بذلك لأنهم أدعوا أن لهم قدرة على خلق افعالهم ونفوا قدرة الباري سبحانه عليها " المنتقى (٧/ ٢٠٥) .
وأول من قال بالقدر معبد الجهني وتبعه على ذلك غيلان الدمشقي كما سبق بيانه ص٧٤ .
أنظر: شرح مسلم للنووي (١/ ١٥٠-١٥١)، والفرق بين الفرق (٧٠) .

(٢) هذا الأثر ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص١٤٧) عن معن بن عيسى صاحب مالك (تأتي ترجمته) وفي رواية أخرى : لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك : لا يؤخذ عن سفيه ولا يؤخذ عن صاحب هوى يدعوا الناس إلى هواه ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف مايحدث" وانظر التمهيد لابن عبد البر (١/ ٦٦-٦٧) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) هو الإمام أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم أبو عمرو مفتي مصر

وعادهم في الله لقوله تعالى : " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ " (١) الآية :

وكان يرى أنه لا يحق للمسلم أن يسلم على أهل الأهواء والأولى أن يعتزلوا كما نقل ابن عبد البر ذلك في الانتقاء (٢) حيث يقول الإمام مالك : "أهل الأهواء بئس القوم هم ، لا يسلم عليهم واعتزالهم أحب إليَّ" (٣) ويقول أيضا "لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم ولا يعاد مريضهم ولا يحدث عنهم الأحاديث" (٤) ويقول أيضا "لا تجوز الإجارات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم" (٥)

== يقال : اسمه مسكين وأشهب لقب له . ولد سنة ١٤٠ ، سمع من مالك والليث بن سعد وسليمان بن بلال وغيرهم ، وحدث عنه محمد بن إبراهيم بن المواز وسحنون بن سعيد وعبد الملك بن حبيب وغيرهم . توفي سنة ٢٠٤ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٢/ ٥٧) رقم : ١٦٧٣ الانتقاء (٥١) وفيات الأعيان (١/ ٢٣٨-٢٣٩) رقم : ٢٣٩ ترتيب المدارك (٢/ ٤٤٧-٤٥٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٠-٥٠٣) رقم ١٩٠ ، ٣٦٠ تهذيب التهذيب (١/ ٣٥٩-٣٦٠) رقم : ٦٥٤ .

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٨) .

(٢) (ص ٣٤) .

(٣) ذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٩) وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٣٤)

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٢٥) .

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦) .

وجاءه رجل كان يتهم بالإرجاء فقال : ياأبا عبد الله اسمع مني شيئا أكلمك به وأحاجك فقال الإمام مالك : فإن غلبتني ؟ قال : اتبعتني . قال : فإن غلبتك ؟ قال : اتبعتك . قال : فإن جاء رجل فكلمناه فغلبنا ؟ قال : تبعناه قال الإمام مالك : إن الله بعث محمدا بدين واحد وأراك تنتقل قال عمر بن عبد العزيز : "من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل" (١) وقال ابن وهب (٢) (ت١٩٧هـ) "سمعت مالكا إذ جاءه بعض أهل الأهواء يقول : أما أنا فعلى بينة من ربي وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك فخاصمه ثم قرأ : (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف: ١٠٨) (٣) .

---

(١) الأثر عن مالك أورده الإمام ابن عبد البر في الانتقاء (٣٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى رقم: ٥٦٢ (ص ٣٧٢) . أما أثر عمر بن عبد العزيز الذي استشهد به مالك فرواه الدارمي في السنن برقم: ٣١٠ (١/ ٧٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (رقم: ٢١٦ ، (١/ ١٢٨) وابن بطة في الإبانة رقم: ٥٤٤-٥٤٨ (ص ٣٧٦) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٣) وعبد الله بن أحمد في السنة رقم: ٨٠٣ (١/ ١٣٨) وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ٦٣) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري القرشي المصري ، ولد بمصر سنة ١٢٥ ، كان محدثا ومفسرا وفقيها ودرس على مالك وروى عنه ، وهو الوحيد الذي لقبه مالك "فقيه مصر" توفي سنة ١٩٧ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦-٣٧) رقم: ٣٢٤ تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٤-٣٠٦) رقم: ٢٨٣ ميزان الاعتدال (٢/ ٥٢١-٥٢٣) رقم: ٤٦٧٧ شذرات الذهب (١/ ٣٤٧-٣٤٨) .

(٣) الحلية (٦/ ٣٢٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩) .

وكان رأيه في الإباضية أن يستتابوا وإلا قتلوا ، ولما علم أن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٤هـ) (١) كان على رأي الخوارج فإنه أسقط ذكره من الموطأ يقول الإمام ابن المديني (ت ٢٣٤هـ) (٢) :

« لم يسم مالك عكرمة في شيء من كتبه إلا في حديث ثور (٣) عن عكرمة عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو محرم قال يصوم ويهدي » (٤) وقال

---

(١) هو العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله عكرمة القرشي مولاهم المدني البربري حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وعنه ابراهيم النخعي والشعبي وعمرو بن دينا وغيرهم وكان يذهب مذهب الصفرية توفي سنة ١٠٤ وهو ابن ثمانين سنة .

مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٥/٢٨٧-٢٩٣) حلية الأولياء (٣/٣٢٦-٣٤٧) رقم: ٢٤٥ وفيات الأعيان (٣/٢٦٥-٢٦٦) رقم ٤٢١ تهذيب التهذيب (٧/٢٦٣-٢٧٣) رقم: ٤٧٥ سير أعلام النبلاء (٥/١٢-٣٦) رقم: ٩ وغيرها .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن المديني الحافظ، أحد الأعلام الأثبات كان اماما في معرفة الحديث والرجال والعلل ، له نحو مئتي مصنف توفي سنة ٢٣٤ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٦/٢٨٤) رقم: ٢٤١٤ ، السير (١١/٤١-٦٠) رقم: ٢٢ ميزان الاعتدال (٣/١٣٨-١٤١) رقم: ٥٨٧٤ . طبقات الشافعية (٢/١٤٥-١٥٠) رقم: ٣٤ تهذيب التهذيب (٧/٣٤٩-٣٥٧) رقم: ٥٧٥ .

(٣) هو ثور بن زيد الديلي مولاهم المدني ، روى عن أبي الزناد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم وعنه مالك وغيره وكان ينسب الى قول الخوارج والقول بالقدر ولم يكن يدعوا الى شيء من ذلك توفي سنة ١٣٥ .

مصادر ترجمته : ميزان الاعتدال (١/٣٧٣) رقم: ١٤٠٤ تهذيب التهذيب (٢/٣١-٣٢) رقم: ٥٥ التمهيد لابن عبد البر (٢/١) .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/٣٨٤) في الحج (باب من أصاب أهله قبل ==

معن (ت ١٩٨ هـ) [١] : "كان مالك لا يرى عكرمة ثقة" [٢] .

وكان موقفه من الروافض أبرز دليل على موقفه الحازم من المبتدعة ، وهذا الموقف ينم عن إدراك حقيقي لما يصبو إليه هؤلاء المجرمون ، وهو الموقف الذي لا يتردد من استبان حقيقة الروافض أن يقفه لأن الذى استبان حقيقتهم علم علم اليقين أنهم أعدى أعداء الإسلام وأنهم أخطر عليه من اليهود والنصارى لأن أولئك عداوءهم ظاهر بينما هؤلاء عداوءهم يخفى على كثير من الناس لأنهم يظهرون حب الإسلام ونصرته ويبطنون الكيد له .

هذا الموقف الذى وقفه مالك من الروافض هو حكمه عليهم بالكفر وقد انتزع هذا الحكم من القرآن الكريم وهو ما يؤكد قولنا من قبل بسعة علم الإمام مالك بدقائق القرآن وأسراره ، لقد انتزع هذا الحكم من قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح : ٢٩) .

قال الأمام مالك : "من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب

== يفيض اى قبل ان يطوف طواف الافاضه رقم : ١٥٦ ، ١٥٧

(١) هو أبو يحي معن بن عيسى بن يحي بن دينار من كبار أصحاب مالك وأشد الناس ملازمة له وأثبتهم فيه وكان مالك يتكئ عليه عند خروجه الى المسجد حتى قيل له : عصية مالك : توفي سنة ١٩٨ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/ ٣٩٠-٣٩١) رقم: ١٧٠٣ الجرح والتعديل (٨/ ٢٧٧-٢٧٨) رقم: ١٢٧١ الأنتقاء (٦١) ترتيب المنـدارك (٣/ ١٤٨-١٥٠) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٠٤-٣٠٦) رقم: ٩١ تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٥٢-٢٥٣) رقم: ٤٥٢ شذرات الذهب (١/ ٣٥٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآيـة[(١)] ".

---

(١) ذكر ذلك الامام القرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٦) فقال : الخامسة (أي المسألة الخامسة) روى أبو عروة الزبيري . من ولد الزبير. قال : كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية حتى بلغ (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) فقال مالك هذا القول ".

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره (٣٤٧/٧) : " ومن هذه الآية انتزع مالك القول بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية قال ابن كثير ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم - على ذلك ".

وانظر قول مالك هذا في الحلية (٣٢٦/٦) ، وشرح السنة للبغوي (٢٢٩/١) والاعتصام للشاطبي (٩٦/٢) قلت وممن كان يذهب إلى تكفير من سب الصحابة أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن محمد القاضي الصيمري (ت ٣٨٦) فقد كان يقول "من سب الصحابة معتقدا مصرا عليه كفر كما لو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

انظر طبقات الشافعية (٣٨) .

وللامام مالك قول آخر في المسألة ذكره له القاضي عياض في الشفاء وهو عدم الكفر وانما كان يرى تغليظ العقوبة عليهم حتى يعودوا أو يموتوا تحت العقاب .

الشفا (١١٠٨/٢-١١٠٩) .

وبالمناسبة أحاول هنا أن الخص أقوال العلماء في المسألة فأقول: اختلف العلماء فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن اتفقوا على أن من سبهم بالكفر والردة أو الفسق جميعهم أو معظمهم كفر لأن في ذلك تكذيبا للقرآن الكريم من الرضى عنهم والثناء عليهم حيث يقول الإمام ابن تيمية في الصارم المسلول (٥٩١ ، ٥٩٢) ، " وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا ==

== لا يبلغون بضعة عشر نفسا ، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب فى كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن فى غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك فى كفر مثل هذا فإن كفره متعين - إلى أن قال : وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من الدين " .

ويقول الهيثمى فى الصواعق المحرقة (ص ٣٧٩) ، " ثم الكلام إنما هو فى سب بعضهم أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر " .

وكذلك من سب بعضهم بالكفر والفسق وكان ممن تواترت النصوص بفضله كالخلفاء الراشدين فذلك كفر على الصحيح او رمى عائشة بما برأها الله منه ، يقول الامام مالك : من سب أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة كفر لأن الله يقول : " يعظكم "

انظر الصواعق المحرقة (٣٨٤) .

ويقول الخرشي فى شرحه على مختصر الإمام خليل (٨/ ٧٤) : من رمى عائشة بما برأها الله منه أو أنكر صحبة أبى بكر أو إسلام العشرة أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفر الأربعة أو واحدا منهم كفر " .

ويقول البغدادى فى الفرق بين الفرق (ص ٣٦٠) : " وقالوا بتكفير كل من أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكفروا من أكفرهن او اكفر بعضهن " .

وذهب بعض العلماء ممن قال بعدم الكفر إلى أنه فاسق لارتكابه كبيرة من الكبائر يستحق التعزير عليها ، على حسب منزلة الصحابى يقول الهيثمى (ص ٣٨٣) : " أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق وأما من سب من دونهم ممن لم يتواتر النقل بفضله فالجمهور على عدم كفره وكذلك لو سب الصحابة سباً لا يطعن فى دينهم فلا يكفر ويستحق التعزير يقول الامام ابن تيمية : " وأما سبهم سباً لا يقدح فى عدالتهم ولا فى دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أوقلة العلم أوعدم الزهد ونحو ذلك فهو الذى يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك " .

==

فانظر رحمني الله وإياك إلى موقف هذا الإمام العظيم الذى أجمعت الأمة على صدقه وعدالته وتسننه ، لتعلم أنهم كانوا حماة حقيقة للإسلام ولترى عبث الجهود التى تبذل من أجل التقارب بين السنة والشيعة .

وكان يرى رحمه الله . أنه لا ينبغى الإقامة فى الأرض التى يكون فيها العمل بغير الحق وبالسب للسلف [(١)] " واستدل بقوله تعالى (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ - الى قوله تعالى - وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " (الحشر: ٨ : ٩ : ١٠) على أن من سب السلف الصالح ليس له حق فى الفئ إنما الفئ لهذه الأصناف الثلاثة" [(٢)] .

قال الإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ) [(٣)] عند تفسيره لهذه الآيات: "وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآيات الكريمة أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى الفئ نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء " [(٤)] اهـ .

== انظر الصارم المسلول (٥٦١) .
وانظر كذلك الشفا للقاضى عياض (٢/١١٠٨-١١١٢) تحقيق على محمد البجاوى طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(١) الأنتقاء (٣٦) .

(٢) الأنتقاء (٣٦) حلية الأولياء (٦/٣٢٦) ، الشفا (٢/١١١١-١١١٢) . شرح السنة للبغوى (١/٢٢٩) الأعتصام ٢/٩٦) .

(٣) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الشافعى الدمشقى الامام الفقيه المفسر المحدث كانت له عناية بالرجال والمتون والفقه أخذ عن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية وامتحن بسببه ، ألف عدة مؤلفات نافعة فى التفسير والحديث والتاريخ توفى سنة ٧٧٤ وكانت ولادته سنة ٧٠٦ .
مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ (٤/١٥٠٨) رقم: ٣٥ الدرر الكامنة (١/٣٩٩-٤٠٠) رقم: ٩٤٨ شذرات الذهب (٦/٢٣١-٢٣٢) التاج المكلل (٣٦٤) رقم: ٣٨٦ هدية العارفين (١/٢١٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٨/٩٩) طبعة دار الشعب .

موقف الامام مالك من التصوف والصوفية (١) .

لقد كانت الصوفية أيضا ممن فرق شمل المسلمين وانحرفوا بالزهد عن معناه الحقيقي وإذا كان الزهد الأول عبارة عن رد فعل لإقبال الناس على الدنيا وافتتانهم بها فنشأت طائفة أعرضت عن بهرج الدنيا وزينتها وزهدت في متاعها وأقبلت على الله وطلب الآخرة .

إذا كان الزهد كذلك في بدايته فإنه مع مرور الزمن دخلته انحرافات خطيرة أصبحت هي السمة الغالبة عليه من التواكل وإسقاط الذروة سنام الإسلام الذي هو الجهاد في سبيل الله بحجة أن الجهاد الاكبر والأهم من ذلك هو جهاد النفس واستدلوا لذلك بحديث لا أصل له ،رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس، وفهم القضاء والقدر على غير حقيقته فزعموا أن الغزو الأوربي للبلاد الأسلامية إنما هو قضاء من الله وقدر ولو شاء الله لأخرج الغزاة فلا يحتاج إخراجهم إلى الجهاد ولا الى أي جهد من قبلنا (٢) هذا فضلا عن المفاهيم الخاطئة والخطيرة التي وقع فيها هولاء في الجوانب العقدية مثل القول بالاتحاد (٣) والحلول

---

(١) اختلف الذين كتبوا عن التصوف في اشتقاق كلمة (صوفي) هل هي من لبس الصوف أو من الصفة أو من الصفاء أو من الصف والنسبه لا تصح إلا إلى لبس الصوف وهو الذي ذهب إليه ابن خلدون وغيره (المقدمة ٣٣٤) ،ولا يقدح في هذه النسبة ماقاله القشيري (الرسالة ٢١٧) من أن الصوفية ليسوا مختصين بلبس الصوف بل يشاركهم غيرهم لأن هذا الأمر غلب في الصوفية وهم يفعلونه زهدا وتورعا عن لبس فاخر الثياب كما يقول ابن خلدون (المقدمة : ٣٣٤) .

(٢) حول عقيدة الجبر عند الصوفية ينظر مقال توفيق بن عامر (الصوفية والعقيدة الجبرية حوليات الجامعة التونسية (١٨/ ٧٥-٨٨) .

(٣) القول بالاتحاد يقول به الاتحادية وهم قوم يقولون بوحدة الوجود .. وهو مذهب باطل يخرج صاحبه من الأسلام لأنه يعد الله والوجود شيئا

وغير ذلك من الطامات التى وقعوا فيها ولم يكن عصر الإمام مالك قد عرف هذه الفئة ولم يكن لفظ التصوف أو الصوفية قد أشتهر بعد لان هذه اللفظه لم تشتهر إلا فى القرن الثالث الهجرى كما يقول الإمام ابن تيمية : "أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر المتكلم به بعد ذلك " (١).

وهو قول ابن خلدون (٢) وابن الجوزى (٣) ،لكن إذا كانت هذه الطائفة لم تشتهر إلا بعد القرن الثالث فإن ذكرها ورد على ألسنة بعض الأئمة كالإمام أحمد والإمام الشافعى (٤) وغيرهما ، فما قاله الإمام الشافعى " لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق" وقال أيضا : "مالزم أحد الصوفيين يوما فعاد عقله أبدا وأنشد : (٥) :

ودعو الذين إذا أتوك تنسكوا :: وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وقال أيضا عندما سافر الى مصر:"تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة شيئا يسمونه التغبير ،يصدون به الناس عن القرآن " (٦) والتغبير هو الضرب بالقضيب غَيَّرَ أى أثار غبارا وهو آلة من الآلات التى تقرن بتلحين الغناء (٧).

ولكن حتى لو كان التصوف ذكر قبل ذلك . فلم يكن وجود هذه الطائفة بالمدينة المنورة ولا بمكة المكرمة لوجود عدد كبير من التابعين وتابعى التابعين وهؤلاء كما بينا كانوا قائمين على السنة ينشرونها فى الناس واقفين فى وجه البدعة والمبتدعة ، وإنما كان ظهورها هناك .

---

(١) الصوفية والفقراء لشيخ الأسلام ابن تيمية (ص ٥) .
(٢) المقدمة (ص٤٦٧) .
(٣) تلبيس ابليس (١٥٧) .
(٤) سبقت ترجمتها .
(٥) تلبيس ابليس (ص٣٧١) .
(٦) تلبيس ابليس (٣٧١) الاستقامة (١/٢٣٨) .
(٧) الأستقامة (١/٢٣٨) .

بالبصـرة .[١]

لذلك كله فإننا لا نستطيع أن نخرج برأى واضح عن موقف الإمام مالــــك من هذه البدعة، ولكن هناك إشارات فى بعض المصادر يمكن أن تكون منها فكــرة عن موقفه هذا. من هذه الإشارات ما ذكره القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ)[٢] فـــى مداركه[٣] عن المسيبى[٤] أنه قال كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقـــال رجل من أهل نصيبين[٥]: ياأبا عبد الله إن بناحيتنا قوما يدعون الفقراء[٦]

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٧/١١).

(٢) هو الإمام القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو الأندلســى السبتي، ولد بسبتة سنة ٤٧٦ وبها تعلم ثم رحل إلى الأندلس حيــث سمع عن جماعة من الشيوخ أمثال إبراهيم بن جعفر اللواتى السبتى وأبــى على الغسانى، وابن العربى وغيرهم، وأخذ عنه محمد بن حمدين وأبــى محمد بن عقاب وغيرهما، واستبحر فى العلوم وجمع وألف. عين قاضيـــا ببلدته حيث بقى فى هذا المنصب ست عشرة سنة إلى أن ولي قضاء غرناطـة سنة ٥٣١، ولم يبق إلا يسيرا لأنه رجع ليتولى خطة القضاء بسبـــتة ٥٣٩. وله مؤلفات ممتعة منها الشفا فى بيان حقوق المصطفى، ترتيـــب المدارك وتقريب المسالك فى ذكر فقهاء مذهب مالك شرح حديث أم زرع وغيرها توفى رحمه الله سنة ٥٤٤.
مصادر ترجمته: الصلة (٤٥٣/٢-٤٥٢) رقم: ٩٧٤ بغية الملتمس (٤٢٥) رقم: ١٢٦٩ تهذيب الاسماء واللغات (٤٣/٢؛ ٤٤) رقم: ٥٠٤ وفيات الاعيان (٤٨٣/٣-٤٨٥) رقم: ٥١١ تذكرة الحفاظ (١٣٠٤/٤-١٣٠٧) سيــر أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠-٢١٧) رقم: ١٣٦ وغيرها كثير.

(٣) (١٨٠/١).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) نصيبين: بالفتح ثم الكسر. تقع بين الموصل والشام وهى مدينة عامرة كثيرة البساتين انظر عنها معجم البلدان (٢٨٨/٥-٢٨٩)، الروض المعطار فى خبر الاقطار (٥٧٧) معجم ما استعجم (١٣١٠/٢).

(٦) الفقراء لقب يطلق على المريدين المنخرطين فى الطرق الصوفية.

يأكلون كثيرا ثم يأخذ ون فى القصائد ثم يقومون فَيَرْقُصُونَ فقال الإمام مالك : أصبيان هم؟ قال لا . قال : أمجانين هم؟ قال : لا ، قوم مشائخ وغير ذلك عقلا قال مالك : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا " .

فإن صحت هذه الرواية عنه فإن الامام مالكا قد بين حكم الإسلام فى هؤلاء القوم ، فإن أهل الإسلام لم يفعل منهم أحد ذلك على الرغم من قرب عهد الإمام مالك من عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الرغم مما نعرفه عنه من أنه كان من أشد الناس حرصا على السنة وعلى معرفة كل ما يتصل بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم ولو كان الأمر معروفا عندهم لما أنكر الامام مالك أن يكون من أهل الإسلام من فعل ذلك .

هذا ، وهناك حادثة اخرى حول هذا الموضوع يصحح فيها الإمام مالك مفهوما خطيرا من المفاهيم التى يقول بها الصوفية ويؤمنون بها ويستدلون لها بالقرآن والسنة وهو استدلال باطل وهذا المفهوم هو مايسمونه بعلم الباطن وأن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا ، ويقصدون بعلم الظاهر علم الشريعة التى تعبدنا الله بها وهذا العلم عندهم علم العوام ، أما العلم الثانى وهو المقصود الحقيقى من نزول القرآن الكريم فهو علم الباطن وهذا العلم لا يقدر عليه ولا يتمكن منه إلا من سلك طريق القوم ، وكما قلت فإنهم يستدلون لهذا بالقرآن الكريم والسنة النبوية فأما القرآن الكريم فقصة موسى عليه السلام مع الخضر (١) عليه السلام .

---

(١) ذكر ابن قتيبة فى المعارف (ص٤٢) أن اسم الخضر : ... بليا بن ملكان بن فالخ بن شامخ ارفخشند بن سالم بن نوح عليه السلام : ويلقب بالخضر وهو بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما فى نظائرة (تهذيب الاسماء واللغات ١ / ١٧٦) واما تسميته بالخضر فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خضراء" أخرجه البخارى فى الأنبياء (باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) رقم: ٣٤٠٢ الفتح (٦/٤٣٣) والترمذى فى التفسير
==

== (باب ومن سورة الكهف) رقم: (٣١٥١، السنن (٥/٣١٣، وانظر جامع الاصول (٨/٥٢٤) رقم الحديث ٦٣٢٢ والمراد بالفروه ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات قاله عبد الرازق (احمد ٢/٣١٨) وقد انقسم الناس فى حياة الخضر وبقائه الناس إلى فريقين ، قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات (١/١٧٧) " واختلفوا فى حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر" ونقل عن ابن الصلاح قوله فى فتاويه " هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين" .

تهذيب الاسماء واللغات (١/١٧٧) .

وقد ذهب إلى هذا القول من علماء المغرب ابن أبى زيد القيروانى وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المؤمن المتكلم و غيرهما وقد سئل الإمام ابن أبى زيد عن الخضر فقيل له هل يقال إنه باق فى الدنيا مع هذه القرون ثم يموت لقيام الساعة أو هل يرد هذا قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ) الأنبياء : ٣٤ ،

فأجاب: "إن ذلك ممكن جائز وأن يبقى الخضر عليه السلام إلى النفخ فى الصور وإن الخلود إنما هو اتصال بقائه ببقاء الآخرة ، وان البقاء إلى النفخ ليس بخلود ألا ترى أن إبليس لعنه الله لا يسمى خالدا وإن كان من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم" .

انظر ترتيب المدارك (٢/٤٩٦) .

وقد استدلوا على ذلك بحكايات وآثار عن السلف وغيرهم وجاء ذكره فى بعض الأحاديث قال ابن كثير عنها فى تفسيره : (٣/١٦٢) "ولا يصح شئ منها ==

== وأشهر هذه الأدلة حديث التعزية الذى ورد ذكره فى المهذب للشيرازى (١٤٦/١) حيث قال الشيرازى " يستحب أن يعزي بتعزية الخضر عليه السلام أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو ان يقول : إن فى الله سبحانه وتعالى عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ومن كل فائت فبالله ثقوا وإياه فأرجوا فإن المصاب من حرم الثواب قال ابن كثير عنه : إسناده ضعيف ==

وحديث رباح عن عبادة بن الصامت " رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز يعتمد على يده فقال رباح : من هذا الذى رأيتك تعتمد عليه فقال : إنه الخضر" وهو فى الحلية (٢٥٤/٥) والسير (١٢٢/٥) وأورده الهندى فى تذكرة الموضوعات (ص١٠٨) ونقل عن السيوطى قوله فيه : حديث رباح كالريح وقال ابن حجر هو أصح ما ورد فى بقائه .- والحديث تفرد به ضمره وهو معدود فى جملة منكراته ، وقد أخرجه الترمذى وقال : لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ .

وذهب المحققون من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام ميت وليس حيا كما يزعم هولاء ، أشهرهم ابن المبارك وابراهيم الحربى وأحمد بن حنبل والبخارى وابن حزم وابن العربى وابن الجوزى وابن تيمية وابن حجر وغيرهم .

يقول الإمام ابن تيمية جوابا لمن سأله عن الخضر وإلياس هل هما معمران .

"إنهما ليسا فى الأحياء ولا معمران وقد سأل إبراهيم الحربى احمد بن حنبل عن تعمير الخضر والياس وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما فقال الإمام احمد من أحال على غائب لم ينصف وما القى هذا إلا الشيطان" .

الفتاوى (٣٣٧/٤) .

واستدل هولاء بعدة أدلة منها : قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ) الأنبياء ٣٤) وقوله عليه الصلاة والسلام يوم بدر : " اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض) أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد ==

والتي جاء ذكرها في سورة الكهف في قوله سبحانه : (قَالَ : هَل أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ؟ قَالَ : سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قَالَ : فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ : أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً إلى قوله تعالى وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً " (الكهف: ٦٧-٨٢) .

== والسير (باب الإمداد بالملائكة) رقم: ١٧٦٣ صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣-١٣٨٤) والترمذي في تفسير القرآن (باب من سورة الأنفال) رقم: ٣٠ السنن (٥/ ٢٦٩) واحمد في المسند (١/ ٣٠) وبأن الخضر لم ينقل عنه أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع الثقلين الجن والإنس وقد قال : " لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي " انظر صحيح مسلم (٥/ ١٥٦) مسند احمد (١/ ٣٠) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢) .

وفي هذا الدليل يقول ابن تيمية أيضا في الفتاوى (٢٧/ ١٠) : " واذا كان الخضر حيا أو دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون "

والدليل الآخر اخباره عليه الصلاة والسلام أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض الى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف .

وقالوا في الأحاديث التي استدل بها الفريق الآخر بأن " بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجل مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر أو أنها أدخلت على الثقات استغفالا " انظر الفتاوى (٢٧/ ١٠) وأختم كلامي ==

وهى قصة فى الواقع ليس فيها حجة على ما يذهبون إليه من الاطلاع على الغيب الذى لا يعلمه عموم الناس" وإنما كما يقول الإمام ابن تيمية "فيها علمه (أى الخضر عليه السلام) بأسباب لم يكن علم بها موسى مثل علمه بأن السفينة لمساكين ووراءهم ملك ظالم وهذا أمر قد يعلمه غيره وكذلك كون الجدار لغلامين يتيمين وأن أباهما كان رجلا صالحا هذا مما قد يعلمه كثير من الناس، وكذلك الصبى مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لحبهما له لا ينكران عليه أو لا يقبل منهما الإنكار" (١).

ويستدلون لذلك أيضا ببعض الأحاديث منها حديث أبى هريرة (٢) رضى الله عنه الذى يقول فيه: "حفظت من رسول الله وعاءين: أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم" (٣).

وهو استدلال باطل أيضا لأن الذى كتمه أبو هريرة - رضى الله عنه أحاديث الفتن التى تكون بين المسلمين ولهذا لما كان مقتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وفتنة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال عبد الله بن عمر (٤) رضى الله عنه "لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم كذب أبو هريرة" فكان أبو هريرة يمتنع عن التحدث بأحاديث الفتن قبل وقوعها لأن ذلك مما لا تحتمله رؤوس العوام" (٥).

== هذا بما قاله ابن حزم ردا على دعواهم حيث يقول: "فزعموا أن الخضر والياس عليهما السلام حيان وادعى بعضهم أنه يلقى إلياس فى الخلوات والخضر فى المروج والرياض وأنه متى ذكر حضر على ذاكره ثم قال ابن حزم "فان ذكر فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفى ألف موضع فى دقيقة واحدة كيف يصنع؟ أنظر الفصل (٤/ ١٨٠).

(١) انظر درء التعارض (٨/ ٤٢٩) وانظر أيضا المجلد الثانى من مجموعة الرسائل لابن تيمية (ص٧٧).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب العلم (باب حفظ العلم) رقم: ١٢٥، الفتح (٢١٦/١)

(٤) سبقت ترجمتهم

(٥) فتح البارى (٢١٦/١-٢١٧).

قال ابن المنير (ت ٦٩٥)[1]: "جعل الباطنية[2] هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين".

قال "وإنما أراد أبو هريرة بقوله "قطع" أى قطع أهل الجَوْرِ رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم".[3]

فقد ورد في المدارك[4] للقاضي عياض أن رجلا سأل الإمام مالكا عن علم الباطن فأجاب: "لا يعرف علم الباطن من لا يعرف علم الظاهر، فمن عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن"[5] والباطن الذى يقصده مالك ليس هو الذى يرمى إليه الصوفية والذى يعنى الزندقة والإلحاد فى ايات الله وتعطيل شعائر الله وتحليل ما حرم الله وإنما المقصود منه مايلقيه الله فى قلب المؤمن من نور الإيمان وهذا الذى قاله الإمام مالك هو الحق.

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن منصور بن أبى القاسم بن المختار الأسكندرى الملقب بزين الدين بن المنير محدث توفى يوم عيد الأضحى سنة ٦٩٥ وكانت ولادته سنة ٦٢٩، من مصنفاته: شرح الجامع الصحيح للبخارى والمتوارى من تراجم البخارى.
مصادر ترجمته: التنبكتى: نيل الابتهاج (٢٠٢-٢٠٤)، البغدادى. هدية العارفين (٧١٤/١) معجم المؤلفين (٢٣٤/٧).

(٢) الباطنية: هم فرق متعددة من أهل الضلال وقولهم ان للنصوص الشرعية ظاهرا وباطنا فالظاهر للعوام والمحجوبين والباطن للخواص.

(٣) الفتح (٢١٧/١)

(٤) (١٧٢/١).

(٥) ترتيب المدارك (١٧٢/١).

موقف الإمام مالك من الصفات:

عرفنا مما سبق من البحث أن الإمام مالكا رحمه الله كان يكره الخوض في صفات الله تعالى ، لأن سلف الأمة وخيارهم من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيها ، بل كانوا يسلمون بكل ماورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يثر جدال حول الصفات في عهد الصحابة ولا التابعين ثم جاء من بعدهم فساروا على منوالهم ولم يسألوه عن مثل هذا بل كان تفسيرهم لها هو إمرارها كما جاءت،

== بالسير والأخبار والحديث والفقه وكان من أكثر الناس تأليفا ، وكان أديبا وشاعرا ، وقد لقي من أجل ظاهرتيه مقاومة شديدة من علماء عصره.من أشهر مؤلفاته: المحلى " والأحكام" والفصل ". توفي سنة ٤٥٦ وكانت ولادته سنة ٣٨٤.

مصادر ترجمته: جذوة المقتبس (٣٠٨-٣١١) رقم: ٧٠٨ وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤-٢١٢)رقم: ٩٩ ،تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٦-١١٥٤)رقم ١٠١٦ وانظر مقدمة كتاب (الدرة فيما يجب اعتقاده)التي كتبها محققا الكتاب الدكتور أحمد بن ناصر الحمد والدكتور سعيد بن عبد الرحمن القزقي (ص٤-٤٣) ، حيث وضعا قائمة بالبحوث والمقالات التي كتبت حول ابن حزم رحمه الله. وكذلك السير (١٨/ ١٨٤) هامش رقم (١) قائمة طويلة بمصادر ترجمته.

يقول الامام ابن عبد البر (١) : " وقد روينا عن مالك ابن أنس والأوزاعى (٢) وسفيان بن (٣) سعيد ومعمر بن راشد (٤) وسفيان بن عيينة (٥) فى الأحاديث فى الصفات أنهم كلهم قال : امروها كما جاءت نحو حديث التنزل (٦) .

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) مرت رترجمته .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) هو الامام معمر بن راشد الأزدى الحدانى مولاهم أبو عروة بن عمرو البصرى سكن اليمن روى عن ثابت البنانى وقتادة والزهرى وغيرهم وروى عنه عمرو بن دينار وابن جريج وهشام الدستوائي وغيرهم ، كان فقيها حافظا ورعا توفى سنة ١٥٣ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/ ٣٧٨-٣٧٩) رقم: ١٦٣١ الجرح والتعديل (٨/ ٢٥٥-٢٥٧) رقم: ١١٦٥ تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٠٧) رقم ١٥٥ سير أعلام النبلاء (٧/ ٥-١٨) رقم: ١ تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٣٤-٢٣٦) رقم: ٤٣٩ .

(٥) مرت ترجمته .

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب التهجد (باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) عن أبى هريرة رضى الله عنه رقم: ١١٤٥ ، الفتح (٣/ ٢٩) ، وفى كتاب الدعوات (باب الدعاء نصف الليل) رقم: ٦٣٢١ ، الفتح (١١/ ١٢٨-١٢٩) وفى كتاب التوحيد (باب قوله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله) رقم: ٧٤٩٤ ، الفتح (١٣/ ٤٦٤) ، وأخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (باب الترغيب فى الدعاء والذكر آخر الليل) رقم: ٧٥٨ (١/ ٥٢١-٥٢٢) . وأبو داود فى كتاب الصلاة (باب أى الليل أفضل) رقم: ١٣١٥ (٢/ ٣٤) وفى كتاب السنة (باب الرد على الجهمية) رقم: ٤٧٣٤ (٤/ ٢٣٤) ، وأفرد له

==

وحديث أن الله خلق آدم علـــى صورتـــه (١) : وأنـــه يدخل قدمه

== بن حزيمة فصلا كاملا من كتابه التوحيد (٨٣-٩٠) . ولفظ الحديث عـــن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينزل ربنـــا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخيـــر يقول : من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له".

(١) حديث الصورة أخرجه البخارى فى صحيحة فى كتاب الأستئذان (باب بدء الأسلام)رقم : ٦٢٢٧.
انظر الفتح (٣/١١) . وأحمد فى المسند (٢/٣١٥) وابن خزيمه فى كتاب التوحيد (٣٩-٤١) من طريق معمر عن همام بن منبـــه عن أبى هريـــرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خلق الله آدم علـــى صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك نفر مـــن الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم ، فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزاده "ورحمة الله" فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن" وأخرجه مسلم برقم : (٢٦١٢) (٤/٢٠١٧) فى كتاب البر والصلة (باب النهى عن ضرب الوجه) وأحمد (٢/٤٦٣ ، ٥١٩) وابن حزيمة (ص٣٦-٣٨) بلفظ آخر عن طريـــق قتادة عن أبى أيوب المراغى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلـــق آدم على صورته " .
وأخرجه من طريق سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة الأمـــام احمد فى المسند (٢/٢٤٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٩٠) . والآجرى فى الشريعة ولنا عودة مع هذا الحديث لنرى أقوال العلماء فيه ==

فى جهنم (١) وما كان مثل هذه الأحاديث (٢) وسئل ابن خزيمـــه (٣) عـــن الكلام فى الاسماء والصفات فقال "بدعه ابتدعوها ، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب

---

(١) أخرجه البخارى فى التفسير (باب وتقول هل مزيد) رقم: ٤٨٤٨، ٤٨٤٩، ٤٨٥٠ الفتح (٨/٥٩٤-٥٩٥) وفى كتاب الايمان (باب الحلف بعزة الله وصفاته) رقم: ٦٦٦١ الفتح (١١/٥٤٥) وفى كتاب التوحيد (باب قوله عزوجل) (وهو العزيز الحكيم ...) رقم: ٧٣٨٤ ، الفتح (١٣/٣٦٩) ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (بـــاب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) رقم: ٢٨٤٦، ٢٨٤٧ ٢٨٤٨ (٤/٢١٨٦-٢١٨٨) والترمذى فى كتاب التفسير (باب ومـــن سورة ق) رقم: ٣٢٧ (٥/٣٦٤) وأحمد (٢/٣٦٩، ٥٠٧) (٣/١٣) ولفظ الحديث "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العـــزة قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها الى بعض" .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٦)

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى الشهيـــر بابن خزيمة الحافظ الحجة الفقيه إمام الأئمة ، كانت له عناية بالفقه والحديث منذ صغره وأصبح مضربا للمثل فى سعة العلم والإتقان وسمع بن إسحـــاق بن راهويه وغيره وعنه البخارى ومسلم وغيرهما ألف العديد من الكتب القيمـــة فى التوحيد والحديث منها كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب) وكتـــاب (صحيح ابن خزيمة) توفى رحمه الله سنة ٣١١ وكانت ولادته سنة ٢٢٣ . مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (٧/١٩٦) رقم١١٠٣ المنتظم(٦/١٨٤-١٨٦) رقم: ٢٩٤ سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٥-٣٨٢) رقم : ٢١٤ طبقات الشافعية (٣/١٠٩-١١٩) رقم: ١١٩ البداية والنهايـــة (١١/١٤٩) شذرات الذهب (٢/٢٦٢-٢٦٣) .

المذاهب وأئمة الدين مثل مالك وسفيان والأوزاعى والشافعى وأحمد واسحاق (١) ويحي بن يحي (٢) وابن المبارك (٣) وأبى حنيفة ومحمد بن الحسن وأبى يوسف (٤)

---

(١) هوأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن راهويه شيخ المشرق وسيد الحفاظ سمع من ابن المبارك وغيره، وعنه البخارى ومسلم وغيرهما ، توفى ليلة النصف من شعبان سنة ٢٣٨هـ وكانت ولادته سنة ١٦١هـ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (١/ ٣٧٩-٣٨٠) رقم: ١٢٩ الجرح والتعديل (٢/ ٢٠٩-٢١٠) رقم: ٧١٤ حلية الأولياء (٩/ ٢٣٤-٢٣٨) رقم: ٤٤٦ سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨-٣٨٣) رقم: ٧٩ ، تهذيب التهذيب (١/ ٢١٦-٢١٩) رقم: ٤٠٨ .

(٢) هو أبو زكريا يحي بن يحي بن بكر بن عبد الرحمن النيسابورى الحافظ عالم خراسان لقى صغار التابعين وعنه أخذ البخارى ومسلم وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهم قال عنه أحمد بن حنبل كان يحي بن يحي اماما توفى سنة ٢٢٦ .
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٨/ ٣١٠) رقم: ٣١٣١ ، الجرح والتعديل (٩/ ١٩٧) رقم ٨٢٣ سير اعلام النبلاء (١٠/ ٥١٢-٥١٩) رقم ١٦٧ وغيرهما من المصادر .

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك محدث كبير وفقيه أصله من العجم روى عن الثورى وابن عيينة وغيرهما وعنه عبد الرحمن بن مهدى وفضيل بن عياض وغيرهما ، من مؤلفاته كتاب الزهد " توفى رحمه الله سنة ١٨١ وكانت ولادته سنة ١١٨ .
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٢-١٦٩) رقم: ٥٣٠٦ سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨-٤٢١) رقم: ١١٢ حلية الأولياء (٨/ ١٦٢-١٩٠) رقم: ٣٩٧ الجرح والتعديل (٥/ ١٧٩-١٨١) رقم: ٨٣٨ تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢-٣٨٧) رقم: ٦٥٧ .

(٤) هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الكوفى ==

يتكلمون في ذلك وينهون عن الخوض فيه ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة "(١)

ويقول سفيان بن عيينة (٢) " كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره

تلاوته والسكوت عليه " (٣) ويقول الإمام مالك ايضا : " امض الحديث كما ورد بلا قيد

ولا تحديد " (٤) ويزيد الشيخ أبو النصر السجزي (٥) (ت ٤٤٤ هـ) في كتابه

(الإبانة) توضيحا لمذهبهم فيقول: "وأئمتنا كسفيان الثوري ومالك ابن أنس وسفيان

بن عيينة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل

وإسحاق بن راهوية متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وأن علمه بكل مكان وأنه

يرى يوم القيامة بالأبصار وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم

بما شاء فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء .

== وكان سعد بن حبتة صحابيا قرأ على هشام بن عروة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبي حنيفة ، وتولى القضاء ببغداد وظل فيه حتى وفاته والف عدة موءلفات منها " كتاب الخراج " توفي ببغداد سنة ١٨٢ وكانت ولادته بالكوفة سنة ١١٣ .

مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٢٤٢/١٤-٢٦٢) رقم: ٧٥٥٨ الانتقاء (١٧٢-١٧٣) الوفيات لابن خلكان (٣٧٨/٦-٣٩٠) رقم: ٨٢٤ ميزان الاعتدال (٤٤٧/٤) رقم: ٩٧٩٤ ، وانظر مصادر أخرى عند فؤاد سركين . (٥٢/٣/١) .

(١) جامع بيان العلم وفضله (٩٦/٢)

(٢) مرت ترجمته .

(٣) انظر الاعتقاد للبيهقي (٧٨) وقد صحح الحافظ ابن حجر اسناده (٤٠٧/١٣) من الفتح .

(٤) الصواعق المرسلة (٢٥١/٢)

(٥) هو عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي الحافظ منسوب إلى قرية على ثلاث فراسخ . ==

وهم منه براء (١) .

فمذهب السلف إذاً كما يلخصه لنا الإمام الذهبي هو "إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات المقدسة وقد علم المسلمون أن ذات الباري موجودة لا مثل لها وكذلك صفاته تعالى موجودة لا مثل لها" (٢) .

ويقول الإمام الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) (٣) : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة مثل هذا ، فيه أمر الرؤية : أن الناس يرون ربهم وذِكْرُ القَدَم وما أشبه هذه الأشياء والمذاهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء .

ثم قالوا نروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت وتؤمن بها ولا تفسر ولا توهم ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه" (٤)

== من سجستان وكان قيماً لأصول والفروع وله تصانيف حسان منها الإبانة توفى سنة ٤٤٤ .

مصادر ترجمته : المنتظم لابن الجوزي (٨ / ٣١٠) رقم : ٣٧٢ سير أعلام النبلاء (١٧ / ٦٥٤-٦٥٧) رقم : ٤٤٥ شذرات الذهب (٣ / ٢٧١-٢٧٢) .

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢ / ٣٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢) .

(٣) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي ولد سنة ٢١٠ في ترمذ ودرس في بخارى ورحل إلى العراق والحجاز من شيوخه الإمام البخاري توفى سنة ٢٧٩ من مصنفاته الجامع في السنن .

مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ٦٣٣-٦٣٥) ، ميزان الاعتدال (٣ / ١١٧) ، تهذيب التهذيب (٩ / ٣٨٧-٣٨٩)

(٤) سنن الترمذي (٤ / ٦٩٢) .

هذا وقد ذكر الإمام الذهبي عن الإمام مالك أنه لما سئل عن الأحاديث التي مر ذكرها وهي أحاديث النزول والصورة والقدم، أنكر ذلك أشد الإنكار ونهى أن يحدث بها أحد [1].

ثم اعتذر له بقوله: "أنكر الإمام مالك ذلك لأنه لم يثبت عنده ولا اتصل به فهو معذور" اهـ قلت: الحقيقة أن اعتذار الإمام الذهبي هذا لا يقوم عليه دليل وبخاصة إذا علمنا أن الذي ذهب إليه الإمام مالك هو الذي كان عليه كثير من علماء السلف وهو الامتناع عن التحديث ببعض العلم دون بعض خشية أن يحمل على غير وجهه أو يفسر على غير حقيقته فيقع صاحبه في المحظور وقد عقد له الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) [2] بابا في صحيحه فقال: (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا واستدل له بقول علي [3] رضي الله عنه "حدثوا الناس بما

---

(١) السير (٨/١٠٤).

(٢) هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي ولد سنة ١٩٤. في بخارى وكان جد أبيه فارسيا اسمه يردزبه وقد طلب الحديث في وقت مبكر، وخرج للحج واستمع الى علماء مكة والمدينة ثم رحل الى مصر، ألف عدة كتب، أشهرها كتاب: الجامع الصحيح أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، توفي سنة ٢٥٦.
ترجمته: تهذيب الأسماء واللغات (١/٦٧-٧٦) السير (١٢/٣٩١-٤٧١) رقم: ١٧١، طبقات الشافعية (٢/٢١٢-٢٤٢) رقم: ٥٤ تهذيب التهذيب (٩/٤٧-٥٥) رقم: ٥٣، وانظر مصادر أخرى عند فؤاد سزكين (١/١/٢٢٢-٢٢٥).

(٣) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وريحانته فاطمة بنت رسول الله عليه السلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من أسلم من الأطفال تربى في حجر رسول الله وهو الذي فتح الله على يديه خيبر تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ ومات مقتولا رضي الله عنه قتله ابن ملجم عليه لعنة الله

==

يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (١) ومثله قول ابن مسعود (٢) رضى الله عنه " ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (٣) وقال الإمام ابن حجر بعد ذكر هذه الآثار. " وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد فى الأحاديث التى ظاهرها الخروج على السلطان ومالك فى أحاديث الصفات وأبو يوسف فى الغرائب " (٤).

قلت: وممن كره التحديث ببعض دون بعض أبو هريرة رضى الله عنه فى أحاديث الفتن كما سبق ذكره (٥).

ويؤكد الإمام ابن عبد البر هذا المعنى بقوله: "وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض فى التشبيه بكيف هاهنا" (٦) وينقل عن يحيي بن

== تعالى - سنة ٥٠٤ - ومناقبه جمة .
مصادر ترجمته: الأستيعاب (٣/٢٦-٦٨) حلية الأولياء (١/٦١-٦٧)، رقم: ٤ البداية والنهاية (٧/٣٢٤) الى (٨/١١) الاصابة (٢/٥٠٧-٥١٠) رقم: ٥٦٨٨ تهذيب التهذيب (٢/٣٣٤-٣٣٩) رقم: ٥٦٥، شذرات الذهب (١/٤٩-٥٢) وغيرها كثير .

(١) انظر الفتح (١/٢٢٥)

(٢) مرت ترجمته.

(٣) رواه مسلم (١/١١) فى المقدمة (باب النهى عن الحديث بكل ما سمع).

(٤) فتح البارى (١/٢٢٥).

(٥) راجع ص .

(٦) انظر التمهيد (٧/١٥٠) وامتناع الامام مالك عن الخوض فى هذا العلم ليس له علاقة بكتمان العلم لأنه كان يرى أن هذا العلم ضرره أكثر من نفعه من حيث أنه يثير الشبهات لدى العامة وقد يوقعهم فى التشبيه ومن هنا ==

إبراهيم بن مزين [(١)] (ت ٢٥٩ هـ) قوله في تفسير كراهيـه مالك "إنما كره مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث لأن فيها حدا وصفة وتشبيها" [(٢)].

وعلى هذا فاعتذار الإمام الذهبي ليس عليه دليل والله أعلم. ولكن رغم امتناعه وكراهته التحديث بهذا العلم إلا أنه اضطر - بعبارة ابن عبد البر - إلى بيان رأيه في مسائل العقيدة، وفيما يلي المسائل التي تكلم فيها كما نقلتها عن كتب العقائد والتراجم .

قوله في الاستواء :-

لقد تواتر عن الإمام مالك أنه سئل عن قوله تعالى : (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) طه : ٥ كيف استوى ؟ فأجاب: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة" [(٣)]

== فالامتناع عن الخوض فيه والاهتمام بغيره من العلوم أولى .

(١) هو يحي بن زكريا بن إبراهيم بن مزين مولى رملة بنت عثمان بن عفان أصله من طليطلة وانتقل إلى قرطبة فاقطعه الأمير عبد الرحمن قطائع روى عن عيسى بن دينار وغازي بن قيس وغيرهما، ورحل إلى المشرق فدخل مصر والمدينة والعراق، وسمع بها ، وكان حافظا للموطأ فقيها فيه وكان موصوفا بالفضل والدين توفي سنة ٢٥٩ بطليطله .
مصادر ترجمته: الديباج المذهب (٢/ ٣٦١) رقم: ١٤

(٢) التمهيد (٧/ ١٥١-١٥٢) .

(٣) أورده الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣) واللالكائي (٣/ ٣٩٨) ، والذهبي في العلو عن يحي بن يحي التميمي وجعفر بن عبد الله وطائفة قالوا : جاء رجل إلى مالك فقال : يا أبا عبد الله "الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ" كيف استوى ؟ قال : فما رأيته وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق فسرى عن مالك وقال : "الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج انظر مختصر العلو (ص ١٣٢)
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧) "وأخرج البيهقي بسند ==

وهو قول مروى عن أم سلمه (١) رضى الله عنها وربيعه بن أبى عبد الرحمن (ت١٣٦هـ) (١) ، وهو مذهب السلف وعقيدتهم إثبات المعنى وهو أمر معلوم لا يجهله أحد ، فليس هناك من لا يعرف معنى الاستواء ، لكن الذى نجهله هو الكيف لأنه فى حق الله تعالى والكيف لا يعرف إلا بالمشاهدة أو بالسماع أو بالقياس وهى منتفية فى حق الله تعالى ، فليس هناك من رأى الله حتى يمكنه أن يصفه لنا لان رؤيته فى الدنيا ممنوعه كما قال تعالى (لَن تَرَانِي) الاعراف: ١٤٣ أى فى الدنيا ، أما فى الآخرة فهى ثابتة للمؤمنين لقوله تعالى " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " سورة القيامه ٢٢ .

== جيد عن عبد الله بن وهب قال (وذكر قول مالك) وانظر التمهيد (٧/ ١٣٨) والحلية لأبى نعيم (٦/ ٣٢٥-٣٢٦) واجتماع الجيوش الأسلامية (٧٥) .

(١) هى أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومية بنت عم خالد بن الوليد من المهاجرات الأول ، كانت قبل النبى عند أخيه من الرضاعة أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة أربع من الهجرة وهى آخر من مات من أمهات المؤمنين ، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين بن علي الشهيد فحزنت عليه كثيرا ولم تلبث بعده إلا قليلا وانتقلت إلى ربها سنة ٦١ .

مصادر ترجمتها : مسند احمد (٦/ ٢٨٨) .

المعارف (١٣٦) الجرح والتعديل (٩/ ٤٦٤) رقم: ٢٣٧٥ .

سير اعلام النبلاء (٢/ ٢٠١-٢١٠) رقم: ٢٠ تهذيب التهذيب (١٣/ ٤٥٥-٤٥٧) رقم: ٢٩٠٥ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ القرشى التيمى مولاهم المشهور بربيعة الرأى الإمام الفقيه مفتى المدينة وعالم وقته كان ذا فطنة وسنة ومن آئمة الاجتهاد توفى سنة ١٣٦ .

مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨-٢٩٠) رقم: ٢٣٢ السير (٦/ ٨٩-٩٦) رقم: ٢٣ تهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٨-٢٥٩) رقم: ٤٩١ شذرات الذهب (١/ ١٩٤) .

والأثر عنه رواه البيهقى فى الأسماء والصفات (ص٤٠٨) واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨) والتمهيد (٧/ ١٣٨) .

الأمر الآخر هو الإخبار عنه وهذا الأمر كذلك منتف في حقه سبحانه لأنه مترتب على الرؤية ولما كانت الرؤية منتفية فكذلك الإخبار عن صفاته سبحانه منتف، وفي هذا المعنى يقول الإمام الذهبي (١) : " وإنما الصفة تابعة للموصوف فإذا كان الموصوف عز وجل لم نره ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى : ١١ فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية الباري تعالى الله عن ذلك فكذلك صفاته المقدسة نقر بها ونعتقد أنها حق ولا نمثلها أصلا ولا نتشكلها" (٢)

وعلى هذا فلم يبق لنا إلا إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه وبهذا نسلم من الوقوع في الخطأ والاضطراب كما حصل لأولئك الذين خاضوا في هذه الدروب ولم يسعهم ما وسع السلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين كانوا يؤمنون بما ورد من صفاته كما قال الأوزاعي : "كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة في صفاته" (٣) بل ذهب مالك إلى أن "من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) المائدة:٦٤ وأشار بيده إلى عنقه ومثل قوله تعالى : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الشورى : ١١ فأشار إلى عينيه وأذنيه أو شيء من بدنه قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه" ثم مثل مالك على ذلك بقصة البراء (٤) حين حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١١) .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٢) .

(٤) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب ابن الحارث أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني روى حديثا كثيرا وشهد غزوات كثيرة ، حدث عنه أبو اسحاق السبيعي وعدي بن ثابت وغيرهما توفي سنة ٧٢ عن بضع وثمانين سنة مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦٤-٣٦٨) (٦/ ١٧) التاريخ الكبير

==

" لا يضحي بأربع من الضحايا وأشار البراء بيده كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال البراء ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] إجلالا وهو مخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء " [(٢)].

والإمام مالك يقصد بقوله هذا: مَنْ قَصَدَ إلى تشبيه صفات الله بخلقه فهذا جزاؤه أما من أراد تحقيق إثبات السمع والبصر وبيان مَحَلِّهِمَا من الإنسان فلا لأنه قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فقد روى أبو داود [(٣)] (ت ٢٧٥ هـ) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا - إلى قوله - إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) النساء: ٥٨ ووضع إبهامه (صلى الله عليه وسلم) على أذنه

== (١١٧/٢) رقم: ١٨٨٩، المعارف (٣٢٦) الجرح والتعديل (٣٩٩/٢) رقم: ١٥٦٦، سير اعلام النبلاء (١٩٤/٣-١٩٦) رقم: ٣٩ تهذيب التهذيب: (٤٢٥/١-٤٢٦) رقم: ٧٨٥.

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الضحايا (باب ما ينهى عنه من الضحايا) رقم الحديث: ١ الموطأ (٤٨٢/٢) والنسائي في كتاب الضحايا (باب ما نهي عنه من الضحايا) (١٨٨/٧-١٨٩). وأحمد في المسند (٣٠٠/٤).

(٢) انظر التمهيد (١٤٥/٧-١٤٦).

(٣) هو الإمام أبو داود سليمان بن أشعث بن اسحاق الأزدي السجتاني أصله من سجستان، روى عن أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي واستقر في البصرة بعد رحلة طويلة وبها توفي سنة ٢٧٥ وكانت ولادته سنة ٢٠٢.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٥٥/٩-٥٩) رقم: ٤٦٣٨ التهذيب لابن عساكر (٢٤٦/٦-٢٤٨) المنتظم (٩٧/٥-٩٨) رقم: ٢١٤ تهذيب التهذيب (١٦٩/٤-١٧٣) رقم: ٢٩٨ طبقات الشافعية (٢٩٣/٢-٢٩٩) رقم: ٦٧ فؤاد سزكين (٢٩٠/١/١-٢٩١).

والتى تليها على عينه وكذلك فعل أبو هريرة .[١]

قال البيهقى (ت٤٥٨ﻫ)[٢] "أراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر وبيان محلهما من الإنسان ، ولم يرد بذلك الجارحة فإن الله منزه عن مشابهة المخلوقين"[٣] وإذا كان الله تعالى مستويا على عرشه فإن علمه فى كل مكان لا يخلو منه شئ[٤] وهكذا كان يقول الإمام مالك فى علم الله تعالى وهو الذى عليه السلف رضى الله عنهم وهو الذى دل عليه القرآن والسنة قال تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا) المجادلة : ٧ أى بعلمه قال ابن عبد البر فى التمهيد[٥] "وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب السنة (باب فى الجهمية) رقم: ٤٧٢٨ (٤/ ٢٣٣) والحاكم فى مستدركه (١/ ٢٤) وقال : صحيح ولم يخرجاه وقال الذهبى على شرط مسلم .

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين بن على بن موسى الخراسانى البيهقى شيخ الإسلام كتب الحديث وحفظه فى صباه وجمع بينه وبين الفقه وصنف تصانيف نافعة منها : السنن الكبرى توفى سنة ٤٥٨ .
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفترى (٢٦٥-٢٦٧) وفيات الأعيان (١/ ٧٥-٧٦) رقم: ٢٨ سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣-١٧٠) رقم: ٨٦ ، طبقات الشافعية (٤/ ٨-١٦) رقم: ٢٥٠ شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤-٣٠٥)

(٣) انظر فتح البخارى (١٣/ ٣٧٣) .

(٤) الانتقا . (٣٥) .

(٥) (٧/ ١٣٨-١٣٩) .

قالوا في تأويل قوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ) الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به .

قوله في رؤية الله تعالى : هذه المسألة كذلك مما لم يختلف فيها السلف الصالح رضي الله عنهم - من الصحابة والتابعين فكانوا يثبتونها تبعا للنصوص الواردة فيها من القرآن والسنة النبوية الشريفة التي أثبتت رؤية الله تعالى في الآخرة ونفتها في الدنيا إلا مناما "(١) .

فقد جاء إثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين في قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة : ٢٢ ، ٢٣) وقوله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) يونس: ٢٦ وقد فسر العلماء هذه الزيادة برؤية الله تعالى يوم

---

(١) الدليل على جواز رؤية الله تعالى في المنام ما رواه الامام أحمد في مسنده رقم الحديث : ٢٥٨٠ (٤/ ٢٠١) دار المعارف ، ورقم ٢٦٣٤ (ص٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رأيت ربي تبارك وتعالى " وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديثين وقال وهو في مجمع الزوائد (١/ ٧٨) وقال البيهقي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وعقد أبو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنة فصلا بعنوان (بـاب ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه) (ص١٨٨-١٩٣) أورد فيه عدة احاديث منها حديث ابن عباس (رقم: ٤٣٣) وصححه الألباني وقال أخرجه أحمد والآجري (٤٩٤) والبيهقي في الأسماء والصفات) ص٤٤٤ وقد علق في صحيح الجامع الصغير (٣/ ١٦٨) على حديث ابن عباس بقوله " يعني في المنام كما تدل عليه الروايات الأخرى " . وأما ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه ليله المعراج فقد قال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل . (٥/ ٣٨٤) " وأما ليلة المعراج فليس في شيء من الأحاديث

==

القيامة قال ابن عطية [(١)] (ت ٥٤١هـ) فى تفسيره [(٢)] : " قالت طائفة وهى الجمهور: الحسنى الجنة والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل وروى فى نحو ذلك حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم [(٣)] .

== المعروفة أنه رآه ليلة المعراج لكنه روى فى ذلك حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث . . .) .

وقال فى موضع آخر وهو ينتقد كتاب (إبطال التأويل) لأبى يعلى والأحاديث التى وردت فيه ومنها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج " .

انظر " رد تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٧)" .

وهذه الأحاديث أوردها ابن الجوزى فى موضوعاته (١/ ١٥) والسيوطى فى اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٣-٤١) منها " حديث " لما أسرى بى الى السماء وانتهيت رأيت ربى عز وجل بينى وبينه حجاب بارز فرأيت كل شئ منه حتى رأيت تاجا مخوصا من لؤلؤ" .

وأنظر حول هذه الأحاديث وما قيل فيها (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث) (ص٧٩) (ط صبيح ١٣٤٧) (تذكرة الموضوعات للفتني ، ص ١٢) وموضوعات على القاري (ص٤٤) (تنزيه الشريعة (١/ ١٤٥) .

(١) هو الامام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى روى عن أبيه وغيره وهو أحد أعلام الأندلس الحائزين قصب السبق فى ميادين الفقه والحديث والتفسير والأدب وكان آية فى الفهم والذكاء من مؤلفاته المحرر الوجيز فى التفسير توفى سنة ٥٤١ وكانت ولادته سنة ٤٨١ .

مصادر ترجمته : الصلة (٢/ ٣٨٦-٣٨٧) رقم: ٣٠ بغية الملتمس (٣٧٦ ، ٣٧٨) رقم: ١١٠٣ طبقات المفسرين للداودى (١/ ٢٦٠-٢٦١) رقم: ٢٥١ شجرة النور الزكية (١/ ١٢٩) رقم: ٣٧٥ .

(٢) (٩/ ٣٢-٣٣) .

(٣) سيأتى ذكر الأحاديث بعد هذا القول .

وروى هذا القول عن أبي بكر الصديق [١] رضي الله عنه . وحذيفة [٢] وأبي موسى الأشعري [٣] وعامر بن سعد [٤] وعبد الرحمن

---

(١) هو الصحابي الجليل وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به من الرجال وأحب الرجال إليه وصاحبه في الغار تولى الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قاد حروب الردة وافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق ، توفي سنة ١٣ حيث دامت خلافته سنتين وأشهرا وهي أقصر مدد الخلافة الراشدة .

مصادر ترجمته : حلية الأولياء (١ / ٢٨-٣٨) رقم : ١

الأصابة (٢ / ٣٤٠-٣٤٤) رقم: ٤٨١٧ تهذيب التهذيب (٥ / ٣١٥-٣١٧)

رقم: ٥٣٧ وغيرها كثير

(٢) مرت ترجمته .

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب المعروف بأبي موسى الأشعري صحابي مشهور حدث عنه أبو أمامة الباهلي وأبو سعيد الخدري وغيرهما استعمله النبي على زبيد وعدن وولي إمرة الكوفة لعمر وإمرة البصرة لعثمان آتاه الله صوتا جميلا حتى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم " لقد أوتي مزمارا من مزامير داود " وكان يعجبه سماع القرآن منه وكان أحد الحكمين في قتال علي ومعاوية اعتزل الفتنة وتوفي سنة ٥٠ .

مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٢ / ٣٤٤-٣٤٥) التاريخ الكبير (٥ / ٢٢-٢٣) رقم: ٢٥ الجرح والتعديل (٥ / ١٣٨) رقم: ٦٤٢ ، اسد الغابة (٣ / ٣٦٧-٣٦٩) رقم: ٣١٣٥ سير اعلام النبلاء (٢ / ٣٨٠-٤٠٢) رقم: ٨٢ تهذيب التهذيب (٥ / ٣٤٢-٣٦٣) رقم: ٦٢٥ .

(٤) هو الإمام عامر بن سعد بن أبي وقاص سمع من أبيه وأسامة بن زيد وعائشة وغيرهم وروى عن أبنه داود وعمرو بن دينار والزهري وآخرون توفي سنة ١٠٤ .

==

بن أبى ليلى "(١) وعن صهيب الرومى (٢) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: نادى منادى يااهل الجنه

== مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/١٦٧) تاريخ البخارى (٦/٤٤٩) رقم: ٢٩٥٢ البداية والنهاية (٩/٢٣٠) سير اعلام النبلاء (٤/٣٤٩) رقم: ١٢٢ تهذيب التهذيب (٥/٦٣-٦٤) رقم: ١٠٦.

(١) هو الامام أبو عيسى عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى الكوفى الفقيه، ولد فى خلافة الصديق وقيل غير ذلك روى عن عمرو بن مرة والأعمش وغيرهما قتل - رحمه الله فى موقعة الجماجم سنة ٨٢
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٦/١٠٩-١١٣) تاريخ البخارى (٥/٣٦٨) رقم: ١١٦٤ تاريخ بغداد (١٠/١٩٩-٢٠٢) رقم: ٥٣٤٨ الحلية (٤/٣٥٠-٣٥٨) رقم: ٢٧٨ سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٢-٢٦٧) رقم: ٩٦.

(٢) هو الصحابى الجليل صهيب بن سنان أبو يحي النمرى ويعرف بالرومى لأنه أقام فى الروم مدة ،وهو من أهل الجزيرة سبى من قرية نينوى من أعمال الموصل ثم جلب إلى مكة وقيل هرب كان من كبار السابقين البدريين حدث عنه بنوه وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبى ليلى وغيرهم وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه وهو الذى استخلفه عمر على الصلاة عندما طعن إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام وكان موصوفا بالكرم والسماحة توفى بالمدينة المنورة سنة ٣٨.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٣/٢٢٦-٢٣٠) التاريخ الكبير (٤/٣١٥) رقم: ٢٩٦٣ الجرح والتعديل (٤/٤٤٤) ، رقم: ١٩٥٠ أسد الغابة (٣/٣٦-٣٩) رقم: ٢٥٣٦ سير أعلام النبلاء (٢/١٧-٢٦) رقم: ٤.

إن لكم موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويد خلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم وهو الزيادة"[١]

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[٢] وهذا تشبيه للرؤية لا للمرئ فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه) رقم: ٢٩٧ (١/١٦٣) والترمذي في كتاب صفة الجنة (باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى) (٤/٥٩٢) رقم: ٢٥٥٢ وفي كتاب التفسير (تفسير سورة يونس) (٥/٢٦٧) رقم: ٣١٠٥ وابن ماجه في المقدمة (باب فيما أنكرت الجهمية) رقم: ٧١٧ (١/٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) رقم: ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦ الفتح (١٣/٤١٩) والامام مسلم في المساجد (باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) رقم: ٦٣٣ (١/٤٣٩-٤٤٠) واحمد في المسند (٤/٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥) وأبو داود في السنة (باب في الرؤية) رقم: ٤٧٢٩ (السنن ٤/٢٣٣) .
والترمذي في صفة الجنة (باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى) رقم : ٢٥٥٤ (السنن ٤/٥٩٤) ومعنى لا تضامون أي لا تتضامون في رؤيته بالأجتماع في جهة .
انظر الاعتقاد للبيهقي (ص ١٢٨) .

(٣) انظر لمعة الاعتقاد لموفق الدين المقدسي (ص ٢٨) .

ونفى الله تعالى الروئية فى الآخرة عن الكافرين فقال (كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) المطففين : ١٥ وهو دليل أيضا على روئية الله تعالى للموءمنين لأنه لما حجب أولئك فى حال السخط دل على أن الموءمنين يرونه فى حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق (١).

كما أنه سبحانه نفى الروئية فى الدنيا عن الجميع فقال سبحانه لموسى عليه السلام حين سأله النظر إليه (لَن تَرَانِي) أى فى الدنيا يقول ابن عطية : "نص من الله على منعه الروئية فى الدنيا "ولن" تنفى الفعل فى المستقبل ولو بقينا مع هذا النفى لمجرده لقضينا أنه لا يراه أبدا ولا فى الآخرة ولكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة فموسى عليه السلام أحرى بروئيته" (٢)

تلك كانت عقيدة السلف الصالح رضى الله عنهم إثبات روئية الله تعالى للموءمنين فى الآخرة ونفيها عنهم فى الدنيا ونفيها عن الكافرين فى الدارين ، وهى عقيدة كما نرى مبنية على النصوص الصحيحة والصريحة فى ذلك والتى لا تحتمل الشك أو التأويل وبقيت هذه العقيدة منتشرة بين الموءمنين حتى ظهر المبتدعة وأثاروا مسألة الروئية وقالوا: إنها مستحيلة بناء على أصلهم الفاسد الذى أصلوه لأنفسهم بمحض عقولهم وهو أن الروئية تقتضى أن يكون الله سبحانه وتعالى فى مكان والله سبحانه ليس له مكان إذ الذى يحل فى المكان الأجسام والله تعالى منزه عن الجسمية وعن كل شيء من صفات الحوادث إذ هو واجب الوجود فلا يتصف إلا بما يليق بواجب الوجود فلو كان يرى لكان جسما ولأن الله سبحانه قال لموسى (لَن تَرَانِي) وهذه كلمة تدل على تأييد النفى واستحالة الفعل ولقد رشح معنى هذا

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص٢٧) .

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٥) .

التأييد بقوله بعد ذلك (وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) الأعراف: ١٤٣ فقد علق الرؤية على استقرار الجبل عند تجلي الله سبحانه وتعالى ولم يستقر بل صار دكا وخر موسى صعقا . وأولوا الآية الدالة على الرؤية حتى تتفق معانيها مع هذا التنزيه فقالوا في قوله تعالى : (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أى منتظرة للثواب وقالوا : أيضا : النظر بمعنى التوقع أى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه (١) وهو تأويل باطل من وجهين :

الوجه الأول : أنه ليس فى شيء من أمر الجنة انتظار لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ولأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه .

الوجه الثاني : أنه قال : (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ونظر الانتظار لا يكون مقرونا بـ "إلى" لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا فى نظر الانتظار "إلى" ألا ترى أن الله عز وجل لما قال (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) سورة يس: ٤٩ ، لم يقل "إلى" إذ كان معناه الانتظار ولا يجوز أن يكون معناه إلى ثواب ربها ناظرة لأن ثواب الله غير الله والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة" (٢) .

المهم أنهم أولوا الآية، ونشروا هذه المقالة فى أوساط المسلمين فرأى مالك أن فيها مايخالف منهاج السلف الصالح ، وفيها تخريج القرآن على غير ظاهره فأنكرها وأثبت رؤية الله تعالى فى الآخرة لا فى الدنيا

---

(١) انظر الكشاف للزمخشرى (٤ / ١٦٥) طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٥٤.

(٢) انظر هذه الردود عند البيهقي فى كتاب الاعتقاد ص ١٢١ وانظر أيضا التفسير الكبير للرازى (٢٩/١٤٥) .

قال أشهب (١) : قلت ياأبا عبد الله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة: ٢٢ ، ٢٣ أينظرون إلى الله؟ .

قال :نعم بأعينهم هاتين ، قلت فإن قوما يقولون : ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال : كذبوا بل تنظر إلى الله ،أما سمعت قول موسى عليه السلام (رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) الأعراف ١٤٣ أتراه سأل محالا (٢) فقال الله (لَن تَرَانِي) فى الدنيا لأنها دار فناء ،ولا ينظر إلى مالا يفنى بما يفنى فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى مايبقى ، وقال تعالى عن العصاة (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) (٣) المطففين : ١٥ .

وليس فى كلام مالك مايدل على أن انسان الآخرة غير انسان الدنيا ولاأنه ذو طبيعة مغايرة لطبيعته ،ولكن كل مافى الأمر أن الله يجعل فى انسان الآخرة قوة ذاتية يستطيع بها أن يعيش دائما وأن يرى بها مالم يكن يستطيع أن يراه فى الدنيا .

فأنت ترى كيف أثبت مالك رؤية الله تعالى وآستدل على جوازها بالآيات التى استدل بها النافون للرؤية واستدل بطلب موسى عليه السلام رؤيته تعالى ،وموسى لايطلب محالا،فلو كانت محالا ماطلبها وأن النفي للرؤية انما يقع على الرؤية فى الدنيا لأنها دار فناء فاذا صاروا الى دار البقاء نظروا بما يبقى الى مايبقى .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) نلاحظ أن الامام مالكا رحمه الله استعمل هنا دليلا عقليا ، وهو دليل استدل به غير واحد من العلماء فالإمام البيهقى مثلا يقول عن هذا الدليل فى كتابه الاعتقاد (١٢٢-١٢٣) " ومما يدل على أن الله عز وجل يرى بالأبصار قول موسى الكليم عليه السلام (رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) ولا يجوز أن يكون نبى من الأنبياء قد ألبسه الله جلباب النبين وعصمه مما عصم منه المرسلين يسأل ربه ما يستحيل عليه واذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا انه لم يسأل مستحيلا وان الرؤيه جائزه على ربنا عز وجل .

(٣) انظر الانتقاء (٣٦) حليه الاولياء (٦ / ٣٢٦) سر اعلام النبلاء (١٠٢/٨)

قولـه في القـرآن :

القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ أي هو المتكلم به ابتداء ولم يخلقه في غيره وإليه يعود حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية . [١] ولم يكن السلف رضي الله عنهم - يخوضون في مسألة القرآن كما هو شأنهم في جميع صفات الله تعالى وكانوا يخشون أن يكون الخوض فيه ضلالا للفكر وفسادا في العقيدة حتى جاء الجعد بن درهم (ت ١١٨هـ) [٢] فأثار

---

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٦٢) شرح الطحاوية (١٢١) .

(٢) هو الجعد بن درهم كان من الموالي وكان مؤدبا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية - وقد اتفقت كتب التاريخ والملل والنحل على أنه أول من قال بخلق القرآن ثم الجهم بن صفوان ثم تبعهما بشر المريسي وكان يقول : "إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما وأن ذلك لا يجوز على الله " السير (٥/ ٤٣٣) قال عنه ابن حجر في اللسان (٢/ ١٠٥) " مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر".
وكان قتله على يد خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة بأمر من هشام بن عبد الملك وكان ذلك يوم النحر حين خطب خالد الناس فقال : " أيها الناس ضحوا تقبل ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا " ثم نزل فذبحه وكان ذلك سنة ١١٨ " .

انظر: منهاج السنة (١/ ٣٠٩) ميزان الاعتدال (١/ ١٨٥) لسان الميزان (٢/ ١٠٥) الكامل في التاريخ (٥/ ١٦٠) .

مسألة خلق القرآن وقالها بعده الجهم بن صفوان [(١)] واعتنقتها القدرية والمعتزلة وأخذوا ينشرونها بين المسلمين وزعموا أن نشر هذه المقالة ليس زيغا في الدين لأن كون القرآن مخلوقا لا يمنع أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد وقف علماء السلف إزاء هذه المقالة موقفا حازما وقويا وامتحن بسببها كثير من علماء الامة وعلى رأسهم الإمام القدوة أحمد بن حنبل [(٢)] رحمه الله فصبر وباءت كل المحاولات لاقناعه بمذهب المعتزلة بالفشل وكان هذا الموقف العظيم من الامام سببا في إقرار مذهب السلف بعد ذلك وعلو درجة الأمام أحمد بين الناس حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضُرِبَهَا حُلِيًّا حُلِّيَ به وكان الإمام مالك من أوائل من بين مذهب السلف في هذه المسألة ومن أوائل من استنكر هذه المقالة ورمى من خاض فيها بالزيغ والانحراف والزندقة فقال : " القرآن كلام الله تعالى وكلام الله منه وليس من الله شيء مخلوق " [(٣)] وقال أيضا " القرآن كلام الله وكلامه لا يبيد ولا ينفد وليس بمخلوق " [(٤)] ، فهو يقرر أن كلام الله تعالى صفة قائمة به سبحانه ولا يزال الله تعالى متكلما وكيف يكون منه شيء مخلوقا وهو قائم به ؟ وسئل عن من يقول : القرآن مخلوق " فأجاب : " زنديق فاقتلوه " [(٥)] وقال : " ومن قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٩٩) .

(٤) جامع ابن أبي زيد القيرواني (١٢٣) حلية الأولياء (٦/٣٢٥) وقال : الألباني : "أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (٢٤-٢٥) ، ورجاله ثقات غير أبي بكر أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه . انظر : مختصر العلو (ص ١٤٣) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/٩٩) .

وإلا قتل "(١) هكذا وبدون هوادة ، لأن وجود مثل هذا بين الناس يؤدى إلى فتنة والناس سراع إلى كل مُبْتَدَعٍ وجديد .

قوله فى الإيمان :

وهذه المسألة أيضا مما لم يختلف فيها السلف رضى الله عنهم - فقد كانوا يرون أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما نطق بذلك الكتاب والسنة ، فالقرآن الكريم كلما ذكر الإيمان ذكره مقترنا بالعمل الصالح ورتب الجزاء فى الدنيا والآخرة على ذلك . فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التى لا معنى للإيمان بدونه. فقد جعل الله الاستخلاف فى الأرض والتمكين فيها للذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) سورة النور: ٥٥ فقد رتب سبحانه الجزاء فى الدنيا وهو التمكين فى الأرض واستبدال خوفهم أمنا على الإيمان مقترنا بالعمل الصالح وكذلك رتب الجزاء فى الآخرة على ذلك ، فقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) الكهف: ١٠٧ وقال تعالى (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التغابن : ٩ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فى هذا المعنى .

---

(١) قال الألبانى فيه: "اسناده لا بأس به ميمون بن يحي البكرى- قال ابن أبى أبى حاتم (٤ / ١-٢٤٠) عنه شيخ ، وسائر رجاله ثقات .
وأخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (ص ٥) من طريق أخرى عن مالك بلفظ "... يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب" وسنده صحيح .

ويُعَرِّفُ الله المؤمنين بأنهم هم الذين آمنوا بالله وصدقوا بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل ترجموا هذا الإيمان إلى واقع عملي ، حين امتثلوا أوامر الله ونواهيه فقال تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ إلى قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ،وأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة: ١٧٧ ، وقال أيضا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحجرات: ١٥ ولما كانت الأعمال تابعة للإيمان ومتصلة به اتصالا وثيقا فلابد أن يكون لها تأثير فيه من حيث الزيادة والنقصان ، ومن هنا جاء قول أهل السنة بالزيادة بالنقصان ، وهو القول الذى نطق به الكتاب والسنة ، فقد قال الله تعالى (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . .) التوبة: ١٢٤ .

وقال أيضا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) الأنفال : ٢ .

وإذا كان الإيمان قولا وعملا والأعمال داخلة فى مسمى الإيمان فما هو الفرق بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة إذاً ؟ يحاول الإمام ابن حجر العسقلانى أن يجيب على هذا السؤال عند قول الإمام البخارى رحمه الله " كتبت عن ألف وثمانية رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث كانوا يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص" قال ابن حجر تعليقا على هذا الكلام" الإيمان عند السلف هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط فى كماله ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان ، والمرجئة [١] قالوا : هو اعتقاد ونطق

---

(١) يأتى الحديث عن المرجئة فى الفصل الذى عقدته للحديث عن جهود العلماء فى مقاومة الأرجاء .

فقط والمعتزلة[١] قالوا : هو العمل والنطق والاعتقاد والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته .

والسلف جعلوها شرطا في كماله" [٢] وهناك فارق آخر مهم وهو أن الإيمان عند أهل السنة يقبل التبعيض والتجزئة وأن قليله يخرج به صاحبه من النار إن دخلها ، لقوله عليه الصلاة والسلام " أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان [٣] " وقوله عليه الصلاة والسلام " الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق [٤] " بينما يرى الخارجون عن مقالة أهل السنة أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شيء واحد إما أن يحصل كله واما أن لا يحصل منه شيء " [٥]

---

(١) يأتي تعريفهم والحديث عنهم .

(٢) الفتح (١/ ٤٤) .

(٣) انظر هذا الحديث بطوله ص .

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان (باب أمور الإيمان) رقم: ٩ الفتح (١/ ٥١) ومسلم في الإيمان (باب بيان عدد شعب الإيمان رقم: ٣٥ ، صحيح مسلم (١/ ٦٣) وأبو داود في السنة (باب في الأرجاء) رقم: ٤٦٧٦ السنن (٤/ ٢١٩) وأخرجه الترمذي في الإيمان (باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) رقم: ٢٦١٢ السنن (٥/ ١٠) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (باب في الإيمان) رقم: ٥٧ السنن (١/ ٢٢) .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٣٤٠-٣٤١) .

وقد علق ابن حجر فى شرحه على البخارى عند إيراده حديث " أخرجوا من كان فى قلبه " الحديث بقوله " وأراد بإيراده الرد على المرجئة لما فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان وعلى المعتزلة فى أن المعاصي موجبة للخلود "(١) لأنهم يجعلون الإيمان شيئا واحدا فإذا ذهب جزؤه ذهب كله .

ويبين لنا ابن عيينة مذهب أهل السنة فى الإيمان بيانا شافيا وأنه وسط بين المذاهب بقوله لما قيل له : إن أقواما يقولون الإيمان كلام فأجاب " كان هذا قبل أن تنزل الأحكام فأمر الناس أن يقولوا لا اله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم فلما علم صدقهم أمرهم بالصلاة ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار .

إلى أن قال : فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض وقبولهم قال : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فمن ترك شيئا من ذلك كسلا ومجونا أدبناه عليه وكان ناقص الإيمان ومن تركها جاحدا كان كافرا "(٢) ومن هنا فقد كان الإمام مالك يذهب إلى أن الأعمال داخلة فى مسمى الإيمان كما دل على ذلك القرآن ويحتج لذلك بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)(٣) البقرة: ١٤٣ ، ويقول " وإنى لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان " .

وكما كان يقول بدخول الأعمال فى الإيمان فإنه كان يقول أيضا بزيادة الايمان ونقصانه تبعا للنصوص الواردة فى ذلك وكان يقول قبل ذلك بالزيادة فقط لأن القرآن لم يذكر النقصان وقد فسر بعض أهل العلم هذا التوقف عن القول بالنقصان من الإمام مالك بقوله " إنما توقف مالك عن نقصانه فى هذه الرواية خوفا من الذريعة أن تتأول أنه ينقص حتى يذهب كله فيؤول ذلك إلى قول الخوارج

---

(١) الفتح (١/ ٧٣) .

(٢) الفتح (١٠٥) وانظر أيضا فى نفس المصدر قول عبيد الله بن سلام وغيره .

(٣) ذكروا فى سبب نزول هذه الآية أنه كان رجال من أصحاب رسول الله

==

الذين يحبطون الإيمان بالذنوب ولكن إنما نقصه عنده فيما وقعت فيه الزيادة وهو العمل "(١) .

ولكنه عاد بعد ذلك إلى قول أهل السنة فقال : " الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض" (٢) .

قوله في التفاضل بين الصحابة :-

لم تكن قضية التفاضل بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخاصة الخلفاء الأربعة ، قضية تشغل الجيل الأول أو السلف رضى الله عنهم لأنهم لم يكن لهم الوقت الكافي لأن يشغلوا أنفسهم بهذه القضايا بل كانوا منصرفين إلى ما هو أعظم من ذلك إلى تبليغ الإسلام للأمم التى لم تر هذا النور الربانى وتربية الأجيال الجديدة على الإسلام النقى الصافى كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ولكن مع ذلك كان هناك تفاوت واضح بين الصحابة من حيث الجهاد والسابقة وهذه الأفضلية بينها القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى "(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

== صلى الله عليه وسلم قد ماتوا على القبلة الأولى منهم سعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بنى النجار والبراء بن معرور أحد بنى سلمة وأناس آخرون جاءت عشائرهم فقالوا : يارسول الله توفى إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله إلى قبلة ابراهيم فكيف بإخواننا ؟ فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم)أى صلاتكم إلى بيت المقدس .
انظر: أسباب النزول للواحدى (٧٧)تفسير الطبرى (٣/ ١٦٧) الدر المنثور (١/ ٣١٣) .

(١) الجامع لابن أبى زيد (١٢١-١٢٢) ،الانتقاء (ص ٣٣) .

(٢) الأنتقاء (٣٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٧) .

المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠) وقوله تعالى : (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد : ١٠) فالأفضلية فى الإسلام ليستمبنية على صلة القربى أو وشائج الجنس ولكن على الجهاد والبلاء فى سبيل الله والإسراع إلى دعوة الإسلام. هذه هى مقومات التفاضل التى يجب أن تراعى ومن هنا فالصحابة كانوا يدركون أن هذه المقومات كانت أبرز ما تكون فى الخلفاء الأربعة الذين تولوا أمر المسلمين بعد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون لهؤلاء الأربعة فضلهم وسابقتهم فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه قال : "كنا نقول فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا تفاضل بينهم" (١) وكذلك بناء على ماسمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم فيهم من المدح

---

(١) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة (باب فضل أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم رقم: ٣٦٥٥ ، الفتح (١٦/٧) وفى فضائل الصحابة أيضا (باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه) رقم: ٣٦٩٧ ، الفتح (٥٣/٧-٥٤) وأخرجه أبو داود فى السنة (باب فى التفضيل) رقم : ٤٦٢٧ ، ٤٦٢٨ ، سنن ابى داود (٢٠٦/٤) .
وأخرجه الترمذى فى المناقب (باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه) رقم: ٣٧٠٧ السنن (٦٢٩/٥-٦٣٠) وانظر ماقيل فى الحديث وطعن بعض العلماء فيه لكونه لم يذكر عليا - رضى الله عنه - كابن عبد البر استنادا إلى قول ابن معين الذى تكلم فيمن يذكر الثلاثة ويسكت عن على بكلام غليظ وتوجيه قول ابن عمر رضى الله عنهما حيث قال ابن حجر فى

==

والتفضيل والمناقب .

ولم تظهر مسألة التفاضل هذه للوجود إلا عندما ظهرت الفتن التي كانت ليلا طويلا حالكا على المسلمين فنبتت نابتة تجادل فيمن هو أفضل من الخلفاء الأربعة وظهر الغلو فيهم فكان كل فريق من الفرق المغالية التي ظهرت تسرى أفضلية ذلك الصحابي على غيره وبالغت في ذلك حتى فسقت من لم يقل بقولها وسعى كل فريق إلى تدعيم مذهبه بوضع الأحاديث في ذلك .

وإزاء هذا الوضع كان لزاما على علماء السنة أن ينهضوا لبيان حقيقة الأمر مع موالاة جميع الصحابة رضوان الله عليهم وعدم التنقص من أحدهم كما فعلت الفرق المبتدعة وكان الإمام مالك أحد هؤلاء الذين نهضوا بهذا الأمر وبينوا مذهب أهل السنة في هذا الموضوع فكان يقول:"إن التفاضل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا ، وإنما كان هديهم الأمساك عن مثل هذا"

ومع ذلك فقد كان يقدم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويقف في عثمان وعلى رضى الله عنهما في إحدى الروايتين عنه (١) وهو مذهب بعض أهل المدينة كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول "بعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلى وهي إحدى الروايتين عن مالك لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الائمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل

== توجيه كلام ابن عمر " وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص .) الفتح (٧/ ٥٨) .

(١) الانتقاء (ص ٣٣) .

وغير هؤلاء من الأئمة "(١).

وبهذا نأتي إلى نهاية آراء الإمام مالك في مسائل العقيدة وهي آراء كما رأينا لا تخرج عن إطار الكتاب والسنة وأقوال السلف رضي الله عنهم وبهذا نكون قد أخذنا فكرة عن الجانب العقدي عند الإمام مالك. وبعد هذا ننتقل إلى الحديث عن تأثير الإمام مالك في أتباعه من علماء المغرب في هذا الجانب والله المستعان .

المبحث الثالث :- تأثير الإمام مالك في علماء المغرب .

بعد هذا العرض لأهم الأسباب التي مكنت للمذهب السني أن ينتشر ويستقر في المغرب وهي كما قدمنا .

(١) الفتح الإسلامي (٢) بعثة عمر بن عبد العزيز.

(٣) إقبال علماء المغرب على الإمام مالك وتأثرهم به ونشرهم مذهبه بالمغرب وقد ركزت على السبب الأخير لما رأيت فيه من تأثير كبير على المغرب وعلمائه . بعد هذا ننظر إلى أي مدى بلغ هذا التأثير ؟ وهل كان تأثرهم به إلى درجة أنهم كانوا مجرد نقلة لآرائه أم أنهم كانت لهم آراء مستقلة عن آرائه ؟ وهل كانوا يصدرون في كل آرائهم من مواقف الإمام مالك أم لا ؟ .

الجواب على ذلك أننا إذا أمعنا النظر في مؤلفات علماء المغرب في العقيدة وتراجمهم لا يسعنا إلا أن نقول : إن تأثير الإمام مالك في علماء المغرب كان تأثيرا قويا هذا ما يمكن أن يستنتجه كل دارس لحياة العلماء بالمغرب ومؤلفاتهم فآراؤهم في مسائل العقيدة تكاد تكون موافقة تماما لآرائه، ومؤلفاتهم تزخر بالاستشهاد بأقواله. وسوف يظهر هذا جليا عند الحديث عن آراء علماء المغرب

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

في مسائل العقيدة ،ونكتفي هنا بسرد أمثلة على ذلك .

فإذا أخذنا المقارنة بين آراء الإمام مالك وآراء علماء المغرب في الجوانب العقدية لاحظنا التوافق التام بينهما فمثلا نلاحظ على علماء المغرب قلة خوضهم في مسائل العقيدة تماما كما كان الحال بالنسبة لإمامهم مالك - كما رأينا - الذي كان يكره الكلام في هذه المسائل لأنها ليس تحتها عمل ومما يدل على أن علماء المغرب كانوا قليلي الكلام في مسائل العقيدة قلة إنتاجهم فيها إذا قورن بإنتاج علماء المشرق ، وعبارة الإمام أسد بن الفرات (ت ٢١٠هـ) (١) لما بلغه أن بشرا المريسي (٢) (ت ٢١٨) . وكان يكفره - وضع كتابا سماه كتاب التوحيد " قال :

---

(١) هو الامام أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان ولد بحران سنة ١٤٢ ، وقدم طفلا مع أبيه إلى القيروان وبعد مدة رجع إلى المشرق لطلب العلم فأخذ بالمدينة عن مالك موطأه وغير ذلك وأخذ بالعراق عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة ثم رحل إلى مصر ثم القيروان تولى قضاء القيروان سنة ٢٠٣ توفي وهو يجاهد سنة ٢١٠ .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (ص١٦٣) رقم : ٣٧ ، رياض النفوس (١/ ٢٥٤-٢٧٣) رقم : ١٠٤ معالم الايمان (٢/ ٣-٢٦) رقم : ٨٧ ترتيب المدارك (١/ ٤٦٥-٤٨٠) الديباج المذهب (١/ ٣٠٥-٣٠٦) رقم : ٢ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العدوي بالولاء كان والده يهوديا فصار بارعا في علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن ، ولم يدرك الجهم بن صفوان وإنما أخذ مقالته ودعا إليها وهو رأس الطائفة المريسية توفي سنة ٢١٨ .
مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧-٢٧٨) رقم : ١١٥ ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩-٢٠٢) رقم : ٤٥ البداية والنهاية (١٠/ ٢٨١) ،

==

" أو جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشرفيه كتابا ؟ هذه نبوة آدعاها " (١)

هذه العبارة تنم عن عقلية مفطورة على رفض الخوض فى هذا الجانب فهى ترى أن هذا الجانب لايحتاج الى من يوضحه ويعلمه للناس لأن الناس مفطورون على معرفة ربهم ولايحتاجون الى من يعرفهم به لأن القرآن الكريم والسنة النبوية بينا وفصلا بما يكفى أمر التوحيد فلايحتاج معه الى كل هذه الكتب والمؤلفات لبيانه ،زيادة على أنهم اقتدوا بامامهم مالك فى نهيه عن الخوض فى ماليس تحته عمل من أمور العقائد ،وكذلك عبارة عبدالواحد المراكشي (٢) (ت ٦٤٧هـ) فى معجبه التى يقول فيها "وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم (٣)..ووجد ابن تومرت (٤) جواخاليا وقوما

== ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢-٣٢٣)رقم: ١٢١٤ ، لسان الميزان: (٢/ ٢٩-٣١) رقم: ١٠٤ .

(١) انظر مصادر ترجمته .

(٢) ولد عبد الواحد المراكشي فى مراكش سنة ٥٨١هـ ثم غادرها إلى فاس وهو صغير ،ثم عبر إلى الأندلس وهو فى الثانية والعشرين من عمره ثم رحل إلى المشرق ولم يعد وانقطعت أخباره به توفى تقريبا سنة ٦٤٧ .
انظر ترجمته : فى مقدمة كتابه المعجب، وضعها محققه الأستاذ محمد سعيد العريان (ص٥-١٥) .

(٣) انظر (ص١٤٦) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن تومرت البربرى المدعي أنه علوى حسني وأنه الإمام المعصوم المهدى خرج شابا إلى المشرق ولقى عددا كبيرا من العلماء وأخذ عنهم منهم الكيا هراسي وأبو حامد الغزالى والطرطوشي وهو الذى فرض المذهب الأشعرى على أهل المغرب كما يأتى الحديث عنه فى الفصل الذى عقدته لمقاومة الأشعرية بالمغرب توفى سنة ٥٢٤ .
مصادر ترجمته : الكامل فى التاريخ (١٠/ ٥٦٩-٥٨٢) وفيات الأعيان (٥/ ٤٥-٥٥) رقم: ٦٨٨ سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٩-٥٥٢) رقم: ٣٦٨ طبقات السبكى (٦/ ١٠٩-١١٧) رقم: ٦٤ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (٢٤٥-٢٦٢) .

لا يدرون الكلام" وهى عبارة تدل أيضا على أن أهل المغرب لم تكن لهم عناية بأصول الدين ،بل كان جل اهتمامهم بالفروع [(١)] وسيأتى الحديث عن قصة إحراق الإحياء للإمام الغزالى [(٢)] وهى تدل أيضا على إنكار أهل المغرب ورفضهم لكل اتجاه فلسفى أو محاولة عقلانية في دين الله .

ولكن كل هذا لا يعنى أنهم لم يخوضوا إطلاقا فى هذه المسائل بل إننا نستطيع القول إنهم رغم امتناعهم هذا إلا أن الظروف التى وجدوا فيها اضطرتهم إلى بيان رأيهم فى هذه المسائل كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل فيما بعد ولكن يجدر بى هنا وأنا أتحدث عن تأثير الإمام مالك والمقارنة بينه وبين أتباعه من أهل المغرب أن أشير إلى الجانب الثانى من هذا التأثير وهو ما يتعلق بالآراء العقدية نفسها فنلاحظ أيضا التأثير الكبير فى هذا الجانب جانب الأصول كما هو الحال بالنسبة للجانب الأول - جانب الفروع .

ففى خوضهم فى مسائل العقيدة نلاحظ أنهم كانوا يقفون عندظواهرالنصوص لا يزيدون عليها ولا ينقصون - كما هو شأن إمامهم - بل كثيرا ما يستدلون على آرائهم بأقواله ، مثل قول الإمام ابن أبى زيد القيروانى [(٣)] فى جامعه [(٤)] " وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم على وقيل ثم عثمان ثم علي ويكف عن التفضيل بينهما روى ذلك عن مالك وقال : ماأدركت أحدا أقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه " وقول الامام أبى القاسم عبد الله بن خلف المقرى الأندلسى [(٥)] فى الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق والاقتداء مستشهدا بقول مالك رحمه الله على ماذهب إليه " وقال مالك بن أنس ،الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من علمه مكان يريد " .[(٦)]

---

(١) انظر عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (٧٨/١) عبدالله عنان.

(٢) مرت ترجمته . (٣) مرت ترجمته .

(٤) (ص ١١٥) وقد ذكرت مذهب مالك فى مسألة التفضيل (ص ١٥٦)،والمقصود هنا هو بيان تأثر علماء المغرب به ،ونقله عنه كثيرا وليس بيان مذهبه .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) اجتماع الجيوش الاسلامية (ص ٨٩).

وكذلك أبو عمرو الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ) [١] فقد ساق بسنده قول مالك " الله في السماء وعلمه في كل مكان " في كتابه في الأصول [٢] وابن عبد البر في عدة مواضع من كتابه (جامع بيان العلم وفضله) [٣] يأتي بقول مالك ثم يبني عليه حكما وغير ذلك كثير .

أما موقفهم من البدع والمبتدعة فقد كانوا فيه من أشد الناس مقاومة لها ومن أشدهم تحذيرا منها ، وقد رأينا كيف كانت شدة مالك مع المبتدعة ، ولا شك أن موقفهم ذلك تمتد جذوره إلى موقفه وتستمد وجودها من وجوده وهذا لا يقتصر على البدع الكبيرة فقط بل إنه كان موقفا واحدا مهما كانت تلك البدع صغيرة أو كبيرة .

---

(١) هو الامام أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الطلمنكي أصله من طلمنكة (بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون وهي من ثغر الأندلس الشرقي) سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون وغيره ورحل الى المشرق فحج ولقي بمكة أبا حفص عمر بن محمد بن عراك وغيره وبالمدينة أبا الحسن محمد بن الحسين المطلبي وأخذ بالمدينة والقيروان ايضا ثم انصرف إلى الأندلس بعلم كثير في القرآن والحديث والتوحيد ذكر ابن بشكوال في وفاته أنه خرج ذات يوم على تلاميذه فقال لهم اقرؤوا وأكثروا فإني لا أتجاوز هذا العام فقيل له : ولم ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي منشدا ينشدني : اشمتوا البر بشيخ ثوى بفقده السوقة والصيد .

قد ختم العمر بعيد مضى ليس له من بعده عيد .

فتوفي في ذلك العام أي عام : ٤٢٩ .

مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (١/ ٤٤-٤٥) رقم : ٩٢ ترتيب المدارك (٤/ ٧٤٩-٧٥١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٧-٥٦٩) رقم : ٣٧٤ جذوة المقبس (ص ١١٤) رقم : ١٨٧ . معرفة القراء الكبار (١/ ٣٨٥-٣٨٧) رقم : ٣٢٤ ، الديباج المذهب (١/ ١٧٨-١٨٠) رقم : ٥٦ .

(٢) اجتماع الجيوش الاسلامية (ص ٩٠) .

(٣) انظر (٢/ ٩٥- ومابعدها) .

وهذا الموقف يمكن أن نستشف منه بغض علماء المغرب للبدعة ومخالفة السنة وهو موقف أبي جعفر موسى بن معاوية (ت ٢٢٥ هـ)(١) الذى كان مجانبا لأهل البدع حذرا من مخالفة السنة من ذلك أنه لقى فى رحلته محمد بن الحسن(٢) صاحب أبى حنيفة(٣) فلم يأخذ عنه فلما سئل فى ذلك قال :

---

(١) هو الامام أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادجى كان عالما بالفقه والحديث ، رحل الى الشرق سنة ١٩٤هـ وعاد سنة ١٩٦هـ ولقى فى رحلته كثيرا من العلماء وأخذ عنهم،منهم وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وغيرهما ، توفى سنة ٢٢٥هـ .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (١٩٠- ١٩٤) رقم : ٩٨ ،معالم الايمان (٢/٥٠ - ٥٨) رقم ٩٢ ، المدارك (٢/٥ - ٩ ق).

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمته .

"لو مَلأْتِي مسجدى هذا ذهبا ماسمعت منه حرفا وذكر أنه بلغه عنه شيء من مخالفة السنة" (١) هذا بالرغم من أن محمد بن الحسن كان من كبار العلماء المشهود لهم بالفضل والعلم إلا أن حذرهم الشديد وخوفهم البالغ من الوقوع فى البدعة ومخالفة السنة هو الذى جعلهم يقفون مثل هذه المواقف بل بلغ بهم الأمر أنهم ربما سكتوا عن المعاصي ،إذا كان كلامهم فيها يعرضهم للمخاطر وليس كذلك البدع فلم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالسكون عنها لكون البدع أخطر من المعاصى. لأن المعاصى معلوم قبحها عند من يرتكبها وعند غيره (٢) فلا يستطيع مرتكبها أن يُلَبِّسَهَا على أحد وترجى له التوبة منها والإقلاع عنها بخلاف البدعة فإن صاحبها يرى أنه مطيع ببدعته ويعتقد أنها طاعة وقربة كما قال تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاوهم يحسبون انهم يحسنون صنعا سورة الكهف ١٠٤) وقال: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) سورة فاطر: ٨) وعلى هذا فهو يغوى الناس ويدعوهم إلى بدعته ظنا منه أنه يدعوهم الى الخير .

كذلك فإن ضرر المعاصى إنما هو فى أعمال الجوارح الظاهرة ، أما ضرر البدع فهو فى الأصول وهى العقائد وإذا فسد الأصل ذهب الأصل والفرع جميعا ،أما إذا فسد الفرع فيبقى الأصل ويرجى أن ينجبر الفرع وحتى إذا لم

---

(١) ترتيب المدارك (٣/٥) طبعاً هذا الحكم فيه غلو لأنه لا ينبغى أن ننسف كل حسنات أى كان لمجرد هفوة أو خطأ ارتكبه وإنما العدل أن نأخذ الجانب الإيجابى من علمه وسلوكه ونترك الجانب السلبى بل الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها وراجع تعليقى على هذا الموضوع بشيء من الإسهاب ص .

(٢) يقول الإمام ابن تيمية فى هذا المعنى: "والبدعة شر من المعصية" ونقل عن سفيان الثورى قوله " البدعة أحب إلى أبليس من المعصية فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها".

ينجبر لم تذهب منفعة الأصل .

لذلك كانوا ربما سكتوا عن المعاصي أما البدع فلم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالسكوت عنها قيل لحميس القطان (ت ٢٨٩ هـ) [(١)] : " فلو أن إماما عمل بالمعصية أكنت تأمره وتنهاه " ؟ فقال : لا واحتج بالحديث " ينبغي للمؤمن ألا يذل نفسه قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يعرضها من البلاء إلى مالا طاقة لها به " [(٢)] وذكر عن مالك قوله : " أدركت سبعة عشر تابعيا فيما سمعت أنهم قاموا إلى إمام جائر

== ويحكى قصة وقعت له مع بعض المتصوفة الذى قاله له : " نحن نُتَوِّبُ الناس فقلت (القائل ابن تيمية) مماذا تتوبونهم ؟ قال : من قطع الطريق والسرقة فقلت حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم فإنهم كانوا فساقا يعتقدون تحريم ما هم عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون إليه أو ينوون التوبة فجعلتموهم بتتويبكم ضالين خارجين عن شريعة الإسلام ونثبت أن هذه البدع التى هم وغيرهم عليها شر من المعاصى " انظر مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول ص ١٥٣) .

(١) هو أبو جعفر حميس القطان واسمه احمد بن محمد الأشعرى من ولد أبى موسى الأشعرى كان من أصحاب سحنون مشهورا بالفضل مجانبا لأهل الأهواء والبدع قرأعلى سحنون ورحل فلقى بمصر أصحاب ابن القاسم وأشهب وابن وهب وأخذ بالمدينة عن أبى مصعب توفى سنة ٢٨٩ .
مصادر تجمته : رياض النفوس (١/ ٤٨٨-٤٩٠) رقم : ١٥٩ ، ترتيب المدارك (٢/ ٢٥٤-٢٥٩) . معالم الايمان (٢/ ٢٠١-٢٠٥) رقم : ١٣٦ الديباج المذهب (١/ ١٤٨) . رقم : ٨

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى السنن (٤/ ٥٢٢-٥٢٣) رقم : ٢٢٥٤ فى كتاب الفتن وقال : هذا الحديث حسن غريب وابن ماجه (٢/ ١٣٣٢) رقم ٤٠١٦ فى كتاب الفتن (باب قوله تعالى : ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) والامام احمد (٥/ ٤٠٥) .

فوعظوه" قيل لحمديس " فلو أن إماما دعا إلى البدعة وأمر بها ؟"
قال : " نجاهده"(١)

وفي موقفهم من أهل الفرق نلاحظ أيضا موافقة هذه المواقف لمواقف الإمام مالك الذى كان فى أشد الناس مقاومة لأهل البدع كما بينا من قبل ونذكر من تلك المواقف مثالا واحدا هو موقف الإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠ هـ)(٢) الـذى قاوم أهل البدع وأخفت كل صوت مارق وكل نزعة عقلية ومنع دروس الاباضية والصفرية والمعتزلة(٣) وكان موقفهم من الروافض أوضح دليل على بغضهم للمبتدعة وعلى

---

(١) انظر رياض النفوس (١/ ٤٨٩) ولكن أكمل الناس هو من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى كل الأحوال لقوله عليه الصلاة والسلام: "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله".

(٢) هو الامام عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون باسم طائر شديد لشدته فى المسائل ولد بالقيروان سنة ١٦٠ وبدأ دراسته بها على أشهر شيوخها ثم رحل إلى المشرق للأخذ على أشهر تلاميذ مالك أمثال ابن القاسم وأشهب وابن وهب وعاد من رحلته سنة ١٩١ وتولى منصب القضاء وتوفى بالقيروان سنة ٢٤٠.
مصادر ترجمته: طبقات أبى العرب (١٨٤ -١٨٧) رقم: ٦٦ طبقات الخشني (ص ٢٣٦) رياض النفوس (١/ ٣٤٥-٣٧٥) رقم: ١٢٦ المدارك (١/ ٥٨٥-٦٢٦) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٠-١٨٢) رقم: ٣٨٢ سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣-٦٩) رقم: ١٥.

(٣) هذه الفرق كلها سيأتى الحديث عنها بتوسع في الفصل الذى عقدته لمقاومة علماء المغرب لها .

وعلى تأثير الإمام مالك الكبير فيهم فلقد قالوا بكفرهم كما هو قول إمامهم مالك وقالوا بوجوب قتالهم ومن هنا جاءت مواقفهم الحازمة المتشددة من دولة العبيديين (١) فهذا جبلة بن حمود الصدفي (ت ٢٩٩ هـ) (٢) يسأل عن سبب تركه الرباط وسكناه بالقيروان فيجيب : "كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل العدو بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك" (٣) وكان هذا الإمام ينكر على من خرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور ويقول : "جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك" (٤) وقد أثارت فتوى أبي إسحاق التونسي (ت ٤٤٣ هـ) (٥) المتضمنة

---

(١) يأتي الحديث عن العبيديين بتوسع.

(٢) هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي سمع من سحنون وغيره وكان رحمة الله عليه شديدا على أهل البدع لا يداري أحدا ولم يكن أحد أكثر مجاهدة للروافض وشيعتهم منه فنجاه الله تعالى منهم وتوفي سنة ٢٩٩ وكانت ولادته سنة ٢١٠.

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٢٤٧-٢٥٤) رياض النفوس (٢/ ٢٧-٤٥) رقم: ١٧١ معالم الإيمان (٢/ ٢٧٠-٢٨٠) رقم: ١٥٢ الديباج المذهب (١/ ٣٢٣-٣٢٤) رقم: ١.

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٢٥١).

(٤) نفس المصدر (٢/ ٢٥١).

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني التونسي تفقه بأبي عمران الفاسي وقرأ الأصول على الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري توفي سنة ٤٤٣.

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٦-٧٦٩) شجرة النور الزكية (١٠٨-١٠٩) رقم: ٢٨٥. معالم الايمان (٣/ ١٧٧-١٨٠) رقم: ٢٩٨

تقسيم الشيعة إلى قسمين: قسم يقف عند تفضيل علي على سائر الصحابة وهؤلاء لا يد خلون في الكفر وتجوز مناكحتهم، وقسم آخر يفضله ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته/أثارت هذه الفتوى منه ثائرة علماء المغرب وغضبهم وأنكروا عليه وأرسلوا إليه أن يعاود النظر فيها ويرجع وطلبوا منه أن ينوب عن فتواه على المنبر فلم يفعل وإن كان رجع أمامهم ظاهرا "(١) وفتواه هذه في حقيقة الأمر لا غبار عليها بل هي الحق كما يقول القاضي عياض" (٢) ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق وأنه جرى في فتواه على العلم وطريق الحكم ومع هذا فما نقصه عند أهل التحقيق ولا حطّ من منصبه عند أهل التوفيق وإن رأىَ الجماعة في النازلة كان أسدّ (٣)

هذا الموقف من علماء المغرب مع واحد من أصحابهم يظهر بوضوح مدى ما كان ينطوي عليه أهل المغرب من البغض الشديد للشيعة ويدل على حرصهم على إشاعة أن الشيعة مطلقا كفار حتى لا يتردد واحد في معاداتهم وإيذائهم بل وقتالهم إذا واتت الفرص لذلك .

وكما اعتبر علماء المغرب الروافض كفارا فقد اعتبروا دارهم دار كفر وهذا الموقف أيضا يلاحظ فيه تأثير الإمام مالك وعلى ذلك فكثير من علماء المغرب فكر في الهجرة وكثير منهم رأى أن لا تقام فيها صلاة الجمعة " (٤) .

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٨) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٨) يأتي الحديث بتوسع عن هذه المسألة في فصل مقاومة علماء المغرب للتشيع .

(٤) ملتقى الأمام ابن عرفة مجموعة محاضرات (ص ١٠٤) .

أما موقفهم من التصوف : فقد كان هو الآخر متأثرا بموقف الإمام مالك رحمه الله.ولكن إذا كان موقف الإمام مالك يقف عند حدود الإنكار فقط كما بينت من قبل وذلك لأن التصوف كان يومها في بدايته فإن موقف علماء المغرب ترجم إلى واقع عملي والذى تمثل في حرق الإحياء للإمام الغزالي رحمه الله كما سيأتي في الفصل الذى عقدته لذلك وغيره من الكتب التي صنفت في مجال التصوف .

وفي موقفهم من صفات الله تعالى : نلاحظ أنهم كانوا ملتزمين بالنص لا يحيدون عنه قيد شعرة قال ابن عبد البر " ليس في الاعتقاد كله في صفات الله تعالى وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله يسلم ولا يناظر فيه" (١) .

وقد أعتبروا أهل الكلام كلهم أهل بدع وأهواء سواء منهم من كان أشعريا أو غير أشعرى ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها " (٢) وكانوا يرون أن القائل بخلق القرآن زنديق وهو قول الإمام مالك - وما دام كذلك فهو لا يستتاب وقد خالفهم أسد ابن الفرات في ذلك وقال : يستتاب (٣) ، وهو أيضا قول للامام مالك الذى أثر عنه في المسألة قولان.

كما كانوا يمنعون من الخوض في الحديث عن الأفضل والمفضول وحرموا الوقيعة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ما وقع بينهم لا حق لهم بالخوض فيه (٤) وهو قول الإمام مالك - كما رأينا - من قبل كما كانوا يرون اعتزال المبتدعة من أهل الفرق وعدم السلام عليهم .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦) .

(٢) نفس المصدر (٢/ ٩٦) .

(٣) انظر الصراع العقائدى في الفلسفة الأسلامية مجموعة محاضرات (ص ٣٣)

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٦٠٠) .

هذه نماذج قليلة من الموافقات التى كانت بين مواقف علماء المغرب وآرائهم وبين موقف الإمام مالك وآرائه وهى تدل على التأثير الكبير الذى أثره هذا الإمام في علماء المغرب وكان من أثر هذا التأثير أن وجدنا المغرب إلى يومنا هذا لا يعانى مما يعانى منه المشرق من الصراعات العقدية بين أهل الفرق المختلفة السنة والشيعة (١) والنصيرية (٢) والإسماعلية (٣) وغيرهم من الفرق وقد لاحظ هذا الفرق بين المغرب والمشرق من حيث السلامة من البدع والصراعات العقدية علماء المغرب الذين رحلوا إلى المشرق للدراسة ودونوا هذه الملاحظات فهذا الإمام أبو بكر ابن العربى (٤) يثنى على المغرب لسلامته من تلك البدع والخرافات التى يعانى منها المشرق فيقول : " خرجت من بلادى على الفطرة فلم ألق فى طريقى إلا ما كان على سنن الهدى يغبطنى فى دينى ويزيدنى فى يقيني حتى بلغت بلاد.. هذه الطائفة (يقصد مصر أيام حكم الفاطميين) فلم يبق باطل إلا سمعته ولا كفر إلا شوفهت به

---

(١) يأتى تعريفهم .

(٢) تنسب هذه الفرقة لمحمد بن نصير النميرى وقد كان ابن نصير بصريا مرموق المكانة أعلن نفسه حوالى سنة ٢٤٥ "بابا" للامام الشيعي العاشر على نقي ولابنه محمد المتوفى سنة ٢٤٩ أما المؤسس الحقيقي فهو أبو عبد الله الخصيبي (ت٣٥٨) الذى جاء بعد محمد بن نصير بحوالى قرن من الزمن والنصيرية فرقه كافرة يعتقدون الألوهية فى على رضى الله عنه وقد فصل الإمام ابن تيمية عقائدهم فى فتاوية (١٤٥/٣٥) وانظر عنهم أيضا فؤاد سركين (٣٨١/٣/١) .

(٣) يأتى الحديث عنهم بتوسع عند الحديث عن التشيع فى المغرب .

(٤) مرت ترجمته .

ووعيته)[1]

ويقول ابن جبير صاحب الرحلة المشهورة (ت ٦١٤هـ)[2] " وليتحقق المتحقق ويعتقد صحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله عز وجل من أهلها "[3] وكل هذا إنما كان من آثار عالم المدينة الذي كان ينفي خبث البدع عن أهل مذهبه فلا تجد بين المالكية بدع الاعتزال والتشبيه وغيرها[4]

---

(١) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (٢/٥٩-٦٠) ولا بد من الاستثناء لأن الخير والشر موجود في كل مكان وفي كل الأقوام والصحيح هو قول ابن جبير الذي يلي هذا القول حيث استثنى من عصم الله .

(٢) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي رحالة وأديب ولد في بلنسية سنة ٥٤٠ ونزل شاطبة برع في الأدب ونظم الشعر الرقيق وأولع بالترحل والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨ إلى ١٥٨١ وهي التي ألف فيها رحلته المشهورة توفي رحمه الله بالاسكندرية سنة ٦١٤ أثناء رحلته من مؤلفاته (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان) وهو ديوان شعره وله الرحلة المشهورة برحلة ابن جبير.

مصادر ترجمته: نفح الطيب (٢/٣٨١-٣٨٢) رقم: ١٧٨ شذرات الذهب (٥/٦٠) النجوم الزاهرة (٦/٢٢١) وانظر أيضا مقدمة الرحلة طبعة دار الكتاب اللبناني بدون تاريخ (ص ٥-٣٧) .

(٣) انظر الرحلة (ص ٥٥) .

(٤) في ترجمته لأبي اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصين بن أحمد بن حزم الغافقي الذي كان مالكيا في الفروع يذهب إلى آراء المعتزلة في الأصول قال المقري في النفح (٢/٦٥) : " ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا ولعله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته للاعتزال " .

وقال غيره " ولم أر مذهبا أبعد عن الزيغ من مذهب مالك فإني ما سمعت أن أحدا تقلد مذهبه قال بشيء من بدع الجهمية والرافضة والخارجية "

انظر مسألة الزنديق أبي الخير الأشبيلي مجلة حوليات الجامعة التونسية (١/١٩٦٤/٧٤) .

بعد ماعرفنا تأثير الإمام مالك فى علماء المغرب فى النواحى العقديـة وقوة هذا التأثير يمكننا أن نقول كذلك إن هناك جوانب كانت مواقفهم فيها مستقلة وذلك نظرا للمستجدات التى حدثت بعد الإمام مالك رحمه الله حيث كانت الأمور فى عهده فى بدايتها ولم تكن قد بلغت من الانتشار والخطر مابلغته من بعده حيث أصبحت لتلك الأفكار والمذاهب البدعية دول تتحكم فى رقاب المسلمين وبعد ماكانت تلك الأفكار تنتشر فى السر فى ظل الحكومات السنية أصبحت فيما بعد تفرض بالقوة والسيف وليس أدل على ذلك من الدولة العبيدية [1] التى ناصبت أهل السنة العداء ونشرت أفكارها بالقوة وكانت أفكارها من قبل قد دخلت فى شكل رجال مخلصين جاءوا ليعلموا الناس القرآن وعلوم الدين المختلفة وإزاء هذه المستجدات كان لزاما أن تستجد مواقف وتستحدث آراء فكانت تلك المواقف من قتال الشيعة ورفع السلاح فى وجوههم حتى إنهم آزروا مخلد بن كيداد [2] فى قتاله للشيعة وكان هذا الرجل خارجيا ولكنه أظهر فى البداية انه سنيا مما جعل الفقهاء يفتون بوجوب اتباعه ومؤازرته فى قتال ملوك الشيعة من بنى عبيد ولما أوشكت المعركة على النهاية وأوشك تحالف مخلد مع الفقهاء السنيين أن ينتصر أسفر مخلد عن وجهه القبيح المعادى لأهل السنة وأمر جنده بضربهم ووقعت

---

(١) يأتى الحديث عن هذه الدولة وحكمها للمغرب وامتحانها لعلمائه .

(٢) هو مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتي نشأ بتوزر وتعلم القرآن وخالط الإباظية وأخذ بمذهبهم وسافر إلى تاهرت وأقام بها يعلم الصبيان فلما دخل الشيعة إلى تاهرت خرج منها وأخذ يعلم الصبيان ويدعو إلى تكفير الشيعة ثم قام عليهم. قُتِلَ سنة ٣٣٦ .
مصادر ترجمته : البيان المغرب (١/١٩٣ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠) وفيات الأعيان (١/٢٣٥) كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبى زكريا يحي بن أبى بكر (ص ١٧٥-١٨٧) وانظر الهامش (١) من ص ١٧٥ من نفس المصدر .

مذبحة عظيمة استشهد فيها خمسة وثمانون من أئمة القيروان وعبادها [(١)] (أي العباد لله بها)كما استجدت قضايا تتعلق بالقرآن فبعد أن كان القول بخلق القرآن قولا شاذا منكرا يدعو إليه بعض الشواذ أصبح هو القول الرسمي الذي تدين به الدولة وقد امتحنت هذه الدولة كثيرا من العلماء بسبب هذه المسألة وفي الوقت الذي كان يمتحن فيه الإمام أحمد بن حنبل [(٢)] في المشرق كان الإمام سحنون [(٣)] هو الآخر يمتحن في المغرب [(٤)] وكان علماء المغرب يقدرون جهود الحنابلة في الذب عن السنة والدفاع عن حياضها وينظرون إليهم على أنهم حراس العقيدة.كما أصبحت مسائل العقيدة تعقد لها المناظرات بين العلماء من مختلف الاتجاهات حتى يعرف المذهب الذي يجب أن يتبع كما حدث أيام زيادة الله [(٥)] (ت٣٠٤هـ) الذي كان يسمح بالمناظرة بين يديه في مختلف الموضوعات العقدية كالصفات وخلق القرآن وحتى النبيذ هل هو حلال شربه أم حرام [(٦)] .

---

(١) البيان المغرب (١/٢٢٣).

(٢) مرت ترجمته .

(٣) مرت ترجمته.

(٤) كتاب المحن لأبي العرب (ص٤٤٦).

(٥) هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب آخر ملوك بني الأغلب بافريقيه (تونس) توفي بالرملة فارا من المهدي العبيدي سنة ٣٠٤.

مصادر ترجمته : تهذيب ابن عساكر (٥/٣٩٨-٣٩٩) وفيات الأعيان (٢/١٩٣-١٩٤). سير أعلام النبلاء (١٤/١٩٧).

(٦) الصراع العقدي في الفلسفة الأسلامية مجموعة محاضرات (ص٣٣).

==

واذا عقدنا مقارنة بين المشرق والمغرب فى هذا المجال بالذات نجد أن أهل المشرق كانوا سباقين إلى مثل هذه المناظرات وذلك لأن وجود هذه التيارات والمذاهب البدعية بالمشرق أقدم منها فى المغرب بل إن وجودها فى المغرب تابع لوجودها فى المشرق. يحدثنا أحمد بن محمد بن سعدى (١).

== من ذلك من ذكره أبو العرب عن أبى محمد عبد الله بن حسان اليحصبى (ت٢٢٧) أنه قال: "دخلت على زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب فأصبت عنده أسد بن الفرات وأبا محرز وهما يتناظران فى النبيذ المسكر وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه فلما أن قعدت قال لى زيادة الله" ماتقول ياأبا محمد؟ فقلت قد علمت سوء رأيى فيه وقاضياك يتناظران فيه بين يديك فقال لى "ناظرنى أنت ودعهما" ثم قال لهما اسكتا" فقال لى: ماتقول؟ "فقلت "أصلح الله الأمير كم دية العقل" فقال: "وماذا من هذا؟" فقلت بجوابك ينتظم سوءالى" فقال "دية العقل ألف دينار" فقلت له "أصلح الله الأمير فيعمد الرجل إلى مافيه ألف دينار فيبيعه بزجيجة تسوى نصف درهم" فقال لى "ياأبامحمد إنه يزول ويرجع" فقلت له: "بعد ماذا أصلح الله الأمير؟ بعد أن قاء على لحيته وكشف سوءته إلى أهله وسب هذا وقتل هذا وضرب هذا؟ فقال لى "صدقت والله صدقت" طبقات أبى العرب (١٧١-١٧٢).

(١) هو الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدى الأندلسى فقيه فاضل محدث رحل قبل الأربعمائة فلقى أبا محمد بن أبى زيد القيروانى بالقيروان وأبا بكر محمد بن عبد الله الأبهرى وغيرهما وبقى بعد الأربعمائة مدة، ثم رجع إلى مصر بعد هذه الرحلة، وذلك أيام الفتن الكائنة بالمغرب كان حيا سنة ٤٠٩.

مصادر ترجمته: جذوة المقتبس (١٠٩-١١٠) رقم: ٤٨ ابغية الملتمس (١٤٤-١٤٧) رقم: ٣٤١ شجرة النور الزكية (١/١٠٦) رقم: ٢٧٤.

على نوعية هذه المجالس والتى حضرها أثناء رحلته إلى الشرق وهيئتها وقد سأله الإمام ابن أبى زيد القيروانى عن مجالس علم الكلام خلال رحلته إلى المشرق وبالذات إلى بغداد حيث قال له: " هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فقال: بلى حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها فقال أبو محمد: ولم؟ فقال: أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها المسلمين من أهل السنة والبدعة والكفار من المجوس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه فاذا جاء رئيس من أى فرقة كان قامت الجماعة إليه قياما على قيامه حتى يجلس فيجلسون بجلوسه فإذا غص المجلس بأهله ورأوا أنه لم يبق لهم أحد ينتظرونه قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم - عليه الصلاة والسلام - فإنا لا نصدق بذلك ولا نُقِرُّبِهِ وإنما نتناظر بالحجج العقلية وما يحتمله النظر والقياس فيقولون: نعم لك ذلك، قال أبو عمر فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس ثم قيل لى: ثَمَّ مجلس آخر للكلام فذهبت إليه فوجدته مثل سيرة أصحابهم فقطعت مجالس الكلام فلم أعد إليها .

قال أبو محمد بن أبى زيد القيروانى: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول؟ قال أبو عمر: هذا الذى شاهدت منهم فجعل أبو محمد بن أبى زيد القيروانى يتعجب من ذلك وقال: ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه. وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين والكفار؟ وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم وإنما يُدْعَى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة فإن رجع قبل منه وإن أبى ضربت عنقه وأما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام فإن قبلوا كف عنهم وإن أبوا وبذلوا الجزية فى موضع يجوز قبولها كف عنهم وقبل منهم وأما أن يناظروا على

أن لا يحتج عليهم بكتابنا ولا بنبينا صلى الله عليه وسلم فهذا لا يجوز فإنا لله وإنا اليه راجعون"[1] ومثل هذه المجالس كانت منتشرة بكثرة في المشرق بين رجال الفرق المختلفة ، ثم انتقلت إلى المغرب مع انتقال هذه الفرق كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه من هذا البحث والسبب في هذا الانتقال هو ما كان يتمتع به العالم الإسلامي من وحدة بحيث كان كل مايقع في المشرق تقريبا يجد له صدى في المغرب .

ومثل هذه المجالس لم تكن قد وجدت أيام الإمام مالك رحمه الله أو على أقل تقدير لم تكن بهذا الحجم كما أنها لم تكن بالمدينة ولا بمكة لوجود عدد كبير من علماء السنة بهما الذين لم يكونوا يسمحون أن يقع مثل هذا على مرأى ومسمع منهم ولذلك وجدنا الاهتمام بها من قبل العلماء مالك وغيره قليلة في تلك الفترة .

وإزاء هذه المستجدات وهذه التطورات الخطيرة كان على علماء السنة أن ينبروا للكتابة لبيان عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين ودحض شبهاتهم فكان ذلك الكم الكبير من المصنفات في هذا الجانب .

بهذا يتضح أن تأثير الإمام مالك في المغرب كان كبيرا ولكنه كان في جوانب معينة وقد كانت هناك جوانب أخرى لم يكن للإمام مالك فيها تأثير وذلك كما رأينا بسبب تأخر ظهور كثير من القضايا عن عهد الإمام مالك ولذلك لم يكن له فيها رأى فكان لابد على العلماء أن يجتهدوا إزاءها حتى يكون لهم رأيهم الخاص فيها .

---

(١) جذوة المقتبس (١٠٩-١١٠) .

الباب الثاني

علما السنه المغاربة وجهودهم فى الدفاع عن عقيدة السلف

في هذا الباب سأتحدث عن جهود علماء المغرب في نشر المذهب السني بهذا الجزء من العالم الإسلامي ودفاعهم عنه ووقوفهم في وجه المذاهب المنحرفة الأخرى التي حاولت أن تبسط سلطانها على حساب مذهب السلف وسأبين كيف استمرت هذه الفئة من العلماء تجاهد وتضحي من أجل الحفاظ على هذا الكيان السني .

فبعد أن انتهى عهد الصحابة والتابعين الذين جاؤوا لينشروا دين الله تعالى في هذا الجزء من العالم الإسلامي وينشروا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهدى السلف، جاء دور علماء المغرب الذين أخذوا عن هؤلاء التابعين وتتلمذوا عليهم أو الذين رحلوا إلى المشرق للأخذ عن علمائه . كما ينبغي الإشارة هنا إلى أن مواقف علماء المغرب مرت بمرحلتين بارزتين :

المرحلة الأولى : كان العلماء فيها يعبرون عن مواقفهم بالكلمة من خلال الفتاوى والدروس التي كانوا يلقونها في المساجد على تلاميذهم ولم يكونوا يعتنون بتدوينها للأسباب التي ذكرتها من قبل (١) .

أما المرحلة الثانية : فقد تطورت فيها وسيلة التعبير عن المواقف حيث أصبحت تدون وتقدم للناس علما مدونا له مصنفاته ومراجعه الخاصة به ، وستكون دراستي مرتبة وفق هاتين المرحلتين إن شاء الله.لقد ظلت هذه الفئة تسير على

---

(١) نذكر من هذه الأسباب اقتداءهم بالامام مالك رحمه الله الذي كان يكره الخوض فيما ليس تحته عمل .
- بغضهم الشديد لكل محاولة عقلانية في دين الله .
- الانحرافات في عهدهم لم تكن قد بلغت مبلغا كبيرا ، بل كانت في بدايتها .

بصيرة من الله غير عابئة بما يعده لها الأعداء وغير ملتفتة إلى المخاطر التي تعترض طريقها ، لقد ظلت كذلك تنشر دين الله تعالى كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشره السلف الصالح من الصحابة والتابعين حتى مكن الله تعالى لها في الأرض وأصبح المغرب الإسلامي سنيا مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" (١) .

أما القضايا والمسائل العقدية التي تناولها هؤلاء العلماء فهي التي كان الجدال يدور حولها آنذاك وقد أشرت إلى بعضها حين عقدت مقارنة بين الإمام مالك رحمه الله وأتباعه من أهل المغرب وبينت كيف كانت تعقد لهذه القضايا المجالس لمناقشتها والخروج بالرأي الصائب فيها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني سوف لا أحصر بالحديث جميع العلماء الذين كان لهم جهد في نشر المذهب السني بالمغرب وإنما سأكتفي بالحديث عمن توفرت عنهم المراجع والمصادر الموثقة والمتاحة لي لأن الغرض من البحث هو إبراز جهود هؤلاء العلماء والآثار المترتبة على ذلك .

وسأشرع الآن في ذكر جهود هؤلاء العلماء بادئا بما أُثِرَ عنهم في علمهم بالسنة والدفاع عنها كمرحلة أولى في البحث .

وأما مواقفهم مع الفرق المختلفة فهي مرحلة تالية سأرجئ الحديث عنها عند ذكر مقاومة هذه الفرق من قبل هؤلاء العلماء .

---

(١) سبق تخريجه .

الفصل الأول

علماء السنة المغاربة وجهودهم فى الدفاع عن العقيدة

الفصل الأول

علماء المغرب وتمسكهم بالسنة ودفاعهم عن العقيدة

المرحلة الأولى :- نشر عقيدة أهل السنة عن طريق الدروس والفتاوى (مرحلة ماقبل التصنيف) .

لقد كان الإمام عبد الله بن فروخ الفارسي (ت ١٧١ هـ) [١] من أوائل من رحلوا في طلب العلم وكان من شيوخ المغرب الكبار وكان مالك يجله ويعرف له فضله وكان يبغض أهل البدع ويعتزلهم [٢] .

وكان الإمام بهلول بن راشد (ت ١٨٢ هـ) [٣] من أعلام السنة الذابين عنها وكان كثيرا مايُسْمَعُ يقول " السنة السنة ويلح عليها [٤] ، وقد رأينا كيف خشي أن يكون بربطه خنصره قد وقع في بدعة وذلك لخشيته المفرطة من الوقوع في البدعة ويكون بذلك قد ابتدع شيئا لم يفعله السلف رضي الله عنهم فلما أخبر أن ابن عمر رضي الله عنهما فعله حمد الله وسرى عنه [٥] وكان أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (ت ٢٠٢ هـ) [٦] منافيا لأهل البدع وحذرا من مخالفة السنة وقد رأينا ، من قبل كيف ترك الأخذ في رحلته عن محمد بن الحسن [٧] لمجرد أن بلغه عنه شيء من مخالفة السنة وقد امتحن هذا الرجل لشدته في السنة

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) رياض النفوس (١ / ٢٣٤) .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) طبقات أبي العرب (ص ١٢٩) .

(٥) طبقات أبي العرب (١٣٠) .

(٦) مرت ترجمته .

(٧) مرت ترجمته .

وكان امتحانه فى مسألة القرآن [١] .

ولقد كان الإمام أسد بن الفرات (ت ٢١٠ هـ) [٢] هو الآخر من أعلام السنة فى تلك الفترة وكان مشهورا بالفضل والدين ، ودينه ومذهبه السنة ولم يكن فيه شىء من البدع بل كان معاديا لأصحابها مقاوما لهم وآراؤه العقدية هى آراء علماء السلف الذين أخذ عنهم وتربى على أيديهم لقد جاء فى ترجمته أنه كان يفسر قوله تعالى : (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) سورة طه : ١٣ ، ١٤ فقال عند ذلك " ويح لأهل البدع هلكت هلكهم يزعمون أن الله عز وجل خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق أنا الله لا إله إلا أنا " [٣] وكان يقول " القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق " ويُبَدِّعُ من يقول غير ذلك وكان يقول " إن الله على العرش استوى بلا كيف ويرى فى الأخرى كيف شاء لا كما يشاء العباد " ويكفر من يقول غير ذلك .

وكان يقول برؤية الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب السلف ويقول : " والله لو أن خلت الجنة فحُجِبْتُ عن رؤيته لشككت ولأنا أُسَرُّ برؤية ربى منى بالجنة " [٤]

وهذا الإمام أحمد بن أبى محرز (ت ٢٢١ هـ) [٥] ، فقد كان بحرا من من بحور العلم حافظا للسنن جامعا إماما عارفا بأصول الديانات وعلى هدى وسنة

---

(١) ترتيب المدارك (٢ / ٨) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) طبقات أبى العرب (ص ١٦٥) .

(٤) انظر هذه الأقوال فى رياض النفوس (١ / ٢٦٤-٢٦٥) ترتيب المدارك (٣ / ٣٠١-٣٠٢) .

(٥) هو أحمد بن أبى محرز ولي القضاء بعد أبيه الذى كان من مشايخ ==

واستقامة وكان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع قامعا لهم غيورا على الشريعة شديدا في ذات الله [١].

وممن كان على مذهب السلف من العلماء في تلك المرحلة عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت ٢٢٦هـ) [٢] فقد كان شديد التمسك بالسنة شديد الذب عنها شديدا على أهل البدع وكان ينكر على من يخوض في القرآن [٣].

وكانت مسألة الإمامة والخلافة في ذلك العهد والخلاف حولها قد امتد إلى المغرب بعد أن ذاق المشرق منها الويلات فسألوه مرة عن الذي يقوله الناس في أبي بكر وعلي يعني أيهما أفضل من الآخر فرفع يده وضرب السائل ثم قال "ليس هذا دين قريش ولا دين العرب هذا دين أهل قُم [٤] قرية من قرى

== المغرب وقضاته وكان ابن محرز ورعا فاضلا ، وكان سحنون إذا تكلم فيمن تقدمه من القضاة فذكر له أحمد بن أبي محرز لم يتكلم فيه إلا بخير لفضله. توفي سنة ٢٢١.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٦٧-١٦٨) رقم: ٤٠ الخشني (ص ٢٣٥) والرياض (١/ ٣٩٥-٤٠١) رقم: ١٣٥ المعالم (٢/ ٤٠-٤٨) رقم: ٩٠.

(١) المعالم (٢/ ٤٠).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي من أشراف افريقية (تونس) صاحب فقه وأدب وعلم بالتاريخ ولد سنة ١٤٠، ورحل إلى مالك وأخذ عنه وعن أبي ذئب وابن عيينة روى عنه سحنون وابن وضاح وغيرهما توفي سنة ٢٢٦.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٥٥-١٥٦) (١٧٠-١٧٣) رقم: ٢٢ رياض النفوس (١/ ٢٨٤-٢٨٩) رقم: ١٠٩ المدارك (٢/ ٣١٠-٣١٥) المعالم (٢/ ٥٨-٦٢) رقم: ٩٣.

(٣) المدارك (١/ ٤٨٠).

(٤) قم: بضم القاف وتشديد الميم كلمة فارسية وهي مدينة مستحدثة إسلامية أول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري. وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبردا وهي اليوم من مدن إيران. ==

خراسان " ثم قال : " والله مايخفى علينا نحن من يستحق الولاية بعد والينا ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا فكيف يخفى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من يستحق الأمر بعد نبيهم" (١) .

وكان عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) (٢) شديدا على أهل البدع قائما بالسنة مدافعا عنها، ولكن ذروة هذا العهد بلا منازع هو الإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) (٣) ، الذي تميز بعلمه الغزير وشجاعته النادرة وتنظيمه للمجتمع على أسس سنية ثابتة. وهو الذي فرق حِلَق أهل البدع وشرد أهل الأهواء من الصفرية والإباضية والصوفية وكانت لهم قبلها حلقات بالمسجد يتناظرون فيها ويظهرون زيغهم، وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم وأدّب جماعة منهم بعد ذلك خالفوا أمره وتوّب جماعة فكان يقيم من أظهر التوبة منهم فيعلن توبته عن بدعته (٤) وكان مذهبه في العقائد مذهب السلف رحمهم الله كما يكشف لنا ذلك هذه المناقشة القصيرة التي دارت بينه وبين ابن القصار (٥) فقد دخل يوما عليه وهو مريض (أي ابن القصار) وكان من أصحابه وأصابه في علته قلق فقال له سحنون: " ياابن القصار ماهذا القلق الذي أنت فيه؟ قال : الموت والقدوم على الله عز وجل فقال له سحنون: ألست مصدقا بالرسل أولهم وآخرهم والبعث والحساب والجنة والنار وأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله تعالى يُرَى يوم القيامة وأنه على العرش استوى ولا تخرج عن الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال ابن القصار: أي والله الذي لا إله إلا هو فضرب سحنون بيديه على ضبعيه ثم قال له: مُتْ إذا شئت مُتْ إذا شئت ثم خرج

---

(١) رياض النفوس (١/ ٢٨٧-٢٨٨) .

(٢) هو الإمام أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي من أهل القيروان رحل في طلب العلم بعد موت مالك سمع من ابن وهب والمفضل بن فضالة وغيرهما توفي في جمادى الأولى سنة ٢٣٩ وكانت ولادته سنة ١٤٧ أو ١٥٠ .
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١٨٨-١٩٠) رقم: ٦٧ رياض النفوس (١/ ٣٨٥-٣٨٧) رقم: ١٢٨ معالم الإيمان (٢/ ٧٢-٧٦) رقم ١٠١ ترتيب المدارك (١/ ٦٢٧-٦٣٠) .

(٣) مرت ترجمته . (٤) ترتيب المدارك (١/ ٦٠٠) .

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

عنه[١] فقد لخص له عقيدة أهل السنة والجماعة التي يكون بها الإنسان ناجيا يوم القيامة من عذاب الله .

وكان يقول في مسائل العقيدة «من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه»[٢] وقد امتحن هذا الإمام في بدعة القول بخلق القرآن وسلمه الله كما سيأتي ذكره في موضعه من هذا البحث وأقام الله به السنة وقمع به البدعة .

بهذا الإمام العظيم يكاد ينتهي الجيل الأول من علماء المغرب الذين حملوا لواء السنة ونشروا مذهب السلف وقاوموا الانحرافات العقدية التي كانت تعمل على أن تجد لها أرضية تنشر عليها زيفها وانحرافها وأذكر مرة أخرى إلى أن هؤلاء العلماء هم الذين تلقوا العلم عن مالك وأصحابه أو الذين عاصروه ولم يتمكنوا من لقائه لقلة ذات اليد أو لأسباب أخرى كما هو الشأن بالنسبة لسحنون الذي لم تسعفه ظروفه أن يرحل إلى مالك واكتفى بالأخذ عن كبار تلاميذه وأصحابه. وهذه المرحلة كما ذكرت من قبل تميزت بأن العلماء فيها لم يدونوا آراءهم العقدية بل كانت آراؤهم عبارة عن مواقف أو فتاوى صدرت عنهم أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم أو أثناء مناقشاتهم لأهل الفرق الأخرى .

المرحلة الثانية :- مرحلة الكتابة وتدوين الآراء العقدية .

ثم إن المدرسة السنية السلفية استمرت في أداء رسالتها في المرحلة الثانية على يد الجيل الثاني من علماء المغرب وهم الذين جاءوا بعد الجيل الأول والذين تتلمذوا على أيديهم وتخرجوا في مدرستهم وكانوا حقا خير خلف لخير سلف. لقد استمروا في حمل هذه الرسالة دون توان ولا تراجع بالرغم من الظروف القاسية التي نشأوا فيها واضطروا إلى مواجهتها . لقد كانت هذه الظروف غاية

---

(١) انظر رياض النفوس (١/ ٣٦٧-٣٦٨) .

(٢) التمهيد (٧/ ١٤٦) وهذا القول يشبه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه المشهور:

"العجز عن الإدراك إدراك".

فى القسوة إنها ظروف الثورات المستمرة وظهور الفتن والخلافات وقد أعطت هذه الثورات المتتالية الحياة الدينية طابعا خاصا فالتمرد السياسى وظهور الفرق والبدع وثورات الخوارج والشيعة أعدت أهل المغرب لأن يتمسكوا بالنصوص الشرعية من قرآن وسنة وأن يقفوا وقفة قوية فى وجه هؤلاء الدخلاء الذين كانوا حريصين على نقل عقائدهم المنحرفة إلى المغرب ونشرها به وسيأتى ذكر العقائد المنحرفة التى دخلت إلى المغرب فى الفصل التى عقدته لمقاومتها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مع مجئ هذه المرحلة تطورت وسائل الرد على المخالفين والدفاع عن عقيدة أهل السنة فبعد أن كانت هذه الوسائل عبارة عن فتاوى تلقى فى المساجد أو مواقف فردية صدرت عن أولئك العلماء أصبحت فى هذه المرحلة آراء مدونة لها كتبها ومراجعها وتدرس لطلاب العلم فى المساجد ومن خلال هذه الآراء يُقيَّمُ صاحبها ويعرف اتجاهه .

لقد برز فى هذه المرحلة عدد كبير من العلماء كان لهم الفضل بعد الله تعالى فى التمكين للمذهب السنى فى هذا الجزء من العالم الاسلامى الفسيح ودحض كل الاتجاهات والعقائد المنحرفة عنه

فمن هؤلاء العلماء الذين برزوا فى هذه المرحلة محمد بن نصر بن حضرم (١) شيخ محمد بن سحنون (٢) فقد كان ذا جدال وحجة وكان إماما فى النظر (٣) .

وأبو العباس عبد الله بن طالب (ت ٢٧٦ هـ) (٤) الذى اشتهر أيضا

---

(١) هو محمد بن نصر بن حضرم توفى بصقلية انظر عنه طبقات الخشني (ص ١٩٨)

(٢) تأتى ترجمته .

(٣) طبقات الخشنى (ص ١٩٨) .

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب سمع من سحنون وحج فلقي

==

بالمناظرة ومما كان يقوله في خطبه مما يدل على تسننه وانتحاله مذهب أهل السنة قوله" الحمد الذي عذب على مالوشاء عصم والحمد لله الذي على عرشه استوى وعلى ملكه احتوى وهو في الآخرة يُرَى" وكان مستطلعا إلى المناظرة شغوفا بها (١) .

والإمام بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ) (٢) الذي نشر الله به الحديث بالأندلس وقد لقي بسبب ذلك العنتَ .

== ابن عبد الحكيم وولي القضاء مرتين وكان لقنا فطنا جيد النظر، توفى سنة ٢٧٦ .

مصادر ترجمته: طبقات الخشني (١٣٦-١٣٨) رياض النفوس (١/٤٧٤-٤٧٩) رقم: ١٥٥، ترتيب المدارك (٢/١٩٤-٢١٢) معالم الايمان (٢/١٥٩-١٧٤) رقم: ١٢٤ الديباج المذهب (١/٤٢١-٤٢٣) رقم: ٨

(١) طبقات الخشني (ص ١٣٦) .

(٢) هو الإمام أبوعبد الرحمن بقي بن مخلد من أهل قرطبة سمع عن عدد كبير من الشيوخ بلغ عددهم ٢٨٤ شيخا ولد في رمضان من سنة ٢٠١ وتوفى سنة ٢٧٦ وألف كتبا كثيرة ممتعة منها تفسير القرآن الكريم الذي قال فيه ابن حزم:لم يؤلف مثله في الإسلام لا تفسير ابن جرير ولا غيره ومصنف في الحديث رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم ومصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور .

مصادر ترجمته تاريخ علماء الأندلس (١/٩١-٩٣) رقم: ٢٨٣ سير أعلام النبلاء (١٣/٢٨٥-٢٩٦) رقم: ١٣٧ نفخ الطيب (٢/٥١٨-٥٢٠) رقم: ٢٠٩ طبقات الحفاظ (٢/٦٢٩-٦٣١) طبقات المفسرين (١/١١٦-١١٧) رقم: ١١٠ .

ولهذا الإمام قصة عجيبة مع أهل الاندلس هي قصة التعصب المذهبي ==

== الذى بدأ يغزو تلك المنطقة، والتعصب على مافيه من جوانب إيجابية من التنافس وشحذ الهمم فى إثراء هذه المذاهب لكنه فيه أيضا جوانب حالكة وقاتمة هي محاولة الظهور على أنقاض المذاهب الأخرى والذى يرتضى -كما يقول الإمام المقرى رحمه الله- فى (نفح الطيب ٢٠٥-٥٢١): "أن من قلد إماما من المجتهدين لا ينبغى له أن يغض الطرف من قدر غيره وإن كان ولابد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك يحسن أدب مع الأئمة رضى الله عنهم فإنهم على هدى من ربهم وقد ضل بعض الناس فحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز فى حق العلماء الذين هم نجوم الملة ولا حول ولا قوة إلا بالله".

لقد كان الإمام بقى بن مخلد ضحية للتعصب المذهبى مثله فى ذلك مثل كثير من العلماء غيره الذين تركوا التقليد واتبعوا الدليل لقد كان ضحية تعصب المالكية. فبالرغم مما يعرف عن المالكية أنهم كانوا فى الجوانب العقدية يقفون عند نصوص الكتاب والسنة إلا أنهم كانوا فى الناحية الفقهية شديدى التعصب لمذهب مالك ينافرون كل من خالف مذهبه وقد صور لنا الإمام منذر بن سعيد البلوطى (ت ٣٥٥هـ) تعصب المالكية فى عصره أروع تصوير بأبيات له قال فيها:

عذيرى من قوم إذا ما سألتهم :: دليلا قالوا هكذا قال مالك

فإن زدت قالوا قال سحنون مثله :: وقد كان لا تخفى عليه المسالك

فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا :: علي وقالوا أنت خصم مماحك

نفح الطيب (٣/ ٢٦٦-٢٦٧).

وقد بلغ من تعصب المالكية فى المغرب أنهم كانوا لا يولون القضاء إلا من كان على مذهب مالك كما يقول ابن حزم رحمه الله "مذهبان انتشرا بدء

==

....

== آمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبى حنيفة فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله فكان لايولي البلاد من أقصى الشرق الى أقصى أعمال افريقية (تونس) الا أصحابه المنتمين الى مذهبه ،ومذهب مالك بن أنس عندنا فان يحي بن يحي (ت ٢٣) كان مكينا عند السلطان مقبول القول فى القضاة فكان لايلى قاض في أقطارنا الا بمشورته واختياره ولايشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه ،والناس سراع الى الدنيا والرياسة فأقبلوا على مايرجون بلوغ أغراضهم به " .

وقد بلغ هذا التعصب ذروته فى عهد المرابطين اذ لم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده الا من علم علم الفروع على مذهب مالك وقد صور لنا عبدالواحد المراكشي فى معجبه (ص ٢٣٦) سلوك المالكية فى ذلك الزمان أبرع تصوير حيث يقول :

" فنفقت فى ذلك الزمان كتب المذهب (مذهب مالك) وعمل بمقتضاها ونبذ ماسواها وكثر ذلك حتى نسى النظر فى كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ".

وقد عظم شأن الفقهاء المالكية فى ذلك الزمان وانصرفت وجوه الناس اليهم فكثرت لذلك أقوالهم واتسعت مكاسبهم وفى ذلك يقول أحمد بن محمدالمعروف بابن البنى منأهل مدينة جيان منجزيرة الأندلس مخاطبا ===

== فقهاء ذلك الزمان ويتهكم بهم :-

أهل الرياء لبستموا ناموسكم : : كالذئب أدلج في الظلام الغاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك : : وقسمتموا الأموال بابن القاسم

وركبتموا شهب الدواب بأشهب : : وبأصبغ صبغت لكم في العالم

انظر المعجب (٢٣٥-٢٣٦) .

ولا بأس أن أنقل هنا بعض صور هذا التعصب غير التي ذكرت .

منها وضع الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستدلال على ما خالفوا فيه السنة الصريحة كما فعل أصبغ بن خليل الذي افتعل حديثا لستدل به على عدم مشروعية رفع اليدين في غير تكبيرة الاحرام هذا نصه :-

أصبغ بن خليل عن غازي بن قيس عن سلمة بن ورد عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال : صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر سنتين وخلف عمر عشر سنوات وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة وخلف علي بالكوفة خمس سنوات فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الإحرام .

ودليل الوضع واضح من الإسناد فإن سلمة بن ورد لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خيثم حرفا قط ولا رآه وقال : ابن مسعود صلى خلف علي كرم الله وجهه بالكوفة وابن مسعود مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما .

انظر هذا الحديث ونقده في ترجمة أصبغ بن خليل في تاريخ علماء الأندلس (١ / ٧٧-٧٩) ت : ٢٤٧ .

وانظر أيضا ترتيب المدارك (٢ / ١٤٣) .

وكان أصبغ هذا شديد البغض لبقي ابن مخلد ذكر ابنه أنه كان ينهاه عن السماع من بقي وكان لهم جارا بل نقل عنه أنه قال " لأن يكون ==

== تابوتي رأس خنزير أحب إليَّ من أن يكون مسند ابن أبي شيبة" فانظر إلى هذا التعصب الذى يعمي ويصم .

وهذا التعصب للأسف الشديد استمر على مدى العصور المختلفة ففي ترجمة أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي ، أن سبب خروجه من الأندلس وهجرته منها أنه كان يرفع يديه في الصلاة في غير تكبيرة الإحرام على ما صح من الحديث فبلغ ذلك السلطان فتوعده بقطع يديه فضج أبو جعفر من ذلك وقال : إن إقليما تُمَاتُ فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يُتَوَعَّدَ بقطع من يقيمها لجدير أن يرحل منه وقَدِمَ ديار مصر وسمع الحديث .

انظر نفح الطيب (٢/٦٥٥-٦٥٦) المنهل الصافي (١/٢٩٩)

بعد هذه الرحلة الطويلة نوعا ما أعود إلى بقي ابن مخلد الذى كان ضحية هذا التعصب كما قلت فبعد أن رجع من رحلته المشرقية بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية وكان لا يقلد أحداً أغاظ ذلك فقهاء قرطبة أصحاب التقليد الزاهدين في الحديث فحسدوه ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير حتى ألزموه البدعة وتخطى كثير منهم الي رميه بالإلحاد والزندقة وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة ودعوا إلى سفك دمه وخاطبوا الأمير بذلك وأكثروا عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى دمه وسألوه تعجيل الحكم فيه فاشتد خوف بقي جدا واستتر خوفا على دمه ثم هداه الله إلى التعلق بحبل هاشم بن عبد العزيز وهو صاحب الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل) وسؤاله الأخذ بيده فألقى الله في روع هاشم الإصغاء إلى شكواه والفهم عن مغزاه والاعتناد بأمره ثم حددوا له موعدا يحضر فيه إلى القصر هو وخصومه للمناظرة فأدلى بحجته وبزَّ خصومه واستبان للأمير حسدهم إياه وتخلفهم عن مداه فدفعهم عنه وأمره بنشر علمه فاعتلى ذروة العلم ولم يزل عظيم القدر عند الناس .

انظر القصة في كتاب المقتبس (ص ٢٤٨-٢٥٠) والتعليق رقم (٤١) (ص ٥٦٦) ==

وكان فى العقائد على مذهب السلف،جاءت آراؤه الموافقة لمذهبهم فى تفسيره الذى لم يصلنا، تذكر ذلك الإمام ابن تيمية فى (درء تعارض العقل والنقل)[١] حيث يقول " والتفاسير المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وذكر منها تفسير بقى بن مخلد وقال : وفيها (أى فى هذه التفاسير) من هذا الباب الموافق لقول المثبتين مالا يحصى .

ومنهم الإمام أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩ هـ)[٢] الذى كان شديدا فى مذاهب أهل السنة ،مجانباً لأهل الأهواء وكان له جهد عظيم فى النهى على من ينحرف عن طريقة أهل السنة لا يسلم على أحد منهم[٣] .

ومنهم يحي ابن عمر (ت ٢٨٩ هـ)[٤] الذى كان كثير النهي على كل محدثة وبدعة وألف عدة تآليف فى الرد على المبتدعة منها الرد على المرجئة .ومنهم الامام جبله بن حمود الصدفي (ت ٢٩٩ هـ)[٥] الذى كان هو الآخر شديدا على

== وانظر حول تعصب المالكية أيضا ماقاله ابن عبد البر فى الجامع (٢ / ٢٠٧) والمقدسي فى احسن التقاسيم (ص ٢٣٦) .

(١) (٢ / ٢٢) وانظر أيضا موافقة صحيح المنقول لصريح العقول (٢ / ١٣) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) ترتيب المدارك (٢ / ٢٥٤) .

(٤) هو يحي بن عمر بن يوسف الأندلسي كان من أهل الصيام والقيام وكان مجاب الدعوة حريصاً على العلم توفى سنة ٢٨٩ .
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١ / ٤٩٠-٥٠٤)رقم: ١٦ ، طبقات الخشني (ص ١٣٤-١٣٦) ترتيب المدارك (٢ / ٢٣٤-٢٤١) معالم الأيمان (٢ / ٢٣٣-٢٤٦)رقم: ١٤٣ لسان الميزان (٦ / ٢٧٠-٢٧٢)رقم: ٩٥٠

(٥) مرت ترجمته .

أهل البدع لا يداري أحدا منهم ولم يكن أحد أكثر مجاهدة للروافض منه.

ومنهم الإمام محمد بن عمر بن لبابة (ت ٣١٤هـ)[(١)] والذي كان من كبار علماء الأندلس وكان يفارن بالامام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ)[(٢)] ومحمد بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ)[(٣)]، وكان ينادي بالالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهما "الحق الذي لا شك فيه وأما الرأي فمرة يصيب ومرة يخطئ كالذي يتكاهن"[(٤)].

ومنهم الإمام محمد بن أحمد الفارسي (ت ٣٥٩هـ)[(٥)] وكان رجلا خيرا

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابه كان من أئمة الفقه في الأندلس روى عن مالك بن علي القرشي الزاهد وأبي يزيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن يحي المعافري وروى عنه أبو عيسى يحي بن عبد الله بن أبي عيسى وخالد بن مسعد وغيرهما توفي بالأندلس سنة ٣١٤.

مصادر ترجمته : جذوة المقتبس (ص ٧٦) رقم: ١١٠ تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٣٤-٣٥) رقم: ١١٨٩.

(٢) ستأتي ترجمته ص.

(٣) ستأتي ترجمته ص.

(٤) جذوة المقتبس (ص ٧٦).

(٥) هو الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي المعروف بابن الحراز من أهل القيروان سمع بالقيروان من أحمد بن زياد وأحمد بن محمد القصري وغيرهما وحج فلقي العقيلي وجماعة وسمع بالأسكندرية من علي بن عبد الله بن أبي مطر ثم قدم الأندلس واستقر بقرطبة توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ٣٥٩.

مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١١٢) رقم: ١٣٩٩.

فاضلا متمسكا بالسنة شديد الإنكار على أهل البدع صلبا فى ذلك ، وكان قد أمتحن من أجل صلابته تلك [(١)]

ومنهم الإمام أحمد بن عون البزاز (ت ٣٧٨هـ) [(٢)] كان شيخا صدوقا صالحا صارما فى السنة متشددا على أهل البدع وكان لهجا بهذا النوع صبورا على الأذى. [(٣)]

ومنهم الإمام عباس بن عمرو بن هارون الوراق (ت ٣٧٩هـ) [(٤)] الذى كان من أهل السنة قائما عليها بصيرا بالرد على أصحاب المذاهب وكان هذا الفن من العلوم أكثر علمه [(٥)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١١٢) رقم: ١٣٩٩.

(٢) هو الامام أبو جعفر أحمد بن حدير من يحي بن تبع بن تبيع البزاز من أهل قرطبة سمع فى قرطبة ومكة وطرابلس والشام ومصر بن عدد من العلماء منهم قاسم بن اصبغ من قرطبة وابن الأعرابى وابن فراس بمكة وغيرهم توفى سنة ٣٧٨ وكانت ولادته سنة ٣٠٠.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٥٤) رقم: ١٨٣

(٣) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٥٤).

(٤) هو الامام أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الكنانى الوراق من أهل صقلية خرج من صقلية إلى القيروان سنة ٣١٥ فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الأندلس سنة ٣٣٦ كتب عنه غير واحد توفى يوم الجمعة لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٣٧٩ وكان مولده سنة ٢٩٥.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٩٩) رقم: ٨٨٦.

(٥) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٩٩).

ومنهم الإمام احمد بن محمد بن سعدى (كان حيا سنة ٤٠٩)[١] الذى كان من أعلام السنة فى ذلك العهد الذابين عنها مجانبا لأهل البدع والأهواء وقد رأينا كيف ترك مجالس أهل الكلام خلال رحلته إلى المشرق لما رأى فيها من مخالفة للدين[٢] .

ومنهم الإمام ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)[٣] الذى كان على منهج السلف فى العقائد ذابا عن السنة يظهر ذلك من شرحه لصحيح البخارى[٤] .

ومنهم الإمام محمد بن أبى نصر فتوح الحميدى (ت ٤٨٨هـ)[٥] وكان هو

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) راجع ص .

(٣) هو الامام أبوالحسن على بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكرى القرطبى ويعرف بابن اللجام محدث فقيه توفى سنة ٤٤٩ من آثاره شرح صحيح البخارى، الأعتصام فى الحديث .
مصادر ترجمته: الصلة (٤١٤/٢) رقم: ٨٩١ ترتيب المدارك (٨١٧/٢) سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨-٤٨) رقم: ٢٠ الديباج المذهب ١٠٥/٢-١٠٦) رقم: ١٥ شذرات الذهب (٢٨٣/٣)شجرة النور الزكية (١١٥/١)رقم: ٣١٥ .

(٤) سيأتى نقل كلامه، وشرحه هذا يوجد مخطوطا ومنه نسخة مصورة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .

(٥) مرت ترجمته ص ١٧ .

الآخر من أعلام السنة محققا في أصول الدين على مذهب أصحاب الحديث داعيا إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اجتمعت عليه الأمة ومن شعره في ذلك قوله[1] :

كلام الله عز وجل قولي :: وما صحت به الآثار ديني

وما اتفق الجميع عليه بدءا :: وعودا فهو من حق مبين

فدع ما صد عن هذي وخذها ::: تكن فيها على حق يقين

ومنهم الإمام محمد بن الحسن الحضرمي (ت ٤٨٩ هـ)[2] الذي كان إماما في أصول الدين على مذهب السلف كما يظهر من مؤلفه في العقائد (الإيماء إلى مسألة الاستواء) وله نهوض بعلم الاعتقادات والأصول[3]. ولكن من أبرز رجال هذه المرحلة الذين كانت لهم القدم العالية في ترسيخ المذهب السني في المغرب والأثر العظيم في إرساء دعائمه بهذا الجزء من العالم الإسلامي الفسيح ، والذين أثروا هذا الجانب بمصنفاتهم ومواقفهم .

---

(١) انظر مصادر ترجمته

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي يعرف بالمرادي قدم الأندلس وروى عن أهلها كان رجلا نبيها عالما بالفقه، وكان مع ذلك ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة توفي سنة ٤٨٩ .
مصادر ترجمته : الصلة (٢/٦٠٤-٦٠٥) رقم: ١٣٢٦ .

(٣) انظر الصلة : (٢/٦٠٥) .

الإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ)[١] الذى يعتبر فاتحة هذا العهد أو هذه المرحلة (مرحلة الكتابة فى مسائل العقيدة) لكونه أول من فتح باب الكتابة فى مسائل العقيدة على طريقة أهل السنة بعد ماظل علماء السنة المغاربة محجمين عن اقتحامه للأسباب التى ذكرتها فى موضعها من هذا البحث لقد كان هذا الإمام من الاكابر كما يصفه الإمام ابن تيمية[٢] حيث يقول : " وكذلك

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخى القيروانى ولد فى القيروان سنة ٢٠٢ ودرس على يد والده الإمام سحنون وغيره ثم رحل إلى المشرق فدخل مكة ومصر ولقى فى رحلته عددا كبيرا من الائمة منهم الزهرى ويعقوب بن كاسب وسلامة بن سبيب وغيرهم توفى سنة ٢٥٦ وقد رثاه جمع كبير من الشعراء منهم أحمد بن أبى سليمان الذى رثاه بقصيدة طويلة جاء فيها .

ألا فانك للإسلام إن كنت باكيا :: لحيل من الإسلام أصبح واهيا
ألا أيها الناعي الذى جلب الأسى :: وأورثنا الأحزان لاكنت ناعيا
نعيت إمام العالمين محمدا :: وقلت مضى من كان للدين راعيا

مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/٤٤٢-٤٥٨) رقم: ١٤٧ سير أعلام النبلاء (١٣/٦٠-٦٣) رقم: ٤٥ معالم الإيمان (٢/١٢٢-١٣٦) رقم: ١١٦ شذرات الذهب (٢/١٥٠) لسان الميزان (٥/٢٥٩) رقم: ٨٩٢ الديباج المذهب (٢/١٦٩-١٧٣) رقم: ١٤ تاريخ التراث العربى لسزكين (١/٣/١٥٦) .

(٢) سبقت ترجمته .

المتأخرين من أصحاب مالك كأبي الوليد الباجي (١) وأبي بكر بن العربي (٢) لا يعظمون إلا بموافقة السنة والحديث وأما الأكابر مثل ابن حبيب (٣) وابن

---

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي التميمي المالكي الباجي (نسبة الى باجة المدينة الأندلسية الشهيرة وهي غير باجة تونس) فقيه محدث أحد علماء الأندلس وحفاظها رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦ فحج ودخل بغداد ولقي العلماء أمثال أبي جعفر السمناني الذي درس عليه الأصول صنف مصنفات عظيمة ومفتعة مثل المنتقى في شرح موطأ الامام مالك " أحكام الفصول في أحكام الأصول " ولي القضاء بعد رجوعه من المشرق توفي سنة ٤٧٤ وكانت ولادته سنة ٤٠٣ .

مصادر ترجمته: الصلة (١/ ٢٠٠-٢٠٢) رقم: ٤٥٤ بغية الملتمس (ص ٢٨٩) رقم: ٧٧٧ وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨-٤٠٩) رقم، ٢٧٥، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥-٥٤٥) رقم: ٢٧٤ ترتيب المدارك (٢/ ٨٠٢-٨٠٨) البداية والنهاية (١٢/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) مرت ترجمته -

(٣) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس وفقيهها في عصره أصله من طليطله وسكن قرطبة وتوفي بها كانت له رحلة إلى المشرق دخل فيها مصر وكان عالما بالتاريخ والأدب من تصانيفه "غريب الحديث" الواضحة في السنة والفقه "إعراب القرآن" توفي سنه ٢٣٨

مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٢٦٩-٢٧٢) رقم: ٨١٦ الديباج المذهب (٢/ ٨-١٥) رقم: ٢، جذوة المقتبس (ص ٢٨٢-٢٨٤) رقم: ٦٢٨ . ترتيب المدارك (٢/ ٣٠-٤٨) تذكرة

==

سحنون ونحوهما فلون آخر"[١] وكان إمام عصره في مذهب مالك واسع المعرفة متطلعا في علوم شتى جامعا لخلال قلما اجتمعت في غيره من الفقه البارع والعلم بالأثر والجدل والمناظرة قوي المعارضة في الجدل لا يقدر عليه أحد قوي الحجة على المخالفين. وتذكر كتب التراجم بعض مناظراته التي أفحم فيها خصومه ومنها مناظرته لأحد اليهود أثناء وجوده بمصر وكيف أنه أفحمه وأقام عليه الحجة مما جعل اليهودي يعلن إسلامه أمام الملإ وكان اليهودي قبل ذلك لا يناقش أحداً من المسلمين إلا غلبه[٢].

وكان الإمام محمد بن سحنون يحسن الحجة والذب عن أهل السنة والرد على أهل الأهواء ولم يكن أحد في عصره أجمع الفنون العلم ولا أكثر تصنيفا منه حيث صنف مصنفات عظيمة في الفقه والعقيدة والمغازي وغير ذلك من فنون العلم والذي يهمنا نحن في بحثنا هذا مصنفاته التي تتعلق بالناحية العقدية وقد كان له في هذا الجانب قصب السبق بمصنفاته الكثيرة والتي نذكر منها :

كتاب في أصول الدين ذكره فؤاد سزكين في كتابه (تاريخ التراث العربي)[٣]، رسالة في السنة .

كتابان في الإمامة:وقد كتبا هذان الكتابان بماء الذهب وأُهدِيا إلى الخليفة ببغداد وما ألف في هذا الباب أحسن منهما كما قال عيسى بن مسكين (انظر قوله ص ٥٠٠)،ومما يدل على أهميتها ماجاء في ترجمة أبي العرب[٤] وكان ممن عقد الخروج على بني عبيد في ثورة

== الحفاظ (٢/٥٣٧-٥٣٨) رقم: ٥٥٤ تهذيب التهذيب (٦/٣٩٠-٣٩١) رقم: ٧٣٦ .

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (٤/١٨).

(٢) انظر هذه القصة في مصادر ترجمته .

(٣) انظر (١/٣/١٥٧) وأشار إلى أنه توجد منه نسخة خطية بأوقاف الرباط تحت رقم (١٠٧٦) ضمن مجموع .

(٤) مرت ترجمته .

أبي يزيد[١] أنه لما حاصر الشيعة المهدية[٢] سمع الناس من أبي العرب هناك هذين الكتابين وقال أبو العرب عند ذلك "كتبت بيدي ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب لقراءة هذين الكتابين هنا أفضل عندي من جميع ماكتبت"[٣] .

وله كتاب "الإيمان والرد على أهل الشرك" وكتاب (الحجة على القدرية) وكتاب الرد على البكرية) و (كتاب الرد على أهل البدع) و (رسالة فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم) إلا أنه هذه المؤلفات للأسف الشديد لم يصلنا منها شيء إلا ماذكره فؤاد سزكين عن كتاب (أصول الدين) وله كتاب آخر مطبوع لكن لا علاقة له ببحثنا هو كتاب آداب المتعلمين .

ولئن كانت هذه المصنفات قد ضاعت مع ماضاع من تراث هذه الأمة فإن أفكاره وآراءه لا زالت شاهدة على عظمته وتقدمه في العلم وهذه الأفكار نقلت إلينا عن طريق كتب التراجم وكتب العقائد التي سنذكر بعضها أثناء بسطنا لآراء علماء المغرب العقدية في موضعه من هذا البحث .

٢ـ الرجل الثاني : أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢) .

وأما الرجل الثاني الذي برز في هذا العهد كحامل للواء السنة فهو الإمام أبو عثمان سعيد ابن الحداد (ت٣٠٢هـ)[٤] الذي كان له في كل ميدان أثر وسيأتي ذكره كثيراً في هذه الرسالة فهو يعتبر أشهر رجال هذه المرحلة فهو الذي رفع لواء السنة ودك حصون البدعة بمواقفه المشهودة التي تنم عن عقلية جبارة وذكاء حاد وكانت له مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) المهدية : مدينة بناها عبيد الله المهدي الشيعي سنة ٣٠٠ على ساحل البحر المتوسط .
انظر عنها وصف إفريقيا (٢ / ٨٥-٨٧) وانظر الحلل السندسية في الأخبار التونيسية (١ / ٤٣٩-٤٤٥) الروض المعطار في خبر الأقطار (٥٦١-٥٦٢)

(٣) انظر معالم الإيمان (٣ / ٤٥) سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣٩٥) .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المشهور بابن الحداد ولد ==
سنه ٢١٩ [illegible] مصادر ترجمته :

والذب عن السنة"[١] وأعظم هذه المواقف ماكان في مقاومة الشيعة وهي التي ردت إليه اعتباره بعد ماكان خامل الذكر مهجورا من قبل المالكية لأنه لم يكن على مذهب إمامهم ولم يكن يقلد أحدا مع ميل شديد لمذهب... . وبالرغم من أنه لم تكن له رحلة إلى المشرق كما هو حال علماء ذلك الزمان إلا أنه فاق معاصريه وحتى الذين رحلوا منهم في النواحي العلمية فقد كان واسع المعرفة متضلعا في علوم شتى ،كان لغويا ونحويا ومفسرا ومجتهدا وأصوليا ومؤلفاته الغزيرة والمتنوعة دليل على ذلك .

والذى يهمنا فى بحثنا هذا مصنفاته فى الجوانب العقدية وهى كثيرة منها كتاب الاستواء "[٢] و كتاب توضيح مشكل القرآن[٣] و"كتاب عصمة الأنبياء و"كتاب المقالات" وفيه رد على جميع المذاهب وله مجالس كثيرة متناثرة هنا وهناك فى كتب التراجم[٤] .

٣- أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى :

ويعتبر الإمام أبو محمد عبد الله ابن أبى زيد القيروانى (ت٣٨٦هـ)[٥]

== معالم الايمان (٢٩٥/٢-٣١٥) رقم ١٥٨ - رياض النفوس (٧٥/٢- ١١٥) رقم ١٧٦ تاريخ فؤاد سزكين (١ / ٤ / ٣٢-٣٣) طبقات الخشنى (ص ١٩٩ وما بعدها) .

(١) الخشنى (١٩٩) .

(٢) نشر قطعة منه الدكتور عبد المجيد بن حمده فى كتابه المدارس الكلامية بأفريقية إلى ظهور الأشعرية (ص ٣٠٩-٣١٩) .

(٣) ذكر صاحب (تراجم المؤلفين التونسيين) أن منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس .

(٤) انظر فؤاد سزكين حيث ذكر مصادر وجود هذه المجالس وعند الحديث عن مقاومة التشيع أذكر جزءا منها .

(٥) مرت ترجمته .

رأس رجال هذه المرحلة كان يلقب "بمالك الصغير" لما كان له من أثر عظيم ود ورفعال في نشر مذهب مالك على نطاق واسع بالمغرب بمصنفاته الكثيرة والنافعة والتي لقيت شهرة منقطعة النظير في عهده وبعده حيث أقبل عليها طلبة العلم دراسة وشرحا وتدريسا .

وإلى جانب بروزه في الفقه على مذهب مالك كان في الناحية العقدية أيضا من أبرز رجال هذه المرحلة ان لم نقل أبرزهم وكانت طريقته في العقائد هي طريقة السلف "لا يدري ما الكلام ولا يتأول" كما يقول الإمام الذهبي (١) وبسبب عقيدته السلفية اتهم بالتشبيه كما يقول الإمام المقري (٢) في أزهار الرياض (٣) وكان ممن اتهمه أبو بكر ابن العربي (٤) في كتابه (العواصم من القواصم) حيث يقول "ثم جاءت طائفة ركبت عليه فقالت: إنه فوق العرش بذاته وعليها شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني فقالها للمعلمين فسكنت بقلوب الأطفال والكبار" (٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/١٧) .

(٢) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن التلمساني الشهير بالمقري مؤرخ أديب ألف عدة مصنفات منها (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) (أزهار الرياض في أخبار عياض) وغيرها توفي بالقاهرة سنة ١٠٤١ وكانت ولادته سنة ٩٩٢ .
مصادر ترجمته: معجم المؤلفين (٢/٧٨) خلاصة الأثر للمحبي (١/٣٠٢-٣١١) وانظر مقدمة احسان عباس على نفح الطيب (ص ٥ وما بعدها) .

(٣) ٨٥/٣) .

(٤) مرت ترجمته .

(٥) انظر آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (٢/٢٩٠-٢٩١) وقال

وزعموا أنه وقع في التشبيه لأنه لم يكن يحسن الكلام الذى يعرف به مايجوز على اللـه وما لا يجوز[(١)] وقد انبرى الإمام ابن تيمية لرد هذه الفرية والتهمة عنه فقال "ولم يرد على ابن أبي زيد في قوله" إن الله مستو على عرشه بذاته"الا من كان من أتباع الجهمية النفاة فزعم أن ماقاله ابن أبى زيد وأمثاله مخالف للعقل "وقال:" إنهم لم يردوا عليه قوله لكونه مخالفا للكتاب والسنة ولكن لكونه مخالفا للعقل[(٢)]

وكلام هؤلاء ترده كتبه القيمة في مجال العقيدة وهى كثيرة وترده شهادة كبار علماء الكلام فهذا الإمام أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)[(٣)] رأس الأشعرية في عصره

== الفاكهاني في شرحه على الرسالة (ل ٨٥أ) : "اعلم أنه قد أخذ على المصنف في هذه العبارة وهى قوله بذاته" أما ابن خلدون فقد خرجها تخريجا آخر انظر المقدمة (٢/ ١٠٤٤) وأما الشيخ زاهد الكوثرى فقد قال عنها "إن هذه العبارة مدسوسة عليها، أي على الرسالة انظر التعليق رقم (١) من ص ١٢٣ من كتاب (تبيين كذب المفترى وهى عبارة سبق إليها (انظر شرح الفكهاني للرسالة (١٨٥أ) أما الدكتور أبو الأجفان الذى حقق الرسالة فقد حاول جاهدا أن يحرف العبارة حتى تتناسب مع مذهبه .

انظر الرسالة الفقهية بتحقيقه (ص ٧٦) طبعة دار المغرب وهو تحريف سبقه إليه غيره انظر مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول (٢١٨-٢١٩)

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (المجلد الأول ص ٢١٤) .

(٢) الفتاوى (٥/ ١٨٢) وانظر أيضا مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول ص ٢١٤) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني أصله من البصرة وعاش في بغداد واستدعاه عضد الدولة الى بلاطه في شيراز ليناظر المعتزلة ==

يشهد لابن أبى زيد القيروانى بالتبحر فى علم أصول الدين فى كتابه المصنف فى كرامات الأولياء [١] حيث يقول: "لأن فضل علمه ومانعرفه من دينه وحسن بصيرته واضطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط فى التوسع فى معرفة فروعه .." [٢] ونقل هذه الشهادة أبو على السكونى (ت ٧١٧هـ) [٣] فى كتابه (لحن العوام فيما يتعلق

== وقد ذكرت مصادر ترجمته هذه المناظرات ويعتبر الباقلانى أنبه متكلمى المدرسة الأشعرية توفى سنة : ٤٠٣

مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩-٣٨٣) رقم: ٢٩٠٦ تبيين كذب المفترى (٢١٧-٢٢٦) وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩-٢٧٠) رقم: ٦٠٨ ترتيب المدارك (٢/ ٥٨٥-٦٠٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠-١٩٣) رقم: ١١٠ الديباج المذهب (٢/ ٢٢٨-٢٢٩) رقم: ٥٥ انظر مصادر أخرى فى تاريخ التراث العربى لسزكين (١/ ٤/ ٤٨-٤٩) وانظر مقدمة سيد أحمد صقر على (اعجاز القرآن للباقلانى).

(١) نشر هذا الكتاب الأب رتشرد مكارثى تحت عنوان (كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات) طبعة المكتبة الشرقية ساحة النجمة ببيروت (عام ١٩٥٨) وانظر نقد هذه الطبعة للدكتور صلاح الدين المنجد فى مجلة معهد المخطوطات العربية (٤/ ٣٥١).

(٢) انظر ص ٥٥

(٣) هو أبو على عمر بن محمد بن محمد بن خليل السكونى المغربي المالكى من أهل اشبيلة ونزل تونس كان مقرئا ومتكلما ومفسرا صنف عدة تصانيف منها (لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام) التمييز لما أودعه الزمخشرى من الاعتزالات فى تفسير الكتاب العزيز توفى سنة ٧١٧.

==

بعلم الكلام)[١] وزاد عليها .

ولما بلغ العلامة يوسف بن عمر بن عبد البر تعقب بعض الشيوخ لكلام المصنف بأنه أثبت لله مكانا رد هذا التعقيب بورود الفوقية في القرآن. قال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ)، وقال: (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) وقال: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)

ويصفه ابن فرحون (ت٧٩٩هـ)[٣] بأنه كان "ذابا عن مذهبه قائما بالحجة بصيراً بالرد على أهل الأهواء"[٤].

ومصنفاته في مجال العقيدة أيضا شاهدة على تبحره في علم أصول الدين وهي كثيرة ذكرها له المترجمون وقد طبع بعضها مثل الرسالة في الفقه المالكي[٥] والتي

== مصادر ترجمته: الزركلي في الأعلام (٥/٦٣) معجم المؤلفين (٧/٣٠٩) تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٤٧-٥١) رقم: ٢٤٤ . مقدمة لحن العوام .

(١) الكتاب نشر في مجلة حوليات الجامعة التونسية عدد ١٢ سنة ١٩٧٥ ، بتحقيق سعد غراب وانظر الشهادة ص ٢١٠ الفقرة ١١٢.

(٢) الفواكه الدواني (١/٤٦).

(٣) هو أبو الوفاء برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني المالكي ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها وتفقه على علمائها وولي قضاءها توفي سنة ٧٩٩ في العاشر من ذي الحجة وكان مولده سنة ٧١٩ تقريباً صنف كثيرا من المصنفات الجيدة منها تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام والديباج المذهب وغيرها .
مصادر ترجمته: الدرر الكامنة (١/٤٩) رقم: ٢٤ شذرات الذهب (٦/٣٥٧-) معجم المؤلفين (١/٦٨) .

(٤) الديباج (١/٤٢٧).

(٥) حول هذه الرسالة وطبعاتها وشروحها ونسخها المخطوطة انظر ==

والتي قدم لها بمقدمة في العقائد وهذه الرسالة هي أشهر كتبه.وكتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والسير [(١)] وقد قدم له أيضا بمقدمة في عقيدة أهل السنة وله (رسالة في التوحيد) [(٢)] وله (كتاب في النهى عن الجدال) ورسالة في الرد على القدرية، ورسالةفي الرد على البن مسره) لمارق (ت٣١٩هـ) [(٣)] قال فيها ابو على السكوني [(٤)] وقد

== فوءاد سزكين تاريخ التراث العربي (١/٣/١٦٧-١٧٢) وانظر أيضا مقدمة الدكتور محمد أبي الأجفان والهادى حمو من الطبعة التي قاما بتحقيقها والتعليق عليها (ص ٣٨-٤٨) طبعة دار الغرب الإسلامي (الطبعة الأولى ١٤٠٦/١٩٨٦).

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد أبي الأجفان وعثمان بطيخ (مؤسسة الرسالة ط٢/١٤٠٣/١٩٨٣).

(٢) ذكرها صاحب شجرة النور الزكية (ص ٩٠٦).

(٣) تأتي ترجمته والحديث عنه في فصل مقاومة التصوف والرسالة ينظر عنها لحن العوام للسكوني المذكور آنفا التعليق رقم٦ وذكر فوءاد سزكين (١/٣/١٧٣) أنه وصل إلينا منها قطعة ضمن كتاب طبقات أبي العرب (ص ٢٤٤-٢٤٥) وعند رجوعي للطبعة الجديدة من هذا الكتاب لم أعثر على هذه القطعة فلعلها في الطبعة القديمة وهي مفقودة تقريبا وذكر أيضا أنها وردت في البيان المغرب) لابن عذاري المراكشي (١/٢٨٠) وعند رجوعي أيضا لهذا الكتاب لم أجدها

(٤) مرت ترجمته.

صنف الفقيه أبو محمد بن أبي زيد - رحمه الله - كتابا في الرد على ابن مسرة منطويا على التقاسيم الأصولية والقوانين الحقيقية البرهانية تدل على تبحره في علم أصول الدين وبهذا شهد له القاضي أبوبكر الباقلاني في كتابه المصنف في كرامات الأولياء[(١)] وقد سبق الإشارة لقول الباقلاني ونقله .

وله كتاب في (مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي) وهو كتاب كما يظهر من عنوانه فيه رد على المعتزلة وسيأتي الحديث عنه في موضعه إن شاء الله وقد قرظ هذا الكتاب ابن عساكر[(٢)] في كتابه (تبيين كذب المفترى)[(٣)] بقوله : "من وقف عليها علم أنه كان نهاية في علم أصول الدين رحمه الله" وله (رسالتان في الرد على الصوفية) التي استفحل أمرها في ذلك الزمان وسيأتي الحديث عن هاتين الرسالتين والسبب في تأليفهما في فصل التصوف.

بهذه الشهادات وبهذه المصنفات يظهر لنا جليا تهافت قول من قال بأن الإمام ابن أبي الزيد القيرواني لم يكن يحسن علم أصول الدين .

٤- الإمام ابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)[(٤)] :

فقد كان هو الآخر إماما من أئمة السلف يشهد له بذلك كتابه القيم

---

(١) انظر مجلة حوليات الجامعة التونسية عدد ١٢ سنة ١٩٧٥ ص ٢١٠.

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) ص ١٢٢ .

(٤) هو الامام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد ابن أبي زمنين المرى الأندلسى الألبيري شيخ قرطبة. كان صاحب جد واخلاص ومجانبة للأمراء تفقه بأبي إسحاق الطليطلي وغيره وروى عنه أبو عمرو الداني وجماعة توفي سنة ٣٩٩ وكانت ولادته سنة ٣٢٠. مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٢-٦٧٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨-١٩٠) رقم: ١٠٩ طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٦١-١٦٢) رقم: ٥١٠ طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٤ وغيرها .

القيم "أصول السنة"(١) الذى ينقل عنه بكثرة الإمام ابن تيمية فى كتابه "مجموع الفتاوى"(٢) وابن القيم فى كتابه "الجيوش الإسلامية"(٣) وغيرهما.

ومن كلامه الدال على تسننه رحمه الله قوله فى الصفات: "فهذه صفات ربنا التى وصف بها نفسه فى كتابه ووصفه بها نبيه وليس فى شىء فيها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأته القلوب فى حقائق الإيمان"(٤).

وتصفه المصادر والتى ترجمت له بأنه كان من المحدثين والفقهاء ومن أجل أهل وقته حفظا للرأى ومعرفة الحديث إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف(٥)

وكان إلى جانب علمه بأصول الدين عالما بالفقه والحديث يصفه ابن تيمية بقوله "الإمام المشهور من أئمة المالكية"(٦) وتشهد له كتبه الكثيرة المتنوعة بغزارة علمه وتنوعه فقد صنف فى العقائد والزهد والفقه والحديث وقال الشعر وألف فى الأدب(٧).

٥- أبو عمرو الطلمنكي :-

ومن أبرز رجال هذه المرحلة أيضا الإمام أبو عمرو الطلمنكى (ت٤٢٩هـ)(٨)

---

(١) توجد منه نسخة مخطوطة بقسم المخطوطات بمركز البحث العلمى تحت رقم:

(٢) انظر الفتاوى الجزء الخامس من ص ٤٥ الى ٥٨).

(٣) (ص ٩٦-٩٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٥٨) وسيأتى النقل عنه عند عرض أقوال علماء المغرب فى العقائد.

(٥) انظر ترتيب المدارك (٢/٦٧٢) وطبقات المفسرين للداودى (٢/١٦١)

(٦) الفتاوى (٥/٥٨).

(٧) انظر عن مؤلفاته ترتيب المدارك (٢/٦٧٣).

(٨) مرت ترجمته.

الذي كان شديدا في التمسك بالسنة[١] عارفا بأصول الديانة على هدى واستقامة وكان في العقائد على منهج السلف رضي الله عنهم شديدا على أهل الأهواء والبدع قال عنه ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)[٢] "كان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع قامعا لهم غيورا على الشريعة"[٣] ولشدته في السنة وإنكاره للمنكر امتحن وقامت عليه طائفة من خصومه وشهدوا عليه بما هو بريء منه فقالوا: إنه حروري[٤] يرى وضع السيف في صالحي المسلمين وكانوا خمسة عشر شاهدا من الفقهاء والنبهاء لكن الله تعالى نصره عليهم إذ قيض له قاضي بسرقسطة[٥]

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٧٥٠) معرفة القراء (١/ ٣١٠).

(٢) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال (بفتح الباء وسكون الشين وضم الكاف) ولد بقرطبة سنة ٤٩٤ أخذ عن والده وعن أبي بحر بن العاص وأبي الوليد بن رشد وغيرهم وروى عنه كثيرون منهم الحافظ ابو بكر بن خير وثابت بن محمد الكلاعي وأبو الخطاب بن دحية وغيرهم صنف عدة مصنفات جيدة وتوفي سنة ٥٧٨.
مصادر ترجمته: معجم ابن الأبار (٨٢-٨٥) رقم: ٧٠، سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٣٩-١٤٣) رقم: ٧١ وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٠-٢٤١) رقم: ٢١٧ تاريخ ابن كثير (١٢/ ٣١٢) شذرات الذهب (٤/ ٢٦١).

(٣) الصلة (١/ ٤٥).

(٤) حروري: نسبة الى الحرورية: وهو لقب للخوارج ينسب إلى حروراء (موضع بقرب الكوفة) لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليا وكان عندهم تشدد في الدين حتى مرقوا منه.
انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٦٥).

(٥) سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين ساكنة بلدة مشهورة

==

محمد بن قرنسون [١] فأظهره عليهم في عام ٤٢٥ [٢] .

وقد صنف مصنفات كثيرة في السنة "يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر" [٣] . من هذه المصنفات التي صنفها في المجال العقدي كتاب (الوصول إلى معرفة الأصول) ذكره له غير واحد من العلماء ونقلوا عنه أمثال ابن تيمية [٤] في الفتاوى [٥] وفي مجموعة الرسائل والمسائل [٦] وفي (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) [٧] وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) [٨] في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) [٩] وذكره الإمام الذهبي [١٠] في كتابه (العلو) ، وفي كتاب (سير أعلام النبلاء) [١١] وقال فيه "رأيت له كتابا في السنة في مجلدين عامته جيد وفي بعض تبويبه مالا يوافق عليه أبدا مثل باب الجنب لله وذكر فيه (يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) سورة الزمر: ٥٦) فهذه زلة عالم) .

قلت: أنكر الإمام الذهبي هذا الكلام لأنه لم يرد إثبات هذه الصفة لله ومجرد إضافة هذه الصفة لا يقتضي كون المضاف إلى الله صفة لله كما هو الشأن في قوله تعالى : (نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) سورة الشمس: ١٣ ، وقوله تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ)

= = بالأندلس ذات فواكه عذبة وهي مبنية على نهر كبير وقد برز من هذه البلدة علماء كثيرون .
انظر عنها معجم البلدان (٣/٢١٢-٢١٤) الآثار الأندلسية الباقية (ص ١٠٤- ومابعدها) صفة جزيرة الأندلس (٩٦-٩٨) .

(١) لم أجد له ترجمة فيما وقع تحت يدي من المصادر .
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٩٩) سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٧) . (٤) مرت ترجمته .
(٥) (٣/٢٦٠-٢٦١) . (٦) (المجلد الأول ص ٢١٩) .
(٧) (٢/٣٩) . (٨) مرت ترجمته .
(٩) (ص ٧٦) . (١٠) مرت ترجمته
(١١) (١٧/٥٦٩) .

سورة الفرقان : ٦٣ .

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية " فليس مجرد الإضافة يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ماليس بصفة له باتفاق الخلق كقوله تعالى : (بيت الله) و (عباد الله) و (ناقة الله) بل كذلك روح الله عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم ولكنه إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره مثل كلام الله وعلم الله ويد الله كان صفة له " (١) .

والجنب في قوله تعالى : (يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) الزمر ٥٦ ، معناه : القرب أي على مافرطت في قرب الله وجواره (٣) وقال ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) (٢) : " فإن المراد به في استعمال العرب الشائع حق الله " (٤) وهذا

---

(١) الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح (٣ / ١٤٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٣٧٩-٣٨٠) .

(٣) انظر لسان العرب (١ / ٢٦٧-٢٦٨) وأحكام القرآن للقرطبي (٤/٥٧١٧-٥٧١٥) ومختصر الصواعق المرسلة (١ / ٢٢-٢٣) .

(٢) هو أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي المصري الشافعي المالكي المعروف بابن دقيق العيد الحافظ الزاهد الورع الناسك محدث فقيه أصولي أديب ولد في ينبع ورحل إلى الشام ومصر وسمع الكثير وولي قضاء الديار المصرية توفي بالقاهرة سنة : ٧٠٢ من تصانيفه الاقتراح في علوم الحديث

مصادر ترجمته : طبقات الشافعية الكبرى (٩ / ٢٠٧-٢٤٩) رقم : ١٣٢٦ البداية والنهاية (١٤ / ٢٧) البدر الطالع (٢/٢٢٩-٢٣٢) رقم : ٤٨٧ الدرر الكامنة (٤ / ٢١٠-٢١٤) رقم : ٤١٢٠ (٤) انظر الفتح (١٣ / ٣٨٣)

الكتاب كما يقول صاحب (الذيل والتكملة)[1] قرظه عمر بن أبى عمرو بن لب البكرى (ت ٤٢٠ هـ)[2] ببعض الأبيات لكنه لم ينقلها وعليه فلم تستفد شيئا .

أعود مرة أخرى لذكر مصنفات أبى عمرو الطلمنكى فى العقيدة فمنها أيضا (كتاب فى الرد على الباطنية) و(كتاب فى الرد على ابن مسرة)[3] .

٦- أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)[4]

والرجل الآخر الذى كان له باع فى السنة وقدم راسخة فى الدفاع عن مذهب السلف وعقيدتهم ضد الانحرافات التى حدثت فى العقيدة هو الامام أبو عمرو الداني وهو وإن كان اشتهر فى مجال القراءات ونال قصب السبق فيه بمؤلفاته الكثيرة والقيمة إلا أنه كانت له مساهمة أيضا فى مجال العقيدة وإن لم يكن له فيه تأليف غير الأرجوزة التى ذكرها له غير واحد من العلماء[5] ونقلوا منها

---

(١) انظر (٥/٢/٤٥٧) .

(٢) هو أبو جعفر عمر بن أبى عمرو لب بن أحمد البكرى ، بطليوسى روى بالأندلس عن أبى عبد الله بن أبى زمنين وابى عمرين الجسور وغيرهما ورحل فحج ومكث مدة هنالك وسمع بمصر من أبى العباس منير بن أحمد بن منير وكان أديبا وشاعرا محسناً له مقتطفات فى الشعر وقصائد مدح ببعضها أبا عمرو الطلمنكى على كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول) توفى قريبا من ٤٢٠ .
مصادر ترجمته : الذيل والتكملة للمراكشى (٢/٤٥٧) .

(٣) يأتى الحديث عنهما فى فصل التصوف .

(٤) هو الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر القرطبى الشهير فى زمانه بابن الصيرفى الإمام العلامة المكثر صنف فى الحديث والفقه والعقائد وله معرفة باللغة توفى رحمه الله سنة ٤٤٤ بقرطبة وكانت ولادته بها .
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢/٤٠٥-٤٠٧) رقم : ٨٧٦ جذوة المقتبس (٣٠٥) رقم : ٧٠٢ غاية النهاية (١/٥٠٣-٥٠٥) رقم : ٢٠٩١ نفح الطيب (٢/١٣٥-١٣٦) رقم : ٧٦ سير أعلام النبلاء (١٨/٧٧-٨٣) رقم : ٣٦ .

(٥) انظر الذهبى فى السير (١٨/٨٣)

وهى أرجوزة شملت أبواب العقيدة كلها على طريقة أهل السنة وانتقد فيها أئمة الضلالة والبدعة من المعتزلة والشيعة وغيرهم" (١) وقدعثرت على مخطوطة منسوبة له جيدة أثناء البحث فى قسم المخطوطات بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت عنوان (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة فى الاعتقادات وأصول الديانات)

وكان بينه وبين ابن حزم منافرة لاختلاف مناهجهما فى مسائل العقيدة يوضح لنا الإمام الذهبى ذلك بقوله : "وقد كان بين أبى عمرو الدانى وبين أبى محمد بن حزم وحشة ومنافرة شديدة أفضت بهما إلى التهاجي وهذا مذموم من الأقران موفور الوجود نسأل الله الصفح .

قال : وأبو عمرو أقوم قيلا وأتبع للسنن ولكن أبا محمد أوسع دائرة فى العلوم (٢) .

٧- ابن عبد البر :-

وَيُعَدُّ الإمام ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) (٣) أحد مفاخر المغرب الإسلامى وقمة شامخة من قممه بتقدمه فى العلوم الإسلامية المختلفة فقد كان إماماً فى الحديث وعلومه والعقائد والفقه والتاريخ والأدب، ومصنفاته فى هذه الفنون والمعارف شاهدة على ذلك وقد أصبحت مصنفاته تلك منارات لطلبة العلم يصفه صاحب (المغرب فى حلى المغرب) بقوله : "إمام الأندلس وحافظها الذى حاز فضل السبق واستولى على غاية الأمد" (٤) .

---

(١) يأتى نقل ذلك فى موضعه من هذا البحث وقد ذكر صاحب (معجم القاضى الإمام أبى على الصدفى) ص ١٠١ رسالة باسم الرسالة الداعية ونسبها الى أبى عمرو الداني فلعلها هى .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٨٨) .

(٣) مرت ترجمته

(٤) انظر المغرب (٢/٤٠٧) .

ويصفه الإمام القاضي عياض(١) في (ترتيب المدارك)(٢) بقوله " وفاق من تقدمه من رجال الأندلس وعظم شأنه بها وعلا ذكره في الأقطار ورحل إليه الناس وسمعوا منه . بل إن الذهبي(٣) يجعله أعلم من بالأندلس بالسنة والآثار واختلاف علماء الأمصار"(٤) ويذكر الحميدي(٥) المعارف الذي كان فيها إماما متقدما فيقول " فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف في الفقه وعلوم الحديث والرجال"(٦)

وطبقت شهرته الآفاق حتى لقب بحافظ المغرب في زمانه(٧) وذلك بالرغم من أنه لم يغادر الأندلس ولم يرحل إلى المشرق مثل ماكان يفعل طلبة العلم في ذلك الزمان إلا أن ذلك لم يمنعه من أن ينال القسط الوافر من العلوم المختلفة وينال فيها قصب السبق .

وقد نال هذه الشهرة وهذه المنزلة في الأوساط العلمية بفضل الله أولا ثم بفضل مصنفاته العظيمة الذي كان فيها نسيج وحده فكتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) يعد فريدا في بابه لم يؤلف مثله وقد قرظه كثير من علماء عصره مثل ابن حزم الأندلسي(٨) الذي قال فيه "لا أعلم في الكلام على

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) (٢/٨٠٩) .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/١٦٠)

(٥) مرت ترجمته .

(٦) جذوة المقتبس (ص ٣٤٤)

(٧) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٦)

(٨) سبقت ترجمته .

فقه الحديث مثله فكيف بأحسن منه"[١] .

وقال فيه أبو علي الغساني (ت ٤٩٨ هـ)[٢] "وهو كتاب لم يتقدم أحد إلى مثله"[٣] . وله كتاب (الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطئه من الرأي والآثار)[٤] الذي يعتبر اختصارا للتمهيد .

وله كتاب (جامع بيان العلم وفضله) وهو كتاب مهم في بابه تناول فيه أبوابا من العلم ومايجب أن يتحلى به العالم من الأخلاق والفضائل، وغيرها من المصنفات التي يظهر من تنوعها تنوع معارف هذا الإمام العظيم.

والذي يهمنا نحن في بحثنا هذا من فكر هذا الإمام وجهوده الجانب العقدي منه وقد كان له فيه جهد مشكور وكان على منهج أهل السنة وسلف الأمة يقول عنه الذهبي رحمه الله : " وكان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله"[٥] وقال عنه أيضا "كان إماما دينا ثقة متقنا علامة متبحرا صاحب سنة واتباع "[٦] .

---

(١) انظر: رسائل ابن حزم (٢/ ١٧٩) ضمن (رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها) .

(٢) هو أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني . من جهابذة الحديث وكبار العلماء المسندين بقرطبة كان موصوفا بالجلالة والحفظ والنباهة والتواضع له كتاب في رجال الصحيحين "تقييد المهمل وتمييز المشكل" توفي سنة ٤٩٨ ، وكانت ولادته سنة ٤٢٧ .
مصادر ترجمته: الصلة (١/ ١٤٢-١٤٤)رقم: ٣٢٩ ، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٨-١٥٢)رقم: ٧٧ ، بغية الملتمس (٢٤٩)رقم: ٦٤٣ وفيات الأعيان (٢/ ١٨٠)رقم: ١٩٥ ، الديباج المذهب (١/ ٣٣٢-٣٣٣)رقم ٣:

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٧-١٥٨) .

(٤) طبع منه مجلدان .

(٥) السير (١٨/ ١٦١)

(٦) السير (١٨/ ١٥٧)

ويصفه الإمام ابن القيم بأنه كان "إمام السنة فى زمانه" (١) ويعده الإمام ابن تيمية واحدا من ائمة السلفية فيقول . . . وطائفة اخرى من السلفية ويذكر منهم الإمام ابن عبد البر" (٢) .

ويظهر اتجاهه هذا جليا من خلال مؤلفاته التى تناول فيها مسائل العقيدة مثل كتابه التمهيد فى شرح الموطأ الذى تناول فيه مسائل العقيدة بتوسع عند شرحه لحديث النزول وغيره من الأحاديث وكذلك فى كتابه الاستذكار والجامع ولم يكن يدع اى فرصة تمر دون إبداء رأيه فى مسائل العقيدة ومناقشة رأى المخالفين لأهل السنة .

والملاحظ أنه لم تكن له مصنفات خالصة فى العقائد إذا استثنينا كتابه (الشواهد فى إثبات الخبر الواحد) وهو كما يظهر من عنوانه يتناول موضوعا يمس قضايا العقيدة وهو حجية الخبر الواحد فى القضايا العقدية والخلاف القائم بين أهل السنة المثبتين لحجيته والمتكلمين النافين لذلك وله (منظومة فى السنة) فلعلها تتناول جانب اتباع السنة ومايتعلق به .

وبسبب اتجاهه السني هذا غمزه بعض العلماء واتهموه بالتشبيه كما يقول المقري (٣) فى ازهار الرياض (٤) وقال فيه الإمام ابن الجوزى (٥) كلاما فيه غمز ولمز وتجريح وهو قوله : "ولقد عجبت لرجل اندلسي يقال له ابن عبد البر صنف كتاب التمهيد) فذكرفيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال : هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله معنى وهو كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل لأن هذا استسلف من حسه مايعرفه من نزول الأجسام فقال صفة الحق عليه فأين هؤلاء واتباع الاثر ولقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون ثم عابوا عليهم (٦) .

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية (٨٦) (٢) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ٨) .
(٣) مرت ترجمته . (٤) سبق ذكر هذا الاتهام فى ترجمة ابن أبى زيد القيروانى (٥) مرت ترجمته .
(٦) انظر صيد الخاطر بتحقيق على وناجي الطنطاوى (ص ٩٧) ط دار الفكر .

وكلامه على ما فيه من الافتراء،فيه تهوين واحتقار بشأن هذا الإمام حيث قال :
رجل يقال له وكأنه لا يعرفه بالرغم من البعد الزمني بينهما مما يجعل من المستحيل
عدم شهرة رجل كابن عبد البر بالمشرق والرد على هؤلاء هو الرد على من اتهم
ابن أبي زيد فنكتفي بذلك والله أعلم .

الفصل الثاني

الضوابط التي وضعوها والمصنفات التي ألفوها والمسائل التي تناولوها في دراستهم للعقيدة

المبحث الأول : ذكر المصنفات

المبحث الثاني : الضوابط

المبحث الثالث : المسائل التي تناولوها بالبحث

المصنفات التي صنفت في هذه المرحلة والمسائل التي تناولتها وأثرها في الدفاع عن عقيدة أهل السنة.

المبحث الأول : ذكر المصنفات .

بعد هذا العرض لأبرز رجال هذه المرحلة ولموء لفاتهم في المسائل العقدية أنتقل إلى القضايا والمسائل التي تناولوها بالدرس والتوضيح في هذه المصنفات ولكن قبل ذلك أود أن أشير إلى ملاحظة مهمة على هذه المصنفات وهي أنها لم تكن على شاكلة واحدة ولا على نمط واحد بل كانت متنوعة على الرغم من انها تصب كلها في قالب واحد فهناك مصنفات مثلا تناولت مسائل العقيدة جملة وهي ما يمكننا أن نطلق عليها كتبا تعليمية لأنها وضعت قصد تعليمها المسلمين ويظهر ذلك من مقدمات بعضها، من ذلك مثلا ماقاله الإمام ابن أبي زيد في مقدمة رسالته مخاطبا من سأله كتابة هذه الرسالة : " فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم القرآن " (٢) .

ومثله قول الشيخ أبي عمرو الداني في مقدمة رسالته " أحسن الله إرشادكم فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافية وأصولا جامعة في الاعتقادات وأصول

---

(١) الرسالة الفقهية (٧٣) ويقول الامام ابن تيمية : " وهو إنما ذكر هذا في

==

جامعة فى الاعتقادات وأصول الديانات التى يلزم اعتقادها جميع المسلمين ولا يسع جهلها كل المكلفين من العلماء والمقلدين ...

فأجبتكم عن سوء الكم بما فيه البلوغ إلى مرادكم ما هو لازم لكم ومفترض عليكم إلى آخر كلامه (١) ومثل هذا كتاب (الجامع) لابن أبى زيد وكتاب (أصول السنة) لابن أبى زمنين ، وكتاب أبى عمرو الطلمنكي (الوصول إلى معرفة الأصول) .

(وشرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى) لأبى بكر محمد بن موهب المقبرى التميمى ، وغيرها فمثل هذه الكتب وضعت للتعليم خاصة فكان لابد أن تتناول جميع مسائل العقيدة التى يجب على المكلف معرفتها ولا يجوز الجهل بها وفق منهج أهل السنة ومع ذلك فهى تخدم الجانب الآخر وهو الرد على المخالفين لهذه العقيدة لأن فى إقرار هذه العقائد ردا لتلك البدع وتفنيدا لها وقد صنفت هذه الكتب فى ظروف صعبة وقاسية هى ظروف ظهور الفرق المنخرفة ومحاولة هذه الفرق أن تفرض آراءها وعقائدها على حساب عقائد أهل السنة والجماعة .

ومن العلماء من لم تكن له كتب خالصة فى مسائل العقيدة ولكنه تناول جميع مسائلها من خلال تفسيره للقرآن أو شرحه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل الإمام ابن عبد البر الذى لم تكن له كتب خالصة فى العقيدة كما رأينا ولكن تناول مسائلها كلها من خلال كتابه التمهيد والاستذكار والجامع كما يأتى النقل عنه

== مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التى يلقنها كل أحد " .

مجموعة الرسائل والمسائل (١/٢١٤) .

(١) الرسالة الوافية (ل ١-٢) .

وهناك نوع ثالث من المصنفات في مسائل العقيدة وهي التي تتناول قضايا جزئية منها فتبحثها بحثا موسعا محشر الأدلة لها ومن هذه الكتب "كتاب رؤية الله تعالى" لابن وضاح ، و"كتاب النظر إلى الله تبارك وتعالى يوم القيامة" ليحيى بن عمر الأندلسي وكتاب الصراط أيضا له ، وكتاب "الإيماء الى مسألة الاستواء" لأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي .

وهناك كتب الردود وهذه وضعت لظروف طارئة أوجبت على أهل العلم أن يردوا عليها وينبهوا الناس إلى غوائلها حتى لا يستشرى خطرها ويعتنقها العامة. من هذه الكتب: كتب الرد على ابن مسره" لابن أبي زيد القيرواني وأبي عمرو الطلمنكي وكتب الرد على الصوفية" وكتب الرد على القدرية" لابن أبي زيد القيرواني و"الايضاح في الرد على القدرية" لأحمد بن نصر الأسدى (ت ٤٠٢ هـ) (١) وغيرها مما يأتي الحديث عنه بتوسع والذى يلاحظ على كتب الردود هذه أنها تنقسم إلى عدة أقسام فمنها ما هو في الرد على فرق بعينها ومنها مايرد على أصل من أصول هذه الفرق ومنها ما هو في الرد على أشخاص كان لهم دور بارز في نشر البدعة ومنها ما هو في الرد على أفكار منحرفة كل هذا سيأتي الحديث عنه في الفصول والمباحث التي عقدتها لهذا الغرض .

المبحث الثاني :- الضوابط التي وضعت لدراسة مسائل العقيدة :-

قبل الشروع في ذكر مسائل العقيدة التي تناولها علماء المغرب بالدراسة نذكر الضوابط التي وضعوها لدراسة هذه المسائل على ضوئها وهي ضوابط ليس من ابتكارهم ولامن اختراعهم ولكن تابعوا فيها سلف الأمة الذين اهتدوا اليها من خلال القرآن والسنة .

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن نصر الأسدى من أئمة المالكية بالمغرب كان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان وبها توفي سنة ٤٠٢ كان فقيها متقنا فاضلا له عدة كتب منها النامي في شرح الموطأ والواعي في الفقه وغيرهما وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه وجهوده الذاتيه .

مصادر ترجمته: الديباج المذهب (١/ ١٦٥-١٦٦) رقم: ٣١ شجرة النور ==

(١) **الرجوع إلى الكتاب والسنة :-**

أول ما يلاحظ على كتابات علماء السنة المغاربة الذين أشرت إليهم هو التأكيد على وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما المصدران اللذان لا يحل للمسلم أن يتجاوزهما إلى غيرهما ، فمنهما يستمد عقيدته التي يدين بها وشريعته التي يسير عليها في حياته. والكتاب والسنة إنما جاءا لهذا الغرض لبيان المنهج الذي يجب على المسلم أن يتبعه حتى تحصل له السعادة في الدنيا والآخرة وهما اللذان يعصمان من الزيغ والانحراف حتى لا يضل المسلم فيهلك يقول تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (سورة الإسراء ٩) ويقول عليه الصلاة والسلام " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي "(١) .

فإذا انحرف عنهما المسلم ضل وهوى كما هو حال أهل الفرق وغيرهم من المنحرفين عن المنهج الله ، فكانت عاقبتهم أن ضلوا وهووا في مكان سحيق قال تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) سورة طه : ١٠٠) وقال سبحانه (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة النور: ٦٣) .

والقرآن والسنة فصلا مسائل العقيدة تفصيلا بيّنا بما لا يدع مجالا للشك أو الريبة عند أحد ولذلك فلا نعجب إذا وجدنا السلف الصالح رضي الله عنهم أعرضوا عن الخوض في مسائل العقيدة ولم يختلفوا حولها - كما بينت من قبل لأنها كانت

= = الزكية (١/ ١١٠-١١١) رقم: ٢٩٣ .

(١) أخرجه مالك في موطئه في كتاب القدر (باب النهي عن القول بالقدر) رقم: ٣ الموطأ (٢/ ٨٩٩) .

واضحة عندهم/في مقابل ذلك وجدنا اختلافهم في الفروع كبيرا يقول الإمام ابن عبد البر في هذا المعنى : " وتناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين " (١) .

لقد أكد علماء السنة المغاربة كإخوانهم بالمشرق على هذا الأمر أيما تأكيد يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني: "ليس لأحد أن يحدث قولا أو تأويلا لم يسبق به السلف" (٢) ، وافتتح كتابه الجامع بالأحاديث التي تحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مثل قوله صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" (٣) وقوله عليه السلام : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليهما بالنواجذ " (٤) .

ويقول الامام أبو عمرو الداني في أرجوزته المشهورة: (٥) تدري أخي أين طريق الجنة.طريقها الكتاب ثم السنة.

ويقول الإمام ابن عبد البر" المهدي كل الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي المبينة لمراد كتاب الله" (٦) .

---

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٩٨) .

(٢) الجامع (١١١) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) انظر الأبيات في السير (١٨/ ٨١-٨٣) .

(٦) عقيدة ابن عبد البر (٥٣) نقلا عن الاستذكار (٦/ ١٢٩) .

(٢) الحديث عن الله وصفاته يجب أن يكون ثابتا من الكتاب والسنة :-

فإذا علمنا هذا الأمر واستقر فى أذهاننا فإنه يجب أن يكون حديثنا عن الله وصفاته ومايجب له ومايستحيل عليه إلى غير ذلك مما يتعلق بمسائل العقيدة يجب أن يكون ذلك كله مأخوذا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اقتداء بالسلف الصالح رضى الله عنهم الذين كانوا يرجعون فى كل شأن من شوء ونهم إليهما وهذا الأمر هو الذى تميز به علماء السنة عن المتكلمين. فالمتكلمون يرفعون شعار السنة وأنهم يلتزمون الكتاب والسنة نعم لكنهم عندما يصلون إلى الحديث عن صفات الله تعالى يدخلون فى متاهات عقلية وكلامية لا نهاية لها وكذلك أهل الفرق المنحرفة كالخوارج والشيعة وغيرهم .

إذا فأهل السنة يؤكدون على وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويلتزمون بذلك أما غيرهم فليس كذلك . ولما كانت مسائل العقيدة من المسائل الشائكة والخطيرة والخوض فيها محفوف بالأخطار فإن أهل السنة التزموا فيها بما جاء فى هذين المصدرين ولم يكلفوا أنفسهم عناء الخوض فيها لأنهم يعتبرون ذلك ضلالا للفكر وانحرافا عن منهج الله يقول الإمام ابن عبد البر القرطبي : "ليس فى الاعتقاد كله فى صفات الله وأسمائه إلا ماجاء منصوصا فى كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة وماجاء من الأخبار فى ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه" (١) ويقول أيضا "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة أما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله

---

(١) الجامع (٩٦) .

القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة" (١)

ويقول أيضا : " الذى عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر فى هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية" (٢) ويقول فى موضع آخر : " فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفاته إلا ما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه فلا نتعدى إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير" (٣) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦) .

(٢) التمهيد (٧/ ١٤٨) .

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥) وبناء على هذا الأساس رد وا كل تفسير لكلام الله مخالف لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رد ابن عبد البر تفسير مجاهد للمقام المحمود فى قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (سورة الإسراء : ٧١) بأنه " يجلسه معه على عرشه" بأن هذا التفسير مهجور عند أهل السنة قال : " وقد روى عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش وهذا عندهم منكر فى تفسير هذه الآية ثم يبين بأن المراد بالمقام المحمود فى الآية الكريمة هو الشفاعة حيث يقول " ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة وجمهور السلف فالذى عليه العلماء فى تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة" .

وهذا التفسير كما يقول الشيخ الألبانى " هو الحق فى تفسير المقام المحمود دون شك ولا ريب للأحاديث وهو الذى صححه ابن جرير فى تفسيره (١٥/ ١٩٩) ثم القرطبى (١٠/ ٣٠٩) وهو الذى لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره بل هو الثابت عند مجاهد نفسه من طريقين عند ابن جرير وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر " .

==

ويقول الإمام ابن أبى زمنين فى كتابه (أصول السنة) : " واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما والعجز عن مالم يَدْعُ إليه إيمانا ، وأنهم ينتهون فى وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى فى كتابه على لسان نبيه" (١) ، وغير ذلك كثير من أقوالهم فى هذا المعنى .

وهذا بعد التأكيد على عدم الخوض فى مسائل العقيدة لأنها ليس تحتها عمل وهو قول السلف رضى الله عنهم كما يقول الإمام ابن عبد البر: " ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال فى الله جل ثناؤه فى صفاته وأسمائه " (٢) ويقول : " وقد نهينا عن التفكر فى الله وأمرنا بالتفكر فى أسمائه " (٣) .

(٣) نبذ الطرق الكلامية فى دراسة المسائل العقدية :- (٤)

ويعتبرون أهل الكلام الذين كانوا السبب فى إثارة هذه المسائل أهل بدع وأهواء لأنهم ابتدعوا شيئا لم يفعله الصحابة ولا التابعون المشهود لهم

= = انظر قول مجاهد عند ابن جرير (١٥/ ١٤٥) وانظر كلام ابن عبد البر حول هذا الموضوع فى التمهيد (٧/ ١٥٧-١٥٨) (١٩/ ٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨) وانظر كلام الشيخ الألبانى فى مختصر العُلو (١٥-٢٠) وقد اخذ فيه على الذهبى إيراده لتفسير مجاهد .
وتفسير مجاهد ردوه أيضا لأن فيه تشبيها وتجسيما وهذا مالا يوافق عليه علماء السنة .

(١) أصول السنة (ل :1 ب) .

(٢) الجامع (٢/ ٩٢) .

(٣) الجامع(٢/ ٩٢) .

(٤) سيأتى الحديث عن موقف علماء المغرب من الكلام بتوسع فى الفصل الذى خصصته لذلك .

بالخيرية [١] ، ولو كان خيرا ماسبقوهم إليه وفي ذلك يقول الإمام ابن عبد البر تعليقا على كلام مالك رحمه الله في كراهية الخوض في مسائل العقيدة لأنها ليس تحتها عمل : " والذى قاله مالك رحمه الله عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق وأما الجماعة فعلى ما قال مالك رحمه الله " [٢] وقال في موضع آخر : " أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار من طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه" [٣] ولا فرق

---

(١) يقول عليه الصلاة والسلام " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشهادات (باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد) بلفظ خيركم قرني رقم الحديث ٢٦٥١ الفتح (٥/٢٥٨-٢٥٩) ٠
وفي فضائل الصحابة (باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) باللفظ نفسه رقم الحديث: ٣٦٥٠ الفتح (٧/٣) ، وفي الرقاق (باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها) بنحوه ، رقم الحديث: ٦٤٢٨ الفتح (١١/٢٤٤) وفي كتاب الأيمان والنذور (باب إثم من لا يفي بالنذر) بنحوه أيضا رقم الحديث: ٦٦٩٥ الفتح (١١/٥٨٠) ٠
وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) رقم الحديث: ٢٥٣٥ ٠

(٢) الجامع (٢/٩٢) ٠

(٣) الجامع (٢/٩٢) ٠

لا فرق عندهم بين معتزلي وأشعري في ذلك فجميعهم عندهم أهل بدع وأهواء لأنهم جميعهم يطلق عليهم لقب المتكلمين وهذا الذي عليه كبار العلماء وقد نقل ابن عبد البر كلام خويز منداد (١) في كتابه (الشهادات وهو قوله : " أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام : فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها " (٢)

من هنا يظهر لنا جليا حرص علماء المغرب الشديد على أن يكون منبع العقيدة الذي لا يجوز للمسلم أن يحيد عنه هو الكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله. أما ما خالف ذلك فهو انحراف عن المنهج وقول في دين الله بغير علم.

المبحث الثالث :-

* ذكر المسائل التي تناولوها في مصنفاتهم :-

بعد أن ذكرت الضوابط التي وضعها علماء السنة لدراسة العقائد اشرع في ذكر هذه المسائل .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري المالكي تفقه على الأبهري وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن وكان يجانب الكلام وينافر أهله ويعاديهم ويحكم عليهم بأنهم أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهاداتهم وأيمانهم ما قال. ولم أجد سنة الوفاة ولا سنة الميلاد .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢ / ٦٠٦) - درء العقل والنقل (٧ / ١٥٨)

(٢) انظر هذا الكلام في الجامع لابن عبد البر (٢ / ٩٦) ودرء تعارض العقل والنقل (٧ / ١٥٧) .

(١) معرفة الله تعالى والطريق إليها :-

أول المسائل التي تناولها علماء النسة المغاربة في موء لفاتهم التي ذكرناها وجود الله تعالى ومن أين الطريق إليها .

والجواب على ذلك : أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو هذه الآيات المثبوته في الكون والأنفس وهي ماتسمى بدليل الخلق ودليل العناية يقول الإمام ابن أبي زيد : " وفيهه بآثار صنعته " (١)

والتي حثنا القرآن وندبنا على الاستدلال بها على الله تعالى وعلى عظمته وقدرته وحكمته. والآيات في توجيه النظر إلى ملكوت السماوات والأرض وإلى الآيات المثبوته في هذا الكون وفي الانفس كثيرة لا تحصى يقول تعالى "(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة: ١٦٤ ويقول أيضا : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) آل عمران: ١٩٠ ويقول أيضا : (أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) الأعراف: ١٨٥ ويقول سبحانه (وَفِي الارض آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ

---

(١) الرسالة (ص ٧٢) قال الفاكهاني في شرح الرسالة (ل : ٤٧ أ) " في كلام المصنف حذف لا بد من تقديره وهو " ونبهه بآثار صَنْعَتِهِ على وجوده تعالى ووحدانيته وغير ذلك من صفاته ".
ومعنى دليل الخلق أن الله تعالى أرشد إلى وجوده بآيات كثيرة في كتابه الكريم هي حجج دامغة وبراهين قاطعة في أحسن بيان في الآيات التي فيها ذكر الخلق مثل قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ)

==

وقوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)وغيرهما من الآيات فى ذلك فأرشد الله تعالى إلى أن هذا العالم مخلوق ليس وجوده من نفسه بدليل فقره وحاجته فالسماوات والأرض محتاجان إلى ممسك لهما لئلا تزول وكل مافي السماوات والأرض من ناطق وصامت ومتحرك وساكن أعجز مايكون أن يزيد فى خلقه شيئا أو يغير من النظام الذى قدر له شيئا فهو محتاج إلى طعامه ومسكنه وملبسه وإلى مايقيه المرض ويحفظ عليه صحته وإلى مايداوي به إن نزل به مرض وإلى مايتقي به شر عدوه ثم هو فى أمَسّ الحاجة إلى من يعينه فى حاجاته وما أكثرها ثم هو إلى جانب ذلك عاجز أن يرد عن نفسه نهايته المحتومة فيبقى حيا .

وإذا كان كل ماسواه تعالى مخلوقا لا وجود له من نفسه كان لا بد له من خالق خلقه ، فخلق هذا العالم من آدل الأدلة على وجوده تعالى ويسمى هذا الدليل دليل الخلق .

دليل العناية: كما أرشد سبحانه بخلقه إلى وجوده تعالى فقد أرشد أيضا بعنايته بما خلق إلى وجوده قال تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) (النحل : ٨١) وقال : (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا) (الآيات ٢٥-٣٢ من سورة عبس) وغير ذلك من الآيات مما يدل على أن هذه الكائنات لم يكن وجودها وليد مصادفة فمن أدار نظره فى عجائب تلك المخلوقات وبديع صنعها علم أن كلا منها خلق بقدر فله شكله المعين وصفاته الخاصة واستعداداته التى ينفرد بها وأنه خلق لغاية جليلة وهدي لما يحقق له تلك الغاية بما أودع فيه من القوى والطبائع فلكل مخلوق وظيفته فى هذا الوجود وقد خلق خلقا يكفل له ما خلق له فى نطاق ما أريد .

والاستدلال بعناية الله بالكائن المخلوق هو مايسمى بدليل العناية .

أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات : ٢١) ويقول : (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) (الواقعة: ٥٨) ويقول سبحانه : (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الرعد : ٤) وقال تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الغاشية : ١٧) .

فهذه الآيات كما ترى فيها الإشارة وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية وإلى الآيات المبثوثة في الأنفس، وهي آيات جليلة عظيمة تكفي ذوي البصائر وذوي العقول أن يستدلوا بها على ربهم لذلك كان القرآن يُعَقِّبُ دائما على هذا التوجيه بقوله : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (آيات للموقنين) (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) وهي واضحة في أن الذي ينتفع بهذه الآيات ليس كل أحد وإنما أولوا الأبصار والألباب والعقول النيرة .

ذكر كلامهم في الأسماء والصفات :-

بعد الاستدلال على وجود الله تعالى بآياته الكونية والنفسية ننتقل إلى الحديث عن صفاته وأسمائه سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته لا مجال للعقل ولا للنظر فيها فقد تكفل الله تعالى ببيانها بيانا شافيا كافيا بنفسه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فليس لنا نحن إلا الوقوف عند هذه النصوص والإيمان بما جاء فيها كما وردت دون محاولة البحث في كيفيتها وهذا هو منهج السلف رحمهم الله كما بينا في مواضع كثيرة من بحثنا هذا يقول الامام ابن رشد في هذا المعنى " وأما ما وصف به نفسه تعالى في كتابه من أن له وجها ويدين وعينين فلا مجال للعقل في ذلك وانما

يعلم من جهة السمع فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكييف ولا تحديد) (١) .

فهو سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى وكل صفات الكمال هي صفاته سبحانه فهو " إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحب له ، ولا شريك له ، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولايتفكر في مائية ذاته (٢) ولا يحيطون بشيء من علمه العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير" (٣)

هذا الوصف من ابن أبى زيد لله تعالى لا يجاوز وصف القرآن والسنة له سبحانه فكل هذه الصفات قد ورد الحديث عنها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

من ذلك قوله تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) الأعراف: ١٨٠ وقال عليه الصلاة والسلام " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك) (٤) ، وهذه الأسماء

---

(١) المقدمات الممهدات (١/ ٢٠) .

(٢) المائية: بمعنى الماهية (اى حقيقه الشيء) وقد اخذوا على ابن ابى زيد فى إطلاقه المائية على الله قال أبو الوليد ابن رشد : "رد على المصنف رحمه الله فى قوله مائية ذاته والذى يصح أنه لا مائية لذاته فيقع التفكر فيها والمائية لا تكون إلا لذى الجنس والنوع" انظر شرح الرسالة للفاكهانى (ل:٨٥ أ)

(٣) الرسالة لابن أبى زيد (٧٥-٧٦) .

(٤) هذا جزء من حديث طويل اخرجه أحمد فى المسند (رقم: ٣٧١٢ ، ٤٣١٨) بتحقيق الشيخ احمد شاكر رحمه الله وقال : إسناده صحيح . ورواه الحاكم (١/ ٥٠٩-٥١٠) ، وهو فى موارد الظمآن (رقم: ٢٣٧٢ ، الموارد (٥٨٩) وفى مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) ، وانظر جامع الأصول (٤/ ٢٩٨) . وانظر تعليق احمد شاكر على الحديث وتصحيحه له .

والصفات وردت في القرآن والسنة بالتفصيل في مثل قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) البقرة: ٢٥٥، وقوله سبحانه (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الأنعام: ١٠٣ وقوله: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد: ٣ وقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الشورى: ١١ وقوله سبحانه (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) الحشر: ٢٢، وقوله (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) سورة الاخلاص

وغير ذلك من الايات التي وردت في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى وكذلك جاءت الاحاديث فذكرت شيئا من ذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة" (١) وغيره من الاحاديث في هذا الباب

دليل العقل.

ولم يكتف علماء المغرب من أهل السنة بدليل النقل على صفات الله وأسمائه بل لجأوا الى العقل أيضا للاستدلال به على بعض الصفات مثل ما فعلوا في صفة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات (باب لله مائة اسم غير واحدة) رقم: ٦٤١٠ فتح الباري (١١/٢١٤).
وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) رقم: ٢٦٧٧ صحيح مسلم (٤/٢٠٦٢-٢٠٦٣).
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء (باب أسماء الله عز وجل) رقم الحديث ٣٨٦٠، ٣٨٦١، انظر سنن ابن ماجه (٢/١٢٦٩)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(الوحدانية) حيث استعملوا دليلا عقليا وسموه دليل التمانع يلخص لنا أبو الوليد بن رشد (ت ٥٢٠هـ)[١] هذا الدليل فيقول : "فمن أدلة العقول على أنه واحد أنهما لوكانا اثنيين فأكثر لجاز أن يختلفا وإذا اختلفا لم يخل ذلك من ثلاثة أقسام لا رابع لها .

أحدها : أن يتم مرادهما جميعا .

الثاني : أن لا يتم مرادهما جميعا .

الثالث : أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر .

فيستحيل منهما وجهان وهو أن يتم مرادهما جميعا وأن لا يتم مراد أحد منهما لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فتمت إرادتهما جميعا لكان الجسم حيا ميتا في حال واحد وإذا لم تتم إرادة واحد منهما لكان الجسم لا حيا ولا ميتا في حال واحد وهذا من المستحيل في العقل فلم يبق إلا أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر فالذي تتم إرادته هو الله القادر والذي لم تتم إرادته ليس بإله لأنه عاجز مغلوب وهذا الدليل يسمونه دليل التمانع وقد نبّهَ الله تعالى عليه في كتابه بقوله[٢] (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الأنبياء ٢٢ ، وقوله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) المؤمنون : ٩١ .

---

(١) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي الإمام العلامة شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة كان فقيها عالما حافظا للفقه عارفا بالفتوى بصيرا بأصول الدين على طريق أهل السنة كما يظهر من مقدمة المقدمات الممهدات) لمصنفات كثيرة منها (البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) وكتاب (المقدمات الممهدات) وغيرهما توفى سنة ٥٢٠ .
مصادر ترجمته : بغيه الملتمس (٤٤) رقم ٢٩
سير اعلام النبلاء (١٩/ ٥٠١-٥٠٢) رقم ٢٩٠ شذرات الذهب (٤/ ٦٢)
الديباج المذهب (٢/ ٢٤٨-٢٥٠) رقم: ٧٢

(٢) المقدمات الممهدات لأبي الوليد بن رشد (١/ ١٧-١٨) .

وعلى الرغم من وضوح هذه الصفات إلا أن المتكلمين جعلوا منها مشكلة المشاكل فذهب بعضهم إلى نفيها كلية كما فعل المعتزلة بحجة أنه لوكانت هناك صفات قديمة زائدة على الذات لأدى ذلك إلى تعدد القدماء وعلى هذا فالصفات عندهم هي نفسها الذات فهو عالم بعلم هوذاته قادر بقدرة هي ذاته إلى آخر كلامهم في ذلك .

وذهب آخرون وهم الأشاعرة ومن وافقهم إلى إثبات بعض الصفات وتأويل الأخرى لأن تركها على ظاهرها على قولهم يوجب التشبيه فلذلك يجب تأويلها إلى معنى آخر له دليل في اللغة .

وأما علماء السنة كما قلنا - فإنهم التزموا بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فعصمهم الله من الوقوع في التخبط الذى وقع فيه غيرهم فهم يثبتون كل ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم .. ولكن من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ، ولا يلزم من إثبات هذه الصفات إثبات الكيفية وأيضا لا يلزم من رفع الكيفية رفع الصفة كما يقول الإمام ابن عبد البر - ويمثل لذلك بالروح فيقول " وقد أدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح وكذلك ليس جهلنا بكيفية على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه ".(١)

وأيضا يجب الالتزام بما ورد في هذه الصفات دون الزيادة عليها ومن هنا رفضوا قول من قال في صفة النزول " ينزل بذاته " لأنه كيفية كما يقول ابن عبد البر تعليقا على قول نعيم بن حماد (ت ٢٢٨ هـ)(٢): " ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة فإن هذا كيفية وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط

---

(١) انظر التمهيد (١٣٧/٧) .

(٢) هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي ،
==

به عيانا وقد جل الله تعالى عن ذلك/وماغاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات الله تعالى إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "[١].

هذا كان قول بعضهم، وإن كان هناك من خالفهم[٢]، كما رأينا مع ابن أبي زيد القيرواني وكيف أنهم انتقدوه من أجل ذلك

ومثل هذا لفظة الجسم فقد أنكروا إطلاقها على الله[٣] لأنه لم يرد إطلاقها عن الصحابة بل استعملها بعض السلف في ردهم على المبتدعة النفاة يقول الذهبي عن كتاب (الرد على بشر المريسي) للدارمي (ت ٢٨٠هـ)[٤]: "فيه بحوث عجيبة

== الامام الحافظ العلامة صاحب التصانيف كان من أعلم الناس بالفرائض وكان ممن امتحن في محنة القول بخلق القرآن ومات محبوسا في ذلك سنة ٢٢٨.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٨/١٠٠) رقم: ٢٣٢٧، الجرح والتعديل (٨/٤٦٣-٤٦٤) رقم: ٢١٢٥ سير أعلام النبلاء (١٠/٥٩٥-٦١٢) رقم: ٢٠٩ تهذيب التهذيب (١٠/٤٥٨-٤٦٣) رقم: ٨٣١.

(١) التمهيد (٧/١٤٤-١٤٥).

(٢) وهو قول طوائف من أهل الحديث كما ذكر ابن تيمية في شرح حديث النزول من مجموع الفتاوى (٥/٣٩٤).

(٣) التمهيد (٧/١٥٢).

(٤) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد ابن خالد بن سعيد الدارمي التميمي الإمام الحافظ الناقد صاحب المسند وصنف المصنفات في الرد على المبتدعة توفي سنة ٢٨٠.
مصادر ترجمته سير أعلام النبلاء (١٣/٣١٩-٣٢٦) رقم: ١٤٨ طبقات ==

يبالغ فيها فى الإثبات والسكوت عنها " [(١)].

مسألة أخرى ننبه عليها قبل ذكر أقوالهم فى الصفات وهى أننا مادمنا نعرف مدلولات هذه الصفات ومعانيها اللغوية هل يجوز أن نطلق هذه المعانى على الله أم أننا نقتصر على ماورد.

يرى علماء المغرب أنه لا يجوز ذلك وينبغى الاقتصار على ماورد وقد لخص لنا الإمام ابن عبد البر هذا المعنى بقوله: "نقول استوى من مكان إلى مكان ولا نقول انتقل وإن كان المعنى فى ذلك واحدا ألا ترى أنا نقول: له عرش ولا نقول: له سرير ومعناهما واحد ونقول هو الحكيم ولا نقول العاقل ونقول خليل إبراهيم ولا نقول صديق إبراهيم وإن كان المعنى فى ذلك كله واحداً، لا نسميه ولا نصفه

== الشافعية (٢/٢٠٢-٣٠٦) رقم: ٧١ البداية والنهاية (١١/٦٩) شذرات الذهب (٢/١٧٦).

(١) كلام الذهبى نقله عنه محقق سير اعلام النبلاء (١٣/٣٢٠) ولم يشر إلى مصدره ويقول الشيخ محمد حامد الفقى أيضا: "إنه أتى فيه ببعض الألفاظ دعاه إليها عنف الرد وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التى كان يبالغ بشر المريسى وشيعته فى نفيها وكان الأولى والأحسن أن لا يأتي بها وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة، كمثل الجسم والمكان والحيز فإنى لا أوافقه عليها ولا أستجيز إطلاقها لأنها لم تأت فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم".

انظر السير أيضا (١٠/٢٠٢) فى الهامش.

ويقول الشيخ الألبانى فى مختصر العلو (ص ١٨-١٩): "قلت: "ومن هذا الغرض يتبين أن هاتين اللفظتين " بذاته" (أى فى قول بعضهم استوى على العرش بذاته) و"بائن " (أى فى قولهم بائن من خلقه) لم يكونا معروفتين فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله فى كل مكان اقتضى ضرورة البيان ".

قال: " ومثل هذا قولهم فى القرآن: إنه غير مخلوق".

وزيادة فى التوضيح أقول: ان علماء المغرب أنكروا ماورد عن بعض السلف من لفظة الجسمية و"بذاته" لأنه لم يرد بها نص في القرآن والسنة ولاعن الصحابة وماورد فى ذلك عن بعض السلف يعتبر شاذا والشاذ لاحكم له.

ولا نطلق عليه إلا ماسمى به نفسه ولا ندفع ماسمى به نفسه لأنه دفع للقرآن"[١] .

وإثبات هذه الصفات هو إثبات وجود وليس إثبات كيفية[٢] وبهذه التقييدات فلا خوف من الوقوع فى التشبيه كما يقول المتكلمون وليس هناك تناقض كما يدعى ابن خلدون[٣] يقول ابن عبد البر فى نفى التشبيه عمن يثبت صفات الله من غير تكييف "ومحال أن يكون من قال عن الله ما هو فى كتابه منصوص مشبها إذا لم يكيف شيئا وأقر أنه ليس كمثله شئ"[٤] .

ويمضى علماء السنة المغاربة فى عرض صفات الله تعالى وفق هذا المنهج القرآنى الدقيق فيثبتون له اليد على ماورد فى قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ

---

(١) التمهيد (١٣٧/٧) .

(٢) يقول الإمام القرطبى فى كتابه فى صفات الله ل(٢/ب-٣/أ) : "فصل: فاذا كان معلوما أن إثبات البارى سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .
ويقول ابن عبدون فى رسالته (الانتقاد والرد على أهل الزيغ والإلحاد) الورقة ١٦١ - المجاميع ٣٨٦) "شرط الصفات كشرط الموصوف بها فإن كان الموصوف بها جسما كانت صفاته تشبه صفات الأجسام وان كان الموصوف بها مخالفا للاجسام كانت صفاته بخلاف صفات الاجسام .

(٣) انظر المقدمة (١٠٤٤/٣) بتحقيق الدكتور : على عبد الواحد وافي طبع لجنة البيان العربى القاهرة (ط(١) ١٩٥٧/١٣٧٦) .

(٤) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ٢٦٠) نقلا عن الاستذكار مخطوط تركيا .

اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) المائدة : ٦٤) وقال أيضا (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص: ٧٥) وليس المراد باليد القوة ولا النعمة كما يذهب إلى القول بذلك المتكلمون يقول الامام ابن بطال في هذه الصفة بعد إيراد قوله تعالى : (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) : " في هذه الآية إثبات يدين لله وهما صفتان من صفات الذات وليستا بجارحتين خلافا للمشبهة وللجهمية من المعطلة ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما في خلق كل منهما به وهي قدرته ولقال إبليس : وأي فضيلة له علي وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك قال : ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن يكونا جارحتين " (١) .

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري الجزء الرابع (ل ٣٤٦/ب) وفي هذا المعنى يقول الإمام القرطبي .. " فإذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه لا نقول : إن معنى اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة فلم يتأولوا وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرها ونفوا الكيفية والتشبيه عنها ".
انظر (اللوحة ٢ ب - ٣أ) من كتابه في صفات الله تعالى .

وكذلك العين كما أفصح بذلك القرآن في غير ما موضع كما في قوله ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور: ٤٨ ، وقوله ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود: ٣٧ وقال عليه الصلاة والسلام: حين ذكر الدجال وأنه أعور قال: " وإن ربكم ليس بأعور" (١) فأثبت له العين ولكن ليست بحاسة من الحواس (٢) وكذا الوجه كما ورد إثباته في القرآن ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٧ يقول ابن بطال في هذه الصفة بعد إيراده للنصوص الداله على إثباتها مثل قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨ وقوله عليه الصلاة والسلام "أعوذ بوجهك" (٣)

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد (باب كيف يعرض الاسلام على الصبي) رقم: ٣٠٥٥ (الفتح: ٦/ ١٧٢) وفي كتاب الأنبياء (باب قول الله عز وجل: " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) (هود: ٢٥) رقم الحديث: ٣٣٣٧ ، ٣٣٣٨ وفي كتاب الفتن (باب ذكر الدجال) رقم: ٧١٣١ الفتح (١٣/ ٩١) الفتح (٦/ ٣٧٠-٣٧١) وفي كتاب التوحيد (باب قول الله عزو جل (كل شيء هالك الا وجهه) رقم: ٧٤٠٧ ، ٧٤٠٨ الفتح (١٣/ ٣٨٩) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب ذكر الدجال وصفته وما معه) رقم: ٢٩٣٣ (٤/ ٢٢٤٧-٢٢٤٨) .
وأبو داود في الملاحم (باب خروج الدجال) رقم: ٤٣١٦ (السنن ٤/ ١١٦) وأخرجه الترمذي في الفتن (باب ما جاء في صفة الدجال) رقم: ٢٢٤١ ، الترمذي (٤/ ٥١٤) وأحمد في المسند (٣/ ٢٢٨) (٥/ ٣٨ ، ٢٢١) .

(٢) الرسالة الوافيه (٢أ) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنعام (باب قل هو القادر على أن يبعث عليكم) رقم: ٤٦٢٨ الفتح (٨/ ٢٩١) وفي كتاب الاعتصام (باب قوله تعالى: أو يلبسكم شيعا) رقم: ٧٣١٣ الفتح

==

يقول : " فى هذه الآية وهذا الحديث دلالة على أن لله وجها من صفة ذاته وليس بجارحة ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين كما نقول إنه عالم ولا نقول إنه كالعلماء الذين نشاهدهم "[1] واثبتوا الاستواء على مانطق به القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ طه : ٥ وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الفرقان : ٥٩ وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾فصلت : ١١ وغيرها من الآيات فى هذا المعنى أثبتوها كما نطق بذلك القرآن من غير تكييف ولا تحديد ، يقول الإمام ابن أبى زيد القيروانى : "استوى على العرش بذاته وهو فى كل مكان بعلمه"[2] ويقول الإمام أبو عمرو الداني : " ومن قولهم (أى أهل السنة) أنه سبحانه فوق سماواته مستوٍعلى عرشه بائن منهم بذاته غير بائن بعلمه بل علمه محيط بهم.واستواؤه جل جلاله:علوه بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة" ويقول الإمام أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمى المعروف بالمرادى فى رسالته التى سماها (الإيماء إلى مسألة الاستواء) فى هذه المسألة : " قول الطبرى[3] (صاحب التفسير) وأبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى والقاضى عبد الوهاب[4]

---

(١) الفتح (١٣ / ٣٨٨) . (٢) الرسالة (ص ٧٦) .

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبرى ، الإمام المفسر المتقن لأنواع العلوم كان عالما بالتفسير والقراءات والتاريخ والحديث وألف فيها مصنفات ممتعة منها تفسيره العظيم وكتاب التاريخ وتهذيب الآثار توفى سنة ٣١٠ . مصادر ترجمته : تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٧٨-٧٩) رقم: ٨ وفيات الأعيان (٤ / ١٩١-١٩٢) رقم: ٥٧ سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧-٢٨٢) رقم: ١٧٥ البداية والنهاية (١١ / ١٤٥-١٤٧) طبقات الشافعية (٣ / ١٢٠-١٢٦)رقم: ١٢١ لسان الميزان (٥ / ١٠٠-١٠٣)رقم: ٣٤٤ .

(٤) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادى المالكى أحد الأئمة ثقة حجة نسيج وحده وفريد عصره أخذ عن الأبهرى وابن النصار والباقلانى عاش ببغداد ثم تركها وتوجه إلى مصر وتوفي بها ألف عدة كتب فى نصرة المذهب

==

وجماعة من شيوخ الحديث والفقه وهو ظاهر بعض كتب أبي بكر الباقلاني وأبي الحسن الأشعري [(١)] وحكاه عنه ـ عن القاضي أبي بكر ـ القاضي عبد الوهاب نصا وهو أنه سبحانه استوى على العرش بذاته وأطلقوا في بعض الأماكن فوق عرشه قال الامام أبو بكر الرازي: "وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكين في مكان وكون فيه ولا مماسة" [(٢)] ويقول الإمام أبو الوليد بن رشد بعد ذكر الاختلاف القائم حول هذه الصفة بين من يقول: "إنها صفة فعل بمعنى أنه فعل في العرش فعلا سمي به نفسه مستويا وبين من يقول: إنها صفة ذات من العلو وأن قوله استوى بمعنى علا وبين من يقول: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء . فيقول ابن رشد في ترجيحه بين هذه الأقوال: "أما من قال: ان الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد أخطأ لأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد المغالبة والمقاهرة والله تعالى لن يغالبه أحد قال وحمل الاستواء على العلو والارتفاع أولى ما قيل كما يقال: استوت الشمس في

== منها (النصرة لمذهب إمام دار الهجرة) و(المعونة لمذهب عالم المدينة) توفي سنة ٤٢٢ .

مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (١١/ ٣١-٣٢) رقم: ٥٧٠٣ ترتيب المدارك (٢/ ٦٩١-٦٩٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢١٨-٢٢٢) رقم: ٤٠٠ البداية والنهاية (١٢/ ٣١) الديباج المذهب (٢/ ٢٦-٢٩) رقم: ٣

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليماني البصري العلامة المتكلم كان ذكيا قوي الفهم برع في معرفة مذهب الاعتزال ثم تبرأ منه ورد عليه ورجع إلى مذهب أهل السنة ألف مصنفات عديدة قيمة منها (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة) توفي رحمه الله سنة ٣٢٤ وإليه ينسب المذهب الأشعري .

مصادر ترجمته تيبين كذب المفتري (٣٤-٧٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤-٢٨٦) رقم: ٤٢٩ سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٥-٩٠) رقم: ٥١ طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٤٧) . شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣-٣٠٥) وغيرها من المصادر

(٢) انظر هذا الكلام عند ابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية) (٢/ ٣٥-٣٦)

==

كبد السماء أي علت "(١) .

وعند هذه المسألة يتحفنا الإمام الهمام ابن عبد البر بكلام غاية في البيان أثبت فيه هذه الصفة لله تعالى وتحدث فيه عن منهج أهل السنة في الصفات وفند مزاعم القائلين بالمجاز فيها واستدل لكلامه بلغة العرب وذلك عند شرحه لحديث النزول (٢) من كتابه القيم (التمهيد) حيث يقول : " هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش (٣) ثم يسرد الأدلة من القرآن والسنة على هذا الكلام وهو ما ذكرناه آنفا .

واستدل لذلك بالأدلة الفطرية أيضا إلى جانب الأدلة النقلية وهي :-

(١) " أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى : وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته (٤)

وأيضا " لم يزل المسلمون في كل زمان إذا دهمهم أمر يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عز وجل في الكشف عنهم" (٥) .

---

(١) انظر المقدمات الممهدات (١/ ١٧-١٨) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) التمهيد (٧/ ١٢٨) .

(٤) التمهيد (٧/ ١٣٤) .

(٥) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ٢٨٢) نقلا عن الجزء المخطوط من التمهيد

==

(٢) الدليل الثاني: أنه "لولا أن موسى عليه السلام قال لهم إلهي في السماء ما قال فرعون (يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ) غافر: ٣٦ .

بعد ذلك قام بتفنيد وإبطال أدلة القائلين بالمجاز وكلامه في ذلك نرجئه إلى الفصل الذي عقدته للحديث عن مقاومة علم الكلام .

ويقول الإمام محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في هذه الصفة أيضا " ومعنى فوق وعلا واحد بين جميع العرب في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتصديق ذلك قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الفرقان ٥٩ وغيرها من الآيات في هذا المعنى مما قد ذكرناه آنفا .

وذكر أيضا الأحاديث الواردة في هذا الباب فذكر حديث المعراج (١) ،

== (٨/١٠٦) .

يقول الامام الشوكاني حول هذا المعنى في رسالته "التحف في مذاهب السلف) ضمن المجموعة المنيرية (٢/٩٤) ... كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع وعزه المنيع فإنه يشير عند ذلك بكفه أو يرمي إلى السماء بطرفه ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الإزعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشي على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بأن الإستواء هو الاستيلاء".

(١) حديث المعراج أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات في الاسراء) رقم الحديث: ٣٤٩ الفتح (١/٤٥٨-٤٥٩) وفي كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم: ٣٢٠٧ الفتح (٦/٣٠٢-٣٠٣) وفي كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام) رقم: ٣٣٤٢ الفتح (٦/٣٧٤-٣٧٥) وفي كتاب المناقب (باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه) رقم: ٣٥٧ الفتح (٦/٥٧٩) .

==

وحديث الأعجمية [(١)] واستدل أيضا لكلامه باللغة حيث بين بأن حرف الجر "في" قد يأتي بمعنى فوق في لغة العرب وعلى ذلك قوله تعالى (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) سورة الملك : ١٥ يريد فوقها وعليها وكذلك قوله تعالى : (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) سورة طه : ٧١ يريد عليها ، وقال تعالى (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ) سورة الملك : ١٦ قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب يريد فوقها ثم قال : وقوله : (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) سورة طه : ٥ فإنما معناه عند أهل

== وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم .) رقم ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ (١/ ١٤٥-١٥١) .

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد (باب تحريم الكلام في الصلاة) رقم : ٥٢٧ . (١/ ٣٨١-٣٨٢) .

وأبو داود في كتاب الصلاة (باب تشميت العاطس في الصلاة) رقم الحديث ٩٣٠ (١/ ٢٤٤-٢٤٥) . وأحمد في المسند (٢/ ٩١) (٣/ ٤٥١) . (٤/ ٢٢٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩) .

والحديث مروى عن معاوية بن الحكم السلمي ولفظه "كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية (موضع بقرب أُحُد) فأطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي قلت يارسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : " ائتني بها " فأتيته بها ، فقال لها "أين الله" ؟ قالت في السماء قال : "من أنا " قالت أنت رسول الله قال : أعتقها فإنها مؤمنة ".

السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذى ظنته المعتزلة" (١) .

وكذلك نجد الإمام أبا القاسم عبد الله بن خلف المقرى الأندلسي يقول فى هذه الصفه فى كتاب (الاهتداء لأهل الحق والاقتداء) فبعد أن ذكر حديث النزول (٢) قال : "فى هذا الحديث دليل على أن الله تعالى فوق السماء على العرش فوق سبع سماوات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم" ثم استدل بالآيات التى فى هذا الباب والتى سبق ذكرها . (٣)

أما الإمام ابن بطال فيذكر اختلاف الناس فى تفسير هذه الصفة فيقول "اختلف الناس فى الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر .

قد استوى بشر على العراق :: من غير سيف ولا دم مهراق (٤)

---

(١) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية (١١٣-١١٤) وأدلة اللغة هذه هى نفسها التى استدل بها الإمام ابن عبد البر .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) اجتماع الجيوش الاسلامية (٨٨-٨٩) .

(٤) هذا البيت لا يعرف قائله قال شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى (١٤٦/٥) : السابع: أنه لم يثبت أن لفظ استوى فى اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور قد استوى الخ .
ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربى وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا إنه بيت مصنوع لا يعرف فى اللغة وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟ وقد طعن فيه أئمة اللغة وذكر عن الخليل ذكره أبو

==

قال : وهذا فاسد لأنه لم يزل قاهرا غالبا مستوليا وقوله : " ثم استوى " يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ولازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه وهذا منتف عن الله سبحانه قال : وقالت المجسمة[١] : معناه الاستقرار وهو فاسد لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله تعالى ولائق بالمخلوقات .

قال : وأما تفسير استوى : علا فهو صحيح وهو المذهب الحق "[٢] وإذا كان مستويا على عرشه بائنا من خلقه فإنه معهم بعلمه وتأييده ونصرته كما دل على ذلك القرآن والسنة في مثل قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) سورة النحل : ١٢٨ وقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) سورة العنكبوت : ٦٩ أي بتأييده ونصرته يقول أبو عمرو الداني : " يعني يحفظهم وينصرهم ويؤيدهم لا أن ذاته معهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "[٣] وقوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) المجادلة : ٧ أي بعلمه وقد نقلنا الإجماع على ذلك كما أورده ابن عبد البر ويقول ابن أبي زيد القيرواني : "وانه في كل مكان بعلمه "[٤] ويقول أبو بكر بن وهب : " وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته "[٥].

= = المظفر السمعاني في كتاب (الإفصاح) قال : سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال : هذا مالا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها ".

(١) المجسمة أو الجسمية يقول التهانوي في تعريفهم "هم فرقة يقولون: إن الله جسم حقيقة فقيل هو مركب من لحم ودم كمقاتل بن سليمان وغيره وقيل : هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه ومنهم من يبالغ ويقول : انه على صورة إنسان والكرامية قالوا : هو جسم أي موجود وقال قوم منهم: أي قائم بنفسه " انظر كشاف اصطلاحات الفنون (٢ / ٣٦١) .

(٢) انظر شرح ابن بطال الجزء الرابع (ل : ٣٤٩ ب) .

(٣) الرسالة الوافية (ل / ٢ ب) (٤) الرسالة الفقهية (ص ٧٦) .

(٥) اجتماع الجيوش الاسلامية (١١٣) .

وكذلك قالوا في سائر الصفات كالمجيء والنزول كما يلخص ذلك الإمام ابن عبد البر بقوله: "وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)[(١)] عند السلف مثل قول الله عز وجل (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) الأعراف ١٤٣، ومثل قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) سورة الفجر: ٢٢ كلهم يقول ينزل ويتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ومن أين ينزل؟ لأنه ليس كمثله شيء من خلقه وتعالى الله عن الأشياء ولا شريك له"[(٢)]

فكانوا يثبتون هذه الصفات كلها لورود النص بها مع التنزيه له سبحانه عن مشابهة المخلوقين لقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١)، وهذا كما يقول أبو عمرو الداني - (دين الأمة وقول أهل السنة في هذه الصفات أن تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد فمن تجاوز المروي فيها وكَيَّفَ شيئا منها ومَثَّلَها بشيء من جوارحنا وآلتنا فقد ضل واعتدى وابتدع في الدين ما ليس منه وفرق إجماع المسلمين وفارق أئمة الدين"[(٣)]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التمهيد (١٥٣/٧).

(٣) الرسالة الوافية (ل: ٢٣) يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في رسالته (التحف في مذاهب السلف) ضمن المجموعة المنيرية (٩٤/٢) فالسلامة والنجاة في إقرار ذلك على الظاهر والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكليف ولا قيل ولا قال ولا قصور في شيء من المقال فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف".
وقد طبعت هذه الرسالة دار الصحابة للتراث بتحقيق سيد عاصم علي وفي هذه الطبعة انظر (ص ٢٧).

قولهم في القرآن الكريم :-

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المعجز بكل حرف منه ، منه بدأ سبحانه وإليه يعود ليس بخالق ولا مخلوق هذا هو قول أهل السنة والجماعة . وقد عبر عنه الامام ابن أبي زيد القيرواني بقوله " وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولاصفة لمخلوق فينفد " (١) ويرى الإمام ابن عبد البر أن القرآن كلام الله ومافيه حق من عند الله يجب الإيمان بجميعه واستعمال محكمه (٢) وليس بمخلوق ومن يقول بخلقه فهو مبتدع ومخالف للسنة ويرى أن الجدال والمراء في القرآن لا يجوز وهو يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مراء في القرآن كفر" (٣) وأما أبو عمرو الداني فيتوسع في بيان هذه المسألة

---

(١) رسالة ابن أبي زيد (ص ٧٧) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/١٠-١١) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٨٦ ، ٣٠٠ ، ٤٢٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠٣ ، ٥٢٨) وأبو داود في السنة (باب النهي عن الجدال في القرآن) رقم: ٤٦٠٣ (٤/١٩٩) وسنده حسن وصححه الحاكم (٢/٢٢٣) . ووافقه الذهبي .
واختلفوا في تأويل الحديث فقيل : معنى المراء الشك وقيل هو الجدل المشكك وذلك أنه إذا جادل فيه أداه إلى مايرتاب في الآي المتشابهة منه فيؤديه ذلك إلى الجحود فسماه كفرا وتأوله بعضهم على المراء في قراءته وهو أن ينكر بعض القراءات المروية فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها والتكذيب بها إذ كلها قرآن يجب الإيمان بها ويشهد بهذا التفسير حديث آخر رواه أحمد (٤/ ١٧٠) أن رجلين اختلفا في آية من القرآن

==

وتقرير مذهب أهل السنة فيبين أن قول أهل السنة فى كلام الله أنه صفة لذاته "لا يزال موصوفا به" لقوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) (الفتح : ١٥) وقوله سبحانه (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) (سورة البقرة: ٧٥) وقوله عز وجل (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) (الأعراف : ١٤٤) والذين سمعوا كلامه تعالى كجبريل وموسى ومحمد عليهم السلام إنما سمعوه منه بلا واسطة ولا ترجمان فهو القائل لموسى عليه السلام: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه: ١٤) وكذلك قال الله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (النساء: ٢٥٣) فأكد الفعل بالمصدر الذى يزيل المجاز ويوجب الحقيقة"(١).

والقرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق لقوله تعلى : (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) الزمر: ٢٨ قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى(٢) معنى قوله تعالى (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)

== فقال تلقيتها عن رسول الله وقال الآخر تلقيتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا النبى فقال : "لا تماروا فى القرآن فإن مراء فيه كفر".

(١) الرسالة الوافية (ل : ٤٤ب) وانظر كتاب الجامع لابن أبى زيد (ص١٠٧) ويقول ابن القيم حول هذا المعنى عند ذكره لهذه الآية: "وهذا يدل على أن التكليم الذى حصل له أخص من مطلق الوحى ثم أكده بالمصدر الحقيقى الذى هو مصدر "كلم" وهو "التكليم" رفعا لما يتوهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام أو اشارة أو تعريف للمعنى النفسى بشئ غير التكليم فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز".
انظر تهذيب مدارج السالكين (ص ٤٥).

(٢) سبقت ترجمته .

غير مخلوق وهو قول ابن عيينه (١) وعمرو بن دينار (ت ١٢٦ هـ) (٢) وغيرهم من الصحابة والتابعين .

وعقد الإمام ابن أبي زمنين في كتابه (أصول السنة) بابا في الإيمان بأن القرآن كلام الله بين فيه أن مذهب أهل السنة في القرآن أنه "كلام الله وتنزيله منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود" وينقل بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب اليه من شيء خرج منه يعني القرآن" (٣)

وينقل أيضا بسنده عن عباد (٤).

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) هو عمرو بن دينار الجمحي مولاهم المكي الإمام الحافظ شيخ الحرم ، كان من أوعية العلم وأئمة الاجتهاد وكان رحمه الله من أفقه أهل زمانه توفي سنة ١٢٦.

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٦ / ٣٢٨-٣٢٩) رقم: ٢٥٤٤ الجرح والتعديل (٦ / ٢٣١) رقم: ١٢٨٠ سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٠٠-٣٠٧) رقم: ١٤٤ ، تهذيب التهذيب (٨ / ٢٨-٣٠) رقم: ٤٥ .

(٣) الرسالة الوافيه (ل ٤ : ب) والحديث أخرجه الترمذي من طريق إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن العلاء بن الحارث عن زيد بن ارطأة عن جبير بن نفير ورجاله ثقات رقم الحديث: ٢٩١٢ .

(٤) لعله عباد بن عباد بن حبيب ابن الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، العتكي المحدث المتوفى سنة ١٨١ ، أو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر الإمام المحدث الصدوق المتوفى سنة بضع وثمانين ومائة وكلاهما مترجم له في السير أعلام النبلاء (٨ / ٢٩٤-٢٩٦) رقم: ٧٧ و (٨ / ٥١١-٥١٢) رقم: ١٣٤ .

أنه قال : "كل من أدركت من المشايخ مالك بن أنس وسفيان بن عيينة(١) وفضيل بن عياض(٢) وعيسى ابن يونس(٣) وعبد الله بن المبارك(٤) ووكيع بن الجراح(٥) وغيرهم ممن أدركت من فقهاء الأمصار مكة والمدينة والعراق والشام ومصر كلهم يقولون : "القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق" ولذلك كان العلماء لا يسمحون ان يكتفي الرجل بقول "القرآن كلام الله" حتى يقول ليس بخالق ولا مخلوق"(٦) يقول ابن وضاح (٧)". ولا يسع أحدا أن يقول : كلام الله" حتى يقول : ليس بخالق ولا مخلوق ولا ينفعه علم حتى يعلم ويوقن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق منه عز وجل بدأ واليه يعود(٨)

---

(١) سبقت ترجمته (٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو عيسى ابن يونس بن أبي اسحاق السبيعي الكوفي الإمام القدوة الحافظ الحجة ، كان واسع العلم كثير الرحلة وافر الجلالة ، توفي سنة ١٨٧ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٦/٤٠٦) رقم : ٢٧٩٨ تاريخ بغداد (١١/١٥٢-١٥٦) رقم : ٥٨٤٧ سير أعلام النبلاء (٨/٤٨٩-٤٩٤) رقم : ١٣٠ تهذيب التهذيب (٨/٢٣٧-٢٤٠) رقم : ٤٣٩ .

(٤) مرت ترجمته .

(٥) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أحد الأئمة الأعلام في الحديث وصنف فيه مصنفات كثيرة أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع لشدة ورعه ، توفي سنة ١٩٧ وكانت ولادته سنة ١٢٩ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٨/١٧٩) رقم : ٢٦١٨ الجرح والتعديل (١/٢١٩-٢٣٢) . حلية الأولياء (٨/٣٦٨-٣٨٠) رقم : ٤٣٧ تاريخ بغداد (١٣/٤٦٦-٤٨١) رقم : ٧٣٣٢ وسير أعلام النبلاء (٩/١٤٠-١٦٨) رقم : ٤٨ .

(٦) أصول السنة (ل : ٣٠أ) وانظر الرسالة الوافيه (ل : ٥أ) .

(٧) مرت ترجمته .

(٨) أصول السنه لابن أبي زمنين (ل : ٣أ) .

قولهم في رؤية الله تعالى :-

مذهب أهل السنة-كما سبق بيانه-أن الله يرى في الآخرة وهذا المذهب مبنى على الأدلة الصحيحة والصريحة في ذلك وقد تناول علماء السنة المغاربة هذه المسألة في مصنفاتهم وبينوا عقيدتهم فيها لأنها تدخل ضمن مسائل العقيدة التي لا يسع المسلم جهلها فكلهم يؤكد "أن الله سبحانه وتعالى يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لا يضاهون في رؤيته كما قال الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم" (١)

وأما ما يحتج به القائلون بنفي الرؤية من قوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (الانعام: ١٠٣) فلا تقوم به الحجة لأن الإدراك هنا بمعنى الإحاطة أى أن الأبصار لا تحيط به وهو يحيط بها كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) (سورة الشعراء: ٦١) بعد قوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) سورة الشعراء : ٦١ وفي قصة فرعون (حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) (سورة يونس: ٩٠) يقول أبو عمرو الداني : "فالإدراك في هاتين الآيتين الإحاطة لا الرؤية فكذلك في الآية المتقدمة سواء" (٢).

وقد أفاض الإمام ابن عبد البر في جمع الأدلة على رؤية الله في الآخرة من القرآن والسنة فمن القرآن الكريم قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي . وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) (سورة الأعراف: ١٤٣) سيأتي الحديث عن وجه الدليل من هذه الآية حين أتناول الرد على منكري الرؤية.

---

(١) الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص ١٠٩) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١٦٩) الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ل : ٥ ب).

(٢) الرسالة الوافية (ل : ٢٦).

واستدل بقوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (سورة القيامة ٧٥) وقوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) سورة المطففين : ١٥)

ووجه الدلالة من هذه الآية أن الله عز وجل جعل الرؤية لأوليائه المؤمنين يوم القيامة وحجبها عن أعدائه وإنما يحتجب عن أعدائه المكذبين ويتجلى لأوليائه المؤمنين (١)

وهذا الاستدلال يعرف في أصول الفقه بالاستدلال بمفهوم المخالفة وهو أن يثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به وقد استدل بهذا الاستدلال غير واحد من العلماء فقد قال مالك رحمه "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى يروه) ، وقال الإمام الشافعي عن هذا الدليل أيضا "لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا" (٢) .

واستدل بقوله أيضا (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) سورة يونس : ٢٦

وتناول الإمام ابن بطال هذه المسألة في شرحه على صحيح البخاري وبين قول أهل السنة فيها فقال "ذهب أهل السنة وجمهور الأئمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنعها الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة" (٣) .

ثم عمد الى تفنيد أدلة المانعين التي تمسكوا بها في منع الرؤية دليلا دليلا وسأذكر ذلك في فصل الردود .

كلامه في الإيمان :-

بينت فيما سبق من البحث أن مذهب أهل السنة في الإيمان أنه قول وعمل يزيد وينقص وذلك بناء على الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن وقد قرر

---

(١) التمهيد (٧/١٥٤) .

(٢) انظر أقوالهما في الانتقاء (٧٩-٨٢) تفسير الطبري (١٩/٢٦١) .

(٣) انظر الفتح (١٣/٤٢٦) .

علماء السنة المغاربة هذا المذهب فى مصنفاتهم وصرحوا به حيث يقول الامام ابن أبى زيد القيروانى يعرف الإيمان انه "قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة الإيمان إلا بالعمل" (١) .

وهذا التعريف من ابن أبى زيد للإيمان لا يخرج عن مفهوم القرآن والسنة كما بينت من قبل وفيه رد على المرجئة الذين لا يدخلون الأعمال فى مسمى الإيمان (٢) وهو قول مخالف للآيات والأحاديث الصريحة فى ذلك .

ويعرف ابن أبى زمنين الإيمان بقوله: "إن الإيمان إخلاص بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح على نية حسنة وإصابة السنة" (٣) وهذان القيدان الأخيران لابد منهما قبول الأعمال فلا تكفي النية الحسنة وحدها إذا لم يصب صاحبها السنة وأيضا فلا تكفي موافقة السنة وحدها إذا لم تكن مقرونة بنية خالصة فلابد من اجتماع النية الحسنة مع إصابة السنة فى قبول الأعمال وفى ذلك يقول الإمام ابن أبى زيد القيروانى : "ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة" (٤) .

---

(١) رسالة ابن أبى زيد (٧٩) .

(٢) المخالفون لأهل السنة فى الإيمان هم:-

١- الجهمية: يقولون إنه مجرد معرفة القلب .

٢- الكرامية: إنه قول اللسان .

٣- الأشاعرة انه التصديق .

٤- مرجئة السنة: إنه التصديق والإقرار.

٥- المعتزلة والخوارج : الاعتقاد والنطق والعمل ، والفرق بينهما فى التسمية فقط، فالمفرط فى الأعمال عند المعتزلة فى منزلة بين المنزلين بين الكفر والايمان ،واما عند الخوارج فهو كافر،وهو عند الفريقين مخلد فى النار فى الآخرة .

راجع ص(١٥١ - ١٥٣) حول الفرق بين أهل السنة والمعتزلة .

(٣) آصول السنة (ل : ٢ب) . (٤) الرسالة الفقهية ص(٧٩) .

وسئل الإمام الفضيل بن عياض[(١)] عن قوله تعالى : (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) سورة الملك : ٢) قال : أخلصه وأصوبه فقيل له يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة"[(٢)] . وهو قول سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ)[(٣)] كما نقله الإمام ابن تيمية[(٤)] حيث يقول : " لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة"[(٥)] وشرح الإمام أبو عمرو الداني هذا التعريف ووضح معانيه بقوله : " فالقول : الشهادة لله سبحانه بما تقدم (بأسمائه وصفاته وغير ذلك) والإقرار بملائكته وكتبه ورسله وجميع ما جاء من عنده والعمل : أداء الفرائض التى فرضها واجتناب المحارم التى حرمها "[(٦)] وهذا التعريف للإيمان هو الذى كان عليه سلف الأمة وخيارها يقول الإمام ابن عبد البر : "أجمع أهل الفقه على أن الإيمان

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) انظر كتاب الاستقامة (٢/ ٣٠٨-٣٠٩) .

(٣) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدى الكوفى أخذ عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وكان من أكثر الناس علما وهو من أوائل من فسر القرآن قتله الحجاج سنة ٩٥ .

مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (٢٢٧-٢٢٨) حلية الأولياء (٤/ ٢٧٢-٣١٠) رقم: ٢٧٥ تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٦-٢١٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١-٣٤٣) رقم: ١١٦ ; تهذيب التهذيب (٤/ ١١-١٤) رقم: ١٤ .

(٤) مرت ترجمته . (٥) الاستقامة (٢/ ٣٠٩) .

(٦) الرسالة الوافية (ل : ٦أ) .

قول وعمل ولا عمل إلا بنية والطاعات عندهم كلها إيمان "[١] ويوضح هذا الكلام أكثر في موضع آخر فيقول : " أما سائر الفقهاء من أهل الرأي[٢] والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد[٣] وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام[٤] وداود بن علي[٥] وأبو جعفر الطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا: الإيمان قول وعمل : قول

---

(١) انظر التمهيد (٩/٢٣٨) الكافي (١/١٥٣) .

(٢) المقصود بأهل الرأي أهل الفقه .

(٣) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي كان محدثا وفقيها بارزاً ولكن أتباع مدرسته لم يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم كاملا فيحفظوا مذهبه توفي سنة ١٧٥ وكانت ولادته سنة ٩٤ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/٢٤٦-٢٤٧) رقم: ١٠٥٣ وفيات الأعيان (٤/١٢٧-١٣٢) رقم: ٥٤٩ السير (٨/١٣٦-١٦٣) رقم: ١٢ تهذيب التهذيب (٨/٤٥٩-٤٦٥) رقم: ٨٣٢ .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام اشتغل بالحديث والفقه والأدب وكان ذا دين ومذهب حسن له تصانيف كثيرة في فنون العلم المختلفة توفي سنة ٢٢٤ .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١٢/٤٠٣-٤١٦) رقم: ٦٨٦٨ سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠-٥٠٩) رقم: ١٦٤ طبقات الشافعية الكبرى (٢/١٥٣-١٥٦) رقم: ٣٦ البداية والنهاية (١٠/٢٩١-٢٩٢) .

(٥) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري مؤسس المذهب الظاهري وهو مذهب فقهي يعتمد على ظاهر الكتاب والسنة فقط كان معلما مرموق المكانة وكان موضع احترام وتقدير لتواضعه وورعه وكان لمذهبه انتشار واسع في مرحلة من مراحل التاريخ توفي سنة ٢٧٠ وكانت ولادته سنة ٢٠٠ .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٨/٣٦٩-٣٧٥) رقم: ٤٤٧٣ وفيات الأعيان

==

باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة قالوا : وكل مايطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان "[(١)] وقد نقل الامام ابن عبد البر أدلة علماء السلف على قولهم مما ذكرناه عند الحديث عن آراء الإمام مالك العقدية .

وبزيادة الإيمان ونقصانه يتفاضل المؤمنون فيما بينهم لأن الإيمان كما يقول ابن أبي زمنين : " درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص ولولا ذلك استوى الناس فيه ولم يكن للسابق فضل على المسبوق "[(٢)] وهذا لا يعقل إذ كيف يكون إيمان مثل أبى بكر أو عمر أو عثمان أو على أو غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم كإيمان عامة الناس وهم أول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وآزره فى محنته وجاهد معه وأبلى بلاء حسنا فى سبيل الله ثم يأتى من لا سابقة له فى الإسلام ولا جهاد له فيقول إيماني كإيمان هؤلاء والله تعالى ميز بعضهم من بعض وفضل بعضهم على بعض فقال سبحانه : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) سورة النساء : ٩٥ وقال تعالى : (لَا يَسْتَوِي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك

== (٢/٢٥٥-٢٥٧)رقم: ٢٢٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٩٧-١٠٨)رقم: ٥٥ البداية والنهاية (١١/٤٧-٤٨) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٨٤-٢٨٧) رقم: ٦٦ لسان الميزان (٢/٤٢٢-٤٢٤)رقم: ١٨٤٢ .

(١) التمهيد (٩/٢٤٩) .

(٢) أصول السنة (ل : ١٣أ) .

أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) (سورة الحديد : ١٥) . وقال أيضا في أصناف المؤمنين (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) سورة فاطر : ٣٢ فهؤلاء ليسوا على درجة واحدة من الإيمان .(١)

وفي هذا الموضع يورد لنا الامام أبو عمرو الداني جملة من الآيات والأحاديث وأقوال السلف في زيادة الايمان ونقصانه وقد سبق ذكر جملة منها في موضعه من هذا البحث(٢) وكذا الإمام ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري استدل بالآيات الكثيرة في زيادة الإيمان ونقصانه ثم قال : فإن قيل : إن الإيمان في اللغة التصديق فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فمتى ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل ونقصانها ينقص فمتى نقصت أعماله نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد .(٣)

مسألة الاستثناء في الإيمان :-

وهنا ترد علينا مسألة الاستثناء في الإيمان وهي المسألة التي كانت مثار جدال عنيف بالمغرب وتكونت حولها فرقتان :

(١) السحنونية نسبة إلى محمد بن سحنون .(٤)

---

(١) قال العلماء : الإيمان ثلاث درجات إيمان السابقين المقربين وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين وهو ما ترك صاحبه بعض الواجبات أو فعل فيه بعض المحظورات وايمان الظالمين وهو من أقر بأهل الايمان ولم يفعل المأمورات ويجتنب المحظورات انظر مجموعة الرسائل والمسائل (٣٤١/١)

(٢) راجع ص : ١٥٠-١٥١

(٣) انظر شرح ابن بطال على البخاري الجزء الأول (ل ٨/أ)

(٤) سبقت ترجمته .

(٢) والعبدوسية نسبة الى محمد بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) (١) ويسميهم خصومهم من أتباع محمد بن سحنون الشكوكية وألفت حولها عدة موءلفات في ذلك العهد ،وهذان الفريقان هما اللذان قام الصراع بينهما حول هذه المسألة .

وكان هناك فريق ثالث يمنع الخوض في هذا الموضوع ويمثله أبوالحسن علي بن محمد بن علي الدباغ (ت٣٥٩هـ) (٢) ويحتج على ذلك بقوله" إذا وقفنا بين يدى الله لم يسألنا عن هذه المسألة إن كنتم عقلاء اسكتوا عنها" وكان يقول أيضا : " مالنا والكلام في شيء إن أصبنا فيه لم توءجروا وإن أخطأنا أثمنا (٣) "، وهذا الفريق لم يكن طرفا في الصراع .

وملخص هذا الخلاف حول هذه المسألة أن محمد بن سحنون كان يقول "أنا موءمن عند الله ويسمي الذى يستثني ويقول : " أنا موءمن إن شاء الله " بالشكوكية وهم أتباع محمد بن عبدوس وكان يقول : " المرء يعلم اعتقاده فكيف يعلم أنه يعتقد الإيمان ثم يشك فيه ؟ " (٤) والذى ذهب إليه محمد بن سحنون هو الذى يستفاد من قول مالك من قبل ، حيث كان يقول لمن سأله: أقول موءمن إن شاء الله ؟ " فيقول

---

(١) هو الإمام محمد بن إبراهيم بن عبدوس أصله من العجم من كبار أصحاب سحنون كان ثقة إماما في الفقه ، صالحا زاهدا ، توفي سنة ٢٦٠ وكان مولده سنة ٢٠٢ .

مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٥٩-٤٦١)رقم: ٤٨ ،معالم الإيمان (٢/ ١٣٧-١٤٤)رقم: ١٧ ،ترتيب المدارك (٢/ ١١٩-١٢٤)الديباج المذهب (٢/ ١٧٤-١٧٥)رقم: ١٤ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ كان من أهل العلم والورع والتعبد والصيانة ثقة حسن التقييد سمع من محمد بن بسطام وعمر بن يوسف وغيرهما وعنه أبو الحسن الفارسي وبكر بن يوسف وغيرهما توفي سنة ٣٥٩ وكانت ولادته سنة ٢٧١ .

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٥-٥٢٨)معالم الإيمان (٣/ ٧٥-٧٨)رقم: ٢١٦ شجرة النور الزكية (١/ ٩٤)رقم: ٢١٧) .

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٧-٥٢٨) .

(٤) المدارك (٣/ ١١٥)

مالك : قل مؤمن ولا تخلط معها غيرها "[١] وهو قول سحنون أيضـــا[٢].

ولكن قول محمد بن عبدوس لم يكن من الشك في شيء، وإنما كل ما في الأمر أنه يجهل العاقبة كما يوضح هو ذلك بقوله "أدين بأني مؤمن عند الله في وقتـــي هذا ولا أدري ما يختم لي به" وقد أحسن الإمام القاضي عياض التوفيق بين الفريقين حين قال "والمسألة قد كثر الخوض فيها وكلام الأئمة عليها. والحقيقة فيها أنـــه خلاف في ألفاظ لا حقيقة، فمن الْتَفَتَ إلى مغيب الحال والخاتمة وما سبق به القدر قال بالاستثناء، ومن الْتَفَتَ إلى حال نفسه وصحة معتقده في وقته لم يَقُلْ به"[٣].

وقد أخذت هذه المسألة بعدا آخر حيث كانت حقلا خصبا لعديد مـــن المؤلفات، ينتصر فيها أصحابها لمذهبهم، فقد ألف الإمام محمد بن سحنون رأس

---

(١) انظر الجامع لابن أبي زيد (ص ١٢٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ١٢٢) .

(٣) ترتيب المدارك (١١٦/٢)

حول الاستثناء في الإيمان :

هذه القضية أثارت الرأي في المشرق قبل المغرب. وكان مركزها الكوفـــة والبصـــرة .

فالذين يذهبون إلى القول بالاستثناء يستدلون بقول ابن مسعـــود، وتلاميذه علقمه بن قيس (ت ٦٨) وإبراهيم النخعي (ت ٩٦)، ويقول ابن سيرين (ت ١١٠) وسفيان الثوري (ت ١٦١) .

أما الأوزاعي فكان يجوز المقالتين .

وأحمد بن حنبل كان يقول بالاستثناء كما ذكرت في ثنايا البحث وكان الامام الاشعري يقول بالاستثناء كما هو حال مجموع الشافعيه وكذلك الحال بالنسبه للغزالي الذي يؤكد علـى ان الاستثناء في الايمان لايعني بحال من الأحوال الشك فيه. ولكن يعني التواضع والذل لله تعالى، وتسليم حقيقة الأمر إليه سبحانه فهو الذي يعلم حقيقة الإيمان، وكذلك يعنى جهل الإنسان بنهايته التي يموت عليها (الإحياء ١٢٥٠/٢٢/١) .

المعتزلة ينفون الاستثناء، وكذلك الماتريدية .

أما المالكية فقد رأينا اختلافهم فلا داعي لاعادة ذكره هنا.)

المدرسة السحنونية . (كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك) يرد فيه على محمد بن عبدوس[١] .

واتبعه فقيه آخر، هو عبد الله بن غافق التونسي (ت ٢٧٥)[٢] فوضع رسالة في الإيمان)، كان لها صدى كبير في تونس آنذاك[٣] . ويضع فقيه آخر هو يحي بن عمر[٤] رسالة أخرى حول هذه المسألة سمّاها (الرد على الشكوكية) ينتصر فيها لمحمد بن سحنون ، ويتبعه الفقيه محمد بن عبد الله البجلي[٥] فيصنف كتاب (الرد على الشكوكية)، ينتصر فيه هو الآخر لمحمد بن سحنون[٦] .

وكان يحي بن عون يذهب الى قول سحنون في كتابه الحجة، ويتهم الشكوكية بأنهم غير متيقنين من إيمانهم لأنهم يقولون : نرجو أن نكون مؤمنين ، أو نحن مؤمنون إن شاء الله، ويزرعون الشك في الضعفاء حين يقولون لهم: هل أنتم متيقنون من إيمانكم مستكملون له .

ولما كان الجواب طبيعيا أنهم غير مستكملين للإيمان ، فالباب فتح أمام الاستثناء[٧] .

---

(١) ترتيب المدارك (٢/٣٤-٣٥) .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن غافق التونسي ، ولد سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٧٥ مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٢٧١ - ٢٧٣) .

(٣) جاء في ترجمته أنه لما وضع هذه الرسالة لم ينسبها لنفسه، فكتبها الناس واستحسنوها وأذاعها رجل باسمه، فبلغ ذلك ابن غافق ، فقال : "إنما ظننت أنكم تعطون بها فلما نسبت لغير أهل العلم، والله لم يسعني السكوت : أنا وضعتها " .
ترتيب المدارك (٢/ ٢٧١ - ٢٧٢) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن علي البجلي، كان يغلب عليه مذهب الشافعي ، ومعارضات المزني ، وكان فقيها عالما ، وألف عدة مصنفات منها الحجة في الشاهد ويمين ، وكان جليل القدر، صحب المزني، وعُرِضَ عليه القضاء فأبى .
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص٢١٣) ، رياض النفوس(٢/١٨٦-١٨٧) رقم: ٢٠٤ .

(٦) طبقات الخشني (ص ٢١٣) .

(٧) كتاب الحجة على أهل البدع (ص ١٧١٥) .

بل بلغ ببعضهم من أصحاب ابن سحنون أن يمتنع عن الصلاة خلف محمد بن عبدوس كما فعل إبراهيم بن عتاب الخولاني (١)، الذى كان - كما جاء في ترجمته عند الخشني - "قليل الفهم غاليا في مذهب ابن سحنون في مسألة الإيمان شديد الانتقاص لمحمد بن عبدوس عصبية لابن سحنون، بلغ ذلك به إلى أن حضر جنازة فتقدم عليها محمد بن عبدوس فانصرف ابن عتاب ولم يصل خلفه" (٢).

من هذا العرض لبعض المؤلفات حول هذه المسألة، نلاحظ أنها كلها تصب في وعاء واحد وهو الانتصار لمذهب عدم الاستثناء في الايمان، إذا استثنينا لقمان بن يوسف (ت ٣١٩) (٣) الذى كان يميل إلى معنى ابن عبدوس في مسألة الإيمان وفي جميع معانيه" (٤).

ولكن حين اطلعت على مذاهب السلف في المسألة، وجدت أن كبار علماء الأمة كانوا يقولون بجواز الاستثناء، إذا كان راجعا إلى العاقبة، كما ينقل عنهم ذلك الامام أبو عمرو الدَّانِي حيث يقول: "إن علماء السنة يقولون بجواز الاستثناء في الإيمان، لكن بشرط أن يكون ذلك عائدا إلى العاقبة والكمال، ولا يجوز على طريق الشك لأن أقل ما يقبل من الإيمان ما لا يجامعه الشك".

---

(١) ترجمته في طبقات الخشني (ص ١٥١).

(٢) طبقات الخشني (ص ١٥١) وتمام الحادثة أنه استدعاه بعد ذلك القاضي لما بلغه عنه ما فعل، فقال له: "لم انصرفت عن الصلاة ومن وراء الإمام الفاضل ابن عبدوس، فقال: لأنه شكوكي، فقال له: وما تقول في شكوكيته؟ فقال له: يقول: إنه ليس بمؤمن عند الله، وكان حماس بن مروان حاضرا فقال: أشهد على ابن عبدوس أنه يقول: من قال: ليس هو مؤمنا عند الله فهو كافر عند الله" فأمر القاضي بابن عتاب إلى السجن".

(٣) كان حافظا لمذهب مالك، سمع من يحي بن عمر وعيسى بن مسكين وغيرهما، ورحل إلى المشرق حاجا فسمع بمصر وكان من الصُّوَّمِ القُوَّمِ، عالما باللغة، عارفا بالرجال توفي سنة ٣١٩.

مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ١٧١)، رياض النفوس (١٩٣/٢-١٩٤) رقم: ٢٠٧.

(٤) نفس المصدر (ص ١٧١).

ثم ينقل عن الإمام أحمد قوله: "الاستثناء في الإيمان سنة ماضية عند العلماء وليس بشك وإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت فليقل: أنا مؤمن، إن شاء الله أو مؤمن أرجو" وسئل الإمام أحمد أيضا: "إن استثنيت في إيماني أكون شاكا؟ قال: لا" قال أبو عمرو الداني: "وهو قول السلف: عطاء بن السائب (١) والأعمش (٢) وإسماعيل بن أبي خالد (٣) وغيرهم" قال: وكانوا يعيبون على من لم يستثن".

وينقل عن الإمامين ابن مهدى (٤) وأحمد بن حنبل "أن ترك الاستثناء في الإيمان هو أصل الإرجاء".

---

(١) هو الإمام أبو زيد عطاء بن السائب الكوفي، روى عن أبيه وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهم، وعنه: الثورى وابن جريج وسعيد بن جبير وغيرهم، كان من كبار العلماء توفي سنة ١٣٦.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/٣٣٨)، تاريخ البخارى (٦/٤٦٥) رقم: ٣٠٠٠.
الجرح والتعديل (٦/٣٣٢-٣٣٤) رقم: ١٨٤٨، سير أعلام النبلاء (٦/١١٠-١١٤) رقم: ٣٠.

(٢) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى، الإمام شيخ المقرئين والمحدثين، رأى أنس بن مالك وروى عنه، وعن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، وكان مدلسا مع إمامته توفي سنة ١٤٧ وهو ابن ٨٨ سنة.
مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (٤/١٤٦-١٤٧) رقم ٦٣٠، سير اعلام النبلاء (٦/٢٢٦-٢٤٨).
رقم: ١١٠، تهذيب التهذيب (٤/٢٢٢-٢٢٦) رقم: ٣٧٦.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله إسماعيل بن أبي خالد البجلي، الإمام الكبير، حدث عن ابن أبي أوفى وغيره، وعنه شعبة وسفيان وعباد بن العوام، توفي سنة ١٤٦.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (١/٣٥١-٣٥٢) رقم: ١١٠٨٠- سير أعلام النبلاء (٦/١٧٦-١٧٨) رقم: ٨٣، تهذيب التهذيب (١/٢٩١-٢٩٢) رقم: ٥٤٣، شذرات الذهب (١/٢١٦).

(٤) مرت ترجمته.

وأصل القول بالاستثناء في الإيمان ، قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الرجل يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا" (١) .

وقوله: "إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يعمل بعمل أهل النار فيجعله الله من أهل النار" (٢) .

قال أبو عمرو الداني ، عقب ذلك: "فهذا هو الذى سوغ الاستثناء لجهل الكل بعاقبة أمرهم وما يختم لهم به" (٣) .

ومن هنا يظهر أن مذهب الذى يقول بالاستثناء في الإيمان ، هو الأقوى وهو الذى عليه أئمة المسلمين ودلت عليه النصوص، وهو قول ابن مسعود كما ذكر عنه الإمام ابن تيمية في كتابه الإيمان (٤) لأنه من قطع لنفسه بالإيمان فعليه أن يقطع لها بالجنة، سئل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن قوم يقولون: "إنا مؤمنون ، فقال: أفلا سألتموهم أفي الجنة هم، وفي رواية: أفلا قالوا: نحن أهل الجنة".

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن رقم: ١١٨ (١/ ١١٠) .
وأبو داود في الفتن (باب في النهي عن السعي في الفتنة) رقم: ٤١٩٢ (٤/ ١٠١) والترمذى في الفتن (باب: ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم) رقم: ٢١٩٥، ٢١٩٧ (٤/ ٤٨٧ - ٤٨٨) .
وابن ماجه في الفتن (باب: ما يكون من الفتن) رقم: ٣٩٥٤ (٢/ ١٣٠٥)
والإمام أحمد في المسند في عدة مواضع (٢/ ٣٣٣، ٣٠٤، ٣٩١) (٣/ ٤٥٣) (٤/ ٢٧٢، ٧٣، ٧٧ ...) .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في التوحيد (باب قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) رقم: ٧٤٥٣ - الفتح (١٣/ ٤٤٠) ، وفي كتاب القدر ، برقم: ٦٥٩٤ ، الفتح (١١/ ٤٧٧) ، وفي كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم: ٣٢٠٨ ، الفتح (٦/ ٣٠٣) ، وفي كتاب الأنبياء (باب: خلق آدم وذريته) رقم الحديث: ٣٣٣٢ ، الفتح (٦/ ٣٦٣) وأخرجه مسلم في القدر (باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه)(رقم: ٢٦٤٣ ، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦) وأبو داود في السنة (باب في القدر) رقم: ٤٧٠٨ ، السنن (٤/ ٢٢٨) .

(٣) الرسالة الوافية (ل: ٦ ب)

(٤) انظر (ص ٣٩٧ - ٤٠٠) .

قولهم في مرتكب الكبيـرة :

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بكبيرته من دائرة الإيمان ولا يخلد في النار إن مات على كبيرته ولم يتب منها . خلافا للخوارج الذين يقولون بكفره وهي أول بدعة حدثت في الإسلام [١] - وخلافا للمعتزلة الذين يقولون بأنه في منزلة بين المنزلتين بين الكافر والمؤمن في الدنيا ، أما في الآخرة فهو مخلد في النار ، كما هو قول الخوارج .

وكإخوانهم بالمشرق الذين قاموا لدفع هذه الأقوال الشاذة ، قام علماء المغرب هم أيضا لدفعها وبيان القول الحق فيها ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف - رضي الله عنهم - فقالوا : " وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة " [٢] سواء كبر ذلك الذنب أو صغر و " لا يحبط الإيمان إلا الشرك [٣] كما قال تعالى : (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (سورة الزمر: ٦٥) ، وعلى هذا "فلا يحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة ولا يرون ترك الصلاة على من مات منهم وإن كان من أهل الإسراف على نفسه [٤] وهذا الكلام تشهد له نصوص الكتاب والسنة ، من ذلك قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (سورة الزمر: ٥٣) وقوله سبحانه : (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (سورة محمد : ١٩) وقوله : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) (سورة التوبة: ١٠٣) وقوله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) (النساء: ١١٦) يقول ابن عبد البر في هذا الدليل : " ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب، لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعا . قال الله تعالى : (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) [٥] (الانفال : ٣٨)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣٣٩/١) .
(٢) رسالة ابن أبي زيد (ص ٧٩) .
(٣) الجامع لابن أبي زيد (ص ٧٩) .
(٤) ابن أبي زمنين : أصول السنة (ل : ١٣ ب) .
(٥) التمهيد (١٧-١٦)

إلا أنهم يرون أن الطهارة والصلاة لا يكفران عنه ولا ينفعانه إلا إذا تاب ونوى عدم الرجوع "[١]. ولكنه إذا مات من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، إلا أنه لا يخلد في النار بل يدخله الله ليطهره من ذنوبه ثم يدخله الجنة طاهرا "[٢].

---

(١) التمهيد (٤/٤٤، ٤٥، ١٣٨، ١٤٠)، يقول الإمام ابن تيمية في معنى هذا الكلام: " فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وأن مصائب الدنيا تكفر، وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر، وأنه يغفر الذنوب جميعا، ويغفر ما دون الشرك وأن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل، ونحو ذلك، فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة" هـ.

انظر: مجموعة الرسائل والمسائل: (المجلد الأول: ص: ٣٤٣-٣٤٤).

(٢) فائدة: حول هذا المعنى يتحفنا الإمام ابن القيم - كعادته - بأسلوبه الشيق بتعليل غاية في البيان، رأيت أن اقتطف منه في هذا المقام لتعم الفائدة. يقول رحمة الله بعد ذكر الطيب الخالص وهو المؤمن، والخبيث الخالص وهو الكافر " وقد يكون في الشخص مادتان فأيهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله به خيرا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة طاهرا فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره بما يوفقه له من التوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذ لجوارة ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها فأسرعهم زوالا وتطهرا أسرعهم خروجا، وأبطؤهم أبطؤهم خروجا جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ".

انظر زاد المعاد (١/٦٨).

وهذا الكلام فيه رد على المعتزلة القائلين بوجوب الوعد والوعيد على الله ، فيقول أهل السنة: إن الوعد والوعيد لا يتحتم على الله فيهما ثواب ولا عقاب فهو حر في مشيئته وإرادته سبحانه ، فإن عذب به فَبِعَدْلِهِ وإن عفا فبفضله (١)

ولكننا لا نحكم لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار " إلا من ورد التوقيف بتنزيله وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على عاقبة أمره ، وإن الصلاة واجبة على من مات منهم وإن عمل الكبائر (٢)

وخلاصة القول في أهل الذنوب ، الكبائر منها والصغائر ، ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني " أن الله غفر لهم الكبائر بالتوبة ، وغفر لهم الصغائر بأجتناب الكبائر ، ومن لم يتب من الكبائر فأمره إلى الله ، والله يغفر ما دون الشرك لمن شاء من عباده ، وإذا عاقب المذنب بدخول جهنم أخرجه منها بسبب إيمانه وأدخله الجنة " (٣) .

---

(١) التمهيد (٦/١٢ - ١٤ - ١٢٨) .

(٢) أبو عمرو الداني ، الرسالة الوافية (ل : ٨ أ) .

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص ٢١)

قولهم في القـــدر :

يرى علماء السنة المغاربة أنه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام: " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره "(١) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، يقول الإمام ابن عبد البر: " وأهل السنة مجمعون على الإيمان بالقدر "(٢)، ومعنى الإيمان بالقدر هو أن تؤمن أن كل أمر من خير أو شر " قد قدره ربنا وأحصاه علمه وأن مقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، تفضل على من أطاعه فوفقه وحبب الإيمان إليه فيسره له وشرح له صدره فهداه ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ (سورة الكهف: ١٧) وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره لذلك وحجبه واضله ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (سورة الكهف: ١٧)(٣).

ويزيد الإمام ابن عبد البر توضيحا لمعنى القدر فيقول: " والقدر سر من أسرار الله لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال، وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (سورة فصلت: ٤٦)(٤).

---

(١) أخرجه البخارى في الإيمان (باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم) رقم ٥٠، الفتح (١/١١٤) وفي كتاب التفسير (باب: إن الله عنده علم الساعة) رقم: ٤٧٧٧، الفتح (٨/٥١٣).
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان) رقم: ١ (صحيح مسلم : ١/٣٦-٣٧).
والترمذى في كتاب الإيمان (باب ما جاء في وصف جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام) رقم: ٢٦١، السنن (٥/٦-٧) وأبو داود في السنة (باب في القدر) رقم: ٤٦٩٥، السنن (٤/٢٢٣-٢٢٤)
والنسائي في الإيمان (باب نعت الاسلام)، السنن (٨/٨٨-٩١).
(٢) انظر : التمهيد (٦/١٢).

وفي قوله: " لا يدرك بجدال " إشارة إلى نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في القدر بقوله: " اذا ذكر القدر فأمسكوا "(١) لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن موضوع القدر ليس مما يحل إشكاله بالجدال، فليس لنا إلا أن نسلم له ونؤمن به كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى.

وأما ابن أبي زمنين، فيورد لنا - كعادته - الآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع وهي كثيرة. والقدر عند ابن أبي زمنين " خيره وشره حلوه ومره من الله عز وجل وأنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع لقوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف: ٥٤)، وقوله: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) (سورة الأحزاب: ٣٨) وقوله سبحانه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (سورة القمر: ٤٩) وقوله عز وجل: (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) (سورة التوبة: ٥١) وغيرها من الآيات في هذا الشأن(٢) وعلماء المغرب يقولون إن للعبد فعلا وإرادة والله خلقه وخلق فعله وإرادته فالعبد إذاً لم يخلق أفعال نفسه كما يدعي القدرية أن الانسان حر في إرادته فهو الخالق لأفعاله بقدرة خلقها الله فيه قبل الفعل، رعلى خلاف

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: ١٠٤٤٨، انظر المعجم الكبير (١٠/١٩٨) بلفظ اذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، واذا ذكر القدر فأمسكوا).

وهو في مجمع الزوائد (٧/٢٠٢، ٢٢٣) وقال الهيثمي: وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حيان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: رقم ٣٤ (١/٤٢-٤٦) للشيخ الألباني وانتقاده للهيثمي في قوله: ورجاله رجال الصحيح، وحكم عليه أنه بمجموع طرقه يمكن أن يتقوى. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨)، وانظر فيض القدير (١/٣٤٧ - ٣٤٨) رقم: ٦١٥.

قال المناوي: أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالامساك عن الخوض فيه لأن من يبحث فيه لا يأمن أن يصير قدريا أو جبريا. فيض القدير (١/٣٥٨).

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ل: ١١)، والتمهيد (٣/٣٢٠) (٥/ ٨ - ١٠) ومواضع أخرى.

أيضا مع الجبرية [(١)] الذين يقولون بأن الإنسان مجبور على أفعاله فليس له خيار فيها ، بل حتى الكسب الذي يقول به الأشاعرة لا يوجد له أثر في كلامهم [(٢)]، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية وهو يقرر مذهب أهل السنة في القدر: " ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبورا ، إن المجبور من أكره على خلاف اختياره ، والله تعالى جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره " [(٣)] .

ويقول في موضع آخر " اعلم أن العبد فاعل على الحقيقة وله مشيئة ثابتة ، وله إرادة جازمة وقوة صالحة ، وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية كقوله تعالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٨-٢٩) وكما أنا فارقنا مجوس الأمة بإثبات أنه تعالى خالق ، فارقنا الجبرية بإثبات أن العبد فاعل صانع عامل " [(٤)]

---

(١) الجبرية: الجبر هو نفي الفعل عن العبد وإضافته الى الرب تعالى ، والجبرية أصناف: منهم من لا يثبت للعبد فعلا ولا قدرة أصلا ، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة أصلا .
انظر عنهم مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨) ، التبصير في الدين (١٠٧-١٠٨) .

(٢) انظر المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية (ص ٥٩) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٤) .

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩٣) .

كلامهم في الغيبيات :

وأما عن الغيبيات وما يتعلق بها من إيمان وتصديق فيرى علماء المغرب أنه يجب الإيمان والتصديق بكل ما جاء في ذلك في كتاب اللهوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنها واقعة لا محالة .

والمقصود بالغيبيات هنا كل ما غاب عنا ولم نعلم به إلا عن طريق النصوص، مثل الجنة والنار وعذاب القبر والحوض والصراط والحساب والميزان والشفاعة وما يتعلق بذلك كله ، والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يثبتان كل هذه الأمور ، فما علينا نحن المسلمين إلا أن نؤمن بها ونصدق كما أخبر بذلك القرآن والسنة ولا نناقش ولا نماري فيها ، لأننا لم نكلف بذلك ولم نؤمر به ، فالإيمان بهذه الأمور كلها معناه الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة فما أثبتاه أثبتناه وما نفياه نفيناه ، وأهل السنة مجمعون على الإيمان بها ، وإنما خالفهم في ذلك المبتدعة ، يقول ابن بطال وهو يتحدث عن أحاديث الشفاعة (1) " هذه الأحاديث دليل على إثبات شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته خلافا لمن أنكرها من المعتزلة والقدرية والخوارج - وهذا الحديث في غاية القوة والصحة تلقاه المسلمون بالقبول إلى أن حدث أهل العناد والرد لسنن الرسول صلى الله عليه وسلم " (2) .

---

(1) أحاديث الشفاعة كثيرة رواها أئمة الحديث فى مصنفاتهم ، انظر صحيح البخارى فى كتاب الدعوات (باب لكل نبي دعوة) ومسلم في الايمان (باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته والترمذى فى صفة القيامة (باب ماجاء فى الشفاعة)، وأبو داود فى السنة (باب فى الشفاعة)، وابن ماجه فى الزهد (باب ذكر الشفاعة). بألفاظ مختلفة منها قوله عليه الصلاة والسلام (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " .

(٢) شرح ابن بطال على صحيح الامام البخارى (الجزء الرابع لوحة ٣٤٦ب).

وفى الايمان بهذه الأمور على الحقيقة دليل لمن يرد على الفلاسفة[1] الذين ينكرون كثيرا منها ، ويقولون : ان الحديث عن النعيم المادى والعذاب المادى في القرآن والسنة ليس هو على الحقيقة وإنما هو لتشويق الناس في الجنة وتخويفهم من النار ، ليس هناك لا نعيم مادى ولا عذاب مادى ، إنما النعيم والعذاب معنويان .

كما أن الإيمان بهذه الأمور فيه دليل لمن يرد على الدهرية[2] الذين ينكرون وجود هذه الأمور أصلا وهم الذين حكى عنهم القرآن الكريم بقوله : (وَقَالُوا : مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) (سورة الجاثية : ٢٤) .

ومثلهم الملاحدة اليوم .

وفيه - أيضا - دليل لمن يرد على المعتزلة الذين ينكرون حقيقة هذه الأمور . فينكرون عذاب وضمة القبر ونصب الميزان والصراط وما ورد فيه متأولين ذلك كله لأنه يتنافى مع العقل الذى حكموه في كل شيء .

يبدأ الإمام ابن أبي زيد القيرواني حديثه عن الغيبيات بالحديث عن الجنة والنار وأنهما " قد خلقتا ، أعدت الجنة للمتقين والنار للكافرين ، لا تفنيان ولا تبيدان "[3] وهذا هو قول أهل السنة والجماعة بينما بعض المعتزلة كالجهم ابن صفوان أنهما يبيدان مع من يبيد مع أهلها .

---

(١) سيأتي الحديث عن الفلسفة ودخولها إلى المغرب ومقاومتها من قبل علمائه .

(٢) الدهرى : رجل ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .
انظر عنهم : تفسير الألوسى (٩ : ١٥٣) .

(٣) جامع ابن أبي زيد (ص ١١٠) .

ويؤكد الإمام ابن عبد البر على أنهما مخلوقتان موجودتان الآن وأنهما لا تبيدان[1].

وعقد الإمام ابن أبي زمنين بابا في الإيمان بأن الجنة والنار قد خلقتا، وبابا في الإيمان بأن الجنة والنار لا يفنيان، واستدل لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: في كون الجنة والنار قد خلقتا ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (سورة البقرة: ٣٥) وقوله تعالى ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ (سورة يس: ٢٦) وقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (سورة غافر: ٤٦)، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال له: **هذا مقعدك حتى يبعثك الله عليه يوم القيامة**"[2].

وإذا كانت الجنة والنار دائمتين لا تبيدان فإن النعيم والعذاب فيهما أيضا لا يبيدان ولا يفنيان، ولا يفنى أهلوهما، والأدلة على ذلك كثيرة أوردها الإمام ابن أبي زمنين منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٤) وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (سورة غافر: ٣٩) وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ (سورة الدخان: ٥٦) وقوله في المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (سورة النساء: ٥٧).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٦٩).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الجنائز (باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي) رقم: ١٣٧٩ الفتح (٣/٢٤٣)، وفي كتاب بدء الخلق (باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) رقم: ٣٢٤٠، الفتح (٦/٣١٧) وفي كتاب الرقاق (باب سكرات الموت) رقم: ٦٥١٥، الفتح (١١/٣٦٢).
وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) رقم: ٢٨٦٦، صحيح مسلم (٤/٢١٩٩).
وأخرجه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء في عذاب القبر) رقم: ١٠٧٢، السنن (٣/٣٨٣) والنسائي في الجنائز (باب وضع الجريدة على القبر) انظر السنن (٤/٨٧-٨٨).
وأخرجه الإمام أحمد في المسند في عدة مواضع (٢/١٦، ٥١، ١١٣، ١٢٣).

يقول الإمام ابن أبي زمنين بعد إيراد هذه النصوص: "لو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للاسلام ولكن ردد ذلك لتكون له الحجة البالغة"(١).

وهناك أدلة أخرى في الباب من السنة الشريفة يوردها لنا ابن أبي زمنين، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالموت يوم القيامة كبشا أقرن فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون طائعين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه. فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا هذا الموت فيأمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيها لا موت فيها أبدا"(٢)

وحول أمور الآخرة الأخرى يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في فتنة القبر ووقوعها لا محالة كما دلت على ذلك نصوص القرآن والسنة، "وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويبلون ويثبت الله من أحب تثبيته لقوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (سورة إبراهيم ٢٧).

---

(١) أصول السنة (ل: ٦٠ ب).

(٢) أنظر أصول السنة (ل: ٦٠ ب)
والحديث أخرجه البخارى في الرقاق (باب صفة الجنة) رقم: ٦٥٤٨، الفتح (١١/ ٤١٥) وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب النار يدخلها الجبارون) رقم: ٢٨٤٩، (٤/ ٢١٨٨) والترمذى في كتاب صفة الجنة (باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار) رقم: ٢٥٥٧، السنن (٤/ ٦٩١-٦٩٢) وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

قال : " وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون"(١) قال : " وإن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود التي كانت في الدنيا هي التي تشهد والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم"(٢) .

وقال في الميزان : " وتنصب الموازين لوزن الأعمال فأفلح من ثقلت موازينه وخاب وخسر من خفت موازينه ، ويؤتون صحائفهم ، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابا يسيرا ، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرا"(٣) .

ويمضي الإمام ابن أبي زيد القرواني في حديثه عن الأمور الغيبية فيقول عن الصراط (٤) " وأن الصراط جسر مورود يجوزه (أي يمر عليه) العباد بقدر أعمالهم ، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوثقتهم فيها أعمالهم " .

---

(١) انظر الجامع (ص ١١٢) ، وفيه اقتباس من قوله تعالى في سورة الزمر : الآية : ٦٨ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ) .

(٢) نفس المصدر (ص ١١٢) .

(٣) نفس المصدر (ص ١٦٢) .

(٤) الجامع (ص ١١٢-١١٣) ، وقد عرف العلماء الصراط بأنه " جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف " دل عليه الكتاب والسنة واتفقت عليه الكلمة في الجملة " الفواكه الدواني (١/ ٨٨) .

وعن الشفاعة (١) يقول : " وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ويخرج من النار بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم " من أمته بعد أن صاروا حمما (٢) فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة " (٣).

وتحدث عن الحوض فقال عنه : " والإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل " (٤).

وتناول الإمام ابن عبد البر هذه المسائل بالحديث جملة وتفصيلا مؤكدا حقيقتها وأنها واقعة لا محالة فقال : " وأما عذاب القبر والشفاعة والدجال والحوض فيجب التصديق بها كما هو مذهب أهل السنة وهي واقعة لا محالة " (٥).

---

(١) الشفاعة: لغة: الوسيلة، والطلب، وعرفا : طلب الخير للغير .

(٢) الحمم : الفحم، واحدته حممة، المعجم الوسيط (١/ ٢٠٠)، وفيه إشارة إلى الحديث الذى أخرجه البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ،أو قال : حمية السيل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية " .
الحديث أخرجه البخارى في الإيمان (باب تفاضل أهل الإيمان) رقم : ٢٢٠ ، الفتح (١/ ٧٢) .
وفي كتاب الرقاق " (باب صفة الجنة والنار) رقم: ٦٥٦٠ ،الفتح (١١/ ٤١٦ - ٤١٧) .

(٣) انظر الجامع لابن أبي زيد (ص ١١٣) .

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ١١٣) .

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩١) .

ويفيض الحديث في الحوض في مواضع عديدة من كتابه التمهيد [(١)] فيقول :

" الأحاديث في حوضه صلى الله عليه وسلم متواترة صحيحة ثابتة كثيرة ، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم ، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة " .

وقال أيضا : " والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى " ثم يورد جملة من الأحاديث في هذا الشأن مثل قوله صلى الله عليه وسلم " ليردن على الحوض أقوام إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك " [(٢)] وقوله : " وأنا فرطكم على الحوض ولأنازعن رجالا من أصحابي ولأغلبن عليهم ثم ليقالن لي : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك [(٣)] وغيرهما من الاحاديث

قال ابن عبد البر بعد ذكر هذه النصوص: " تواتر الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحوض حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه ، وكذلك الأثر في الشفاعة وعذاب القبر " [(٤)] .

---

(١) انظر على سبيل المثال (٢/ ٢٩١ ، ٣٠٩) .

(٢) سبق تخريجه ص .

(٣) راجع الهامش السابق .

(٤) التمهيد (٢/ ٢٩١ - ٣٠٩) كلها في ذكر الأحاديث في الحوض .

وعقد الإمام أبو عمرو الداني فصلا قال فيه: "ومن قولهم (أي أهل السنة): أن للرسول صلى الله عليه وسلم في المعاد حوضا شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، فيه من الآنية مثل عدد نجوم السماء يقع فيه ميزابان من الكوثر لا يظمأ من شرب منه من المؤمنين ويمنع منه من انحرف عن الدين وخالف السبيل المستقيم على ما صحت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم"(١).

وأما ابن أبي زمنين فقد عقد لكل مسألة من هذه المسائل بابا مستقلا. وأورد لكل مسألة أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال السلف - رضي الله عنهم -.

فقد عقد بابا في الإيمان بعذاب القبر قال فيه: "وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر لقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة التوبة: ١٠١) قال: "ومعنى سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم: أي عذاب جهنم، فسرها بذلك قتادة رحمه الله"(٢).

واستدل لذلك أيضا بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيذ من عذاب القبر، جاء ذلك عنه في عدة أحاديث، منها حديث اليهودية التي جاءت إلى عائشة - رضي الله عنها - تسألها، وفيه أنها قالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، وفي آخره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يتعوذوا من عذاب القبر"(٣).

---

(١) الرسالة الوافية (ل: ١٠ أ).

(٢) هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ولد سنة ٦٠، وكان مفسرا وفقيها وعالما بالشعر والأنساب وبتاريخ الجاهلية، كان تابعيا، وروى عن الصحابي أنس بن مالك وعن كثير من قدامي التابعين ومنهم الحسن البصرى، وتوفي سنة ١١٨.
مصادر ترجمته: المعارف لابن قتيبة (ص ٤٦٢)، الجرح والتعديل (١٣٣/٧ - ١٣٥) رقم: ٧٥٦ غاية النهاية (٢٥/٢ - ٢٦) رقم: ٢٦١١، تهذيب التهذيب (٣٥١/٨ - ٣٥٦) رقم: ٦٣٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧٤/٦) وأخرجه النسائي في الجنائز (باب التعوذ من عذاب القبر) انظر السنن (٨٥/٤)

ثم عقد بابا في الإيمان بالحوض قال فيه: " وأهل السنة يؤمنون بأن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضا أعطاه الله إياه من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، واستدل لذلك بأحاديث كثيرة منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - أنه قال: " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهورنا اذ إغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : نزلت علي آنفا سورة فقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (سورة الكوثر) ثم قال : هل تدرون ما الكوثر؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (١)

ثم عقد بابا في الإيمان بالميزان ، قال فيه: " وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة" ثم استدل لقولهم بقوله تعالى : (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) (سورة القارعه: ٧ ، ٨) وقوله سبحانه : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) (سورة الانبياء: ٤٧) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) رقم: ٤٠٠ ، (١/ ٣٠٠) .
وأخرجه أبو داود في السنة (باب في الحوض) رقم: ٤٧٤٧ ، السنن (٤/ ٢٣٧)
وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح (باب قراءة : بسم الله الرحمن الرحيم) السنن (٢/ ١٠٣) .

وبقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - حين ضحك الصحابة من دقة ساقيه، فقال عليه السلام: "والذى نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد[(١)]" . وغيره من الأحاديث في إثبات الميزان .

وهذا القول هو قول السلف - رضي الله عنهم - وقد حكاه ابن أبي زمنين عن زهير بن عباد[(٢)] أنه قال : "كل من أدركت من المشايخ مالك وسفيان[(٣)] وفضيل[(٤)] وعيسى بن يونس[(٥)] وابن المبارك[(٦)] ووكيع بن الجراح[(٧)] كانوا يقولون : الميزان حق"[(٨)]

ثم عقد بابا في الإيمان بالصراط قال فيه: "وأهل السنة يؤمنون بالصراط وأن الناس يمرون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم، واستدل لذلك بأحاديث كثيرة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - الذى تقول فيه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) (سورة إبراهيم: ٤٨). أين يكون الناس يومئذ ؟

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٤)، وفي فضائل الصحابة (٢/ ٨٤٤) رقم الحديث : ١٥٥٢ - والطبراني في الكبير (٩/ ٩٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣١٧) وصحح إسناده ووافقه الذهبي والفسوى في تاريخه (٢/ ٥٤٦).

(٢) هو زهير بن عباد بن مليح بن زهير الرواسي الكوفي ، أصله كوفي وحدث بمصر ودمشق ، أخذ عن مالك وسفيان ابن عيينه وابن المبارك وغيرهم، كان ثقة، توفي سنة ٢٣٨ .
مصادر ترجمته: ميزان الاعتدال (٢/ ٨٣) رقم: ٢٩١٤ - تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٤-٣٤٥) رقم: ٦٣٩ .

(٣) هو سفيان ابن عيينة - مرت ترجمته .

(٤) هو الفضيل بن عياض - مرت ترجمته .

(٥) مرت ترجمته .

(٦) مرت ترجمته .

(٧) مرت ترجمته .

(٨) أصول السنة : (٨٠ ب) .

فقال عليه الصلاة والسلام : على الصراط"[١] وغيره من الأحاديث في هذه المسألة.

ثم عقد بابا في الإيمان بالشفاعة قال فيه : " وأهل السنة يؤمنون بالشفاعة، واستدل لذلك بقوله تعالى : (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (سورة الإسراء: ٧٩) وقوله عليه الصلاة والسلام: " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[٢] وغيرها من الأدلة عن المسألة .

وكذلك كان قولهم في جميع المسائل التي تتصل بالآخرة كالنفخ في الصور، ونزول المسيح عليه السلام وظهور الدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، كما دلت على ذلك كله نصوص الكتاب والسنة ، وهي أمور سابقة لليوم الآخر ومايتعلق به ، بل هي أمارات وعلامات له ،ولكنها أيضا من الغيب الذى حجب عنا فلم نعلمه الا من طريق السمع .

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحوالهم (باب في البعث والنشور ..) رقم: ٢٧٩٠ ، صحيح مسلم (٤/ ٢١٥٠) وأخرجه الترمذى في التفسير (باب : ومن سورة الزمر) رقم: ٣٢٤٢ ، السنن (٥/ ٣٧٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .
وابن ماجه في الزهد (باب ذكر البعث) رقم: ٤٢٧٨ ، السنن (٢/ ١٤٣٠)
والإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٥، ١٠١، ١٣٤، ٢١٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في السنة (باب في الشفاعة) رقم : ٤٧٣٩ ، السنن (٤/ ٢٣٦) وأخرجه الترمذى في صفة القيامة (باب ما جاء في الشفاعة) رقم: ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦ ، السنن (٤/ ٦٢٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
وابن ماجه في الزهد (باب ذكر الشفاعة) رقم : ٤٣١٠ ، السنن (٢/ ١٤٤١)
وأحمد في المسند (٣/ ٢١٣) .

كلامهم في الصحابـــة :

هذه المسألة - كما ذكرت [1] - لم تكن داخلة ضمن اهتمام علماء السلف، ولم يثــر جدال حول من أحق بالخلافة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أيهم أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والذى ألجأهم إلى إثارة الحديث عنهم وحطهم عليه هم المبتدعة الذين ابتليت بهم الأمة حين أثاروا مسائل سكت عنها السلف .

وعلى غــرار المشرق فإن هذه المسألة كانت نائمة في المغرب حتى جـــاء الخوارج والشيعة فأثاروها وجادلوا حولها، وخاضوا فيها، وطعنوا في أئمة الهـــدى وشككوا العامة فيهم، فلم يكن بد من قيام أهل السنة لرد هذا العدوان السافر، ورد الناس إلى الإسلام الصحيح والاعتقاد الحق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلـم .

والإمامة عند أهل السنة ليست أصلا من أصول الدين كما هي عند الشيعة، إذ يجعلونها المحور الذى تدور حوله جميع عناصر الدين، وإنما هي من المصالح الدنيوية التي يجب العناية بها لاقامة الحدود والجهاد، والدفاع عن بيضة الإسلام يقول الإمـام الغزالي [2] - رحمه الله - " الدين أصل والإمام حارس وما لا أصل له فمهدوم، ومـــا لا حارس له فضائـــــع " [3]

---

(١) راجع (ص ١٥٤).

(٢) مرت ترجمتـــه .

(٣) هو قول حفظته من مدة وغاب عني مرجعه .

فالإمام عند أهل السنة حارس للشريعة مطبق لها ، وهو فرد كسائر أفراد الأمة ليس له قدسية ولا عصمة كما هو عند الشيعة، ويجب طاعته فيما أطاع الله فيه ، لقول الله تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (سورة النساء ٥٩) ، حيث لم يفردهم بالطاعة ، بل جعل طاعتهم تابعة لطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أن طاعتهم إنما تجب فيما فيه طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا فيما فيه معصية " (١) .

والإمام عند أهل السنة له شروط يجب أن تتوفر فيه ، حتى يكون أهلا لقيادة الأمة وهذه الشروط هي .

الإسلام والعلم والعدالة والكفاية (أى أن يكون شجاعا جريئا على إقامة الحدود واقتحام الحروب ، بصيرا بذلك) ، والقرشية كما دلت عليه نصوص السنة (٢) وهي كثيرة بخلاف قول الخوارج الذين لا يشترطون ذلك (أى القرشية) .

ومن الشروط أيضا : الذكورية ، والحرية ، والبلوغ .

فإذا توفرت هذه الشروط في أى شخص كان حقيقا على الأمة أن تختاره إماما عليها .

---

(١) ابن جماعة الحموى (ت ٧٣٣) في " مختصر في فضل الجهاد " ط: وزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٨٣ .
تحقيق : اسامة النقشبندى (ص ١٠٤) .

(٢) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " الأئمة في قريش) " .
وقوله عليه الصلاة والسلام : " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان "
أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (باب الناس تبع لقريش)
صحيح مسلم (١٤٥٢/٣) .
وأحمد في المسند (٣٥/٧) ط المعارف .

وأفضل الصحابة عند أهل السنة المغاربة، الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر من المهاجرين ثم من الأنصار من جميع أصحابه على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة (١) .

وعقد الإمام ابن أبي زمنين بابا في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، قال فيه " ومن قول أهل السنة: إن أفضل هذه الأمة بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، أبو بكر وعمر وأفضل الناس بعدهما : عثمان وعلى (٢) .

وقال أبو عمرو الداني " وأفضل المهاجرين العشرة المعدون للجنة، وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الأربعة " (٣) .

ويجب الكف عن ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء بل يجب أن تنشر محاسنهم ويلتمس لهم أحسن المخارج وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام وموضعهم من الدين (٤) .

---

(١) رسالة ابن أبي زيد (ص ٨٠) الجامع (ص ١١٥) .

(٢) أصول السنة (ل : ١٧ ب) .

(٣) الرسالة الوافية (ل : ١٣ ب)

(٤) رسالة ابن أبي زيد (٨٠) الجامع (١١٥) .

وعقد الامام أبو عمرو الداني فصلا في إحسان القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر فضائلهم ونشر محاسنهم والإمساك عما سوى ذلك مما شجر بينهم لقوله عليه الصلاة والسلام: " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا "(١) قال أبو عمرو الداني : " يعني إذا ذكروا بغير الجميل "(٢) ولقوله عليه الصلاة والسلام : " الله الله في أصحابي "(٣) .

هذه جملة المسائل التي تناولها علماء السنة المغاربة بالحديث في مصنفاتهم ننتقل بعدها للحديث عن المقاومة السنية للبدعة وأهلها .

والله الموفق .

---

(١) سبق تخريج الحديث، وفي معنى الحديث يقول العلامة المناوى في فيض القدير (٣٤٧/١) :
(إذا ذكر أصحابي) بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات (فأمسكوا) وجوبا عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق فإنهم خير الأمة وخير القرون ولما جرى بينهم محامل " .

(٢) الرسالة الوافية (ل : ١٣ أ) .

(٣) وتمامه : " لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه " .
أخرجه ان حبان في موارد الظمآن رقم : ٢٢٨٤، (ص ٥٦٨ - ٥٦٩)، والترمذى في المناقب (باب فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) رقم : ٣٨٦٣، السنن (٦٩٦/٥) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وأحمد في المسند (٨٧/٤) .

الباب الثالث
مقاومة علماء المغرب للانحرافات العقدية

الفصل الأول : مقاومتهم لعلم الكلام
الفصل الثاني : مقاومة علماء السنة للتشيع
الفصل الثالث : مقاومتهم للفكر الخارجي
الفصل الرابع : مقاومتهم للتصوف
الفصل الخامس : مقاومتهم للفلسفة

الفصل الأول
مقاومتهم لعلم الكلام

أولا : مقاومة الاعتزال :

المبحث الاول : دخول الفكر الاعتزالى الى المغرب

المبحث الثانى : المقاومة

ثانيا : مقاومتهم للأشعرية :

المبحث الاول : دخول الأشعرية الى المغرب

المبحث الثانى : المقاومة

ثالثا : مقاومتهم للفكر الأرجائى

المبحث الأول : دخول الفكر الإعتزالي إلى المغرب وانتشاره به :

(١)
قبل الحديث عن جهود علماء المغرب في مقاومة الاعتزال والمعتزلة ومقاومة علم الكلام عموما ، يجدر بي أن أشير إلى الأسباب التي مهدت لدخوله الى المغرب

---

(١) اختلف الناس في أصل تسمية المعتزلة بهذا الاسم إلى ثلاثة مذاهب :
الأول : يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة وأن مذهبهم هو المذهب الحق ، وهو قول المعتزله حيث يقول عبد الجبار : " وهذا المذهب - أي مذهب المعتزلة - هو الذي أنزل الله تعالى به الكتاب وأرسل به الرسل وجاء به جبريل عليه السلام " وهي دعوى باطلة لا دليل عليها .
انظر : فضل الاعتزال (ص ٢١٣) .
المذهب الثاني : يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة ٤٠ عندما تنازل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لمعاوية - رضي الله عنه - وفي ذلك يقول الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٣٦) : " وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر . اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك المعتزلة " .
والاعتزال هنا إنما هو من ناحية اللغة فقط . أما من ناحية الاعتقاد والفكر ، فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم على غيرهم .
المذهب الثالث : وهو مذهب جمهور مؤرخي الفرق ، الذين يرون أن البداية الحقيقية لظهور فرقة المعتزلة كانت على عهد واصل ابن عطاء المؤسس الأول لفرقتهم ، والسبب في ظهورهم أن رجلا دخل على الحسن البصري " فقال : يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقادا ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل ابن عطاء : أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل إلى

والطرق التى سلكها ، حتى نعطى صورة صادقة عن الجانب العقدى فى هذا الجزء من العالم الإسلامى ، والصراع الذى لم يتوقف بين أهل السنة من جهة والمبتدعة - على اختلافهم - من جهة ثانية ، وقد كنت أشرت غير مرة إلى أن علم الكلام لم يكن مرغوبا فيه فى المغرب وكان رجاله منبوذين من قبل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة . ولم يجد علم الكلام له نشاطا واسعا فى المغرب ولم يلق من التشجيع وكثرة الأنصار ما لقيه فى المشرق . وما من شك أن المذهب المالكى وهو صاحب السيادة المذهبية فى هذا الجزء من العالم الإسلامى لعب دورا فى فرض نفوذه ومحاربة أى مذهب أو فكر دينى آخر .

إلا أن هذا لا يعنى أن المغرب كان خاليا تماما من هذا النوع من الفكر بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم الكلام فقد وجد له أنصار ، وفى ذلك يقول الإمام ابن حزم : " وأما علم الكلام فإن بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقَلَّ لذلك تصرفهم فى هذا الباب ، فهى على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال ، نظار فى أصول الدين ولهم فيه تآليف " (١) ثم ذكر جملة منهم يأتى ذكرهم فى سياق الحديث .

ولقد كانت المعتزلة أقدم الفرق دخولا إلى المغرب وأكثرها تاثيرا فيه . ولكن الذى يلاحظ بادئ ذى بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة وفكرها ، نادرة جدا ، فما هى إلا اشارات عابرة لا تكاد تفى بالمقصود وتراجم رجالها أيضا نادرة .

= اسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن . فقال الحسن البصرى : اعتزل عنا واصل ، فسمى هو وأصحابه معتزلة " .

انظر السهرستانى فى الملل والنحل (١/٤٧-٤٨) ، والفرق بين الفرق (ص ١١٨)

(١) رسائل ابن حزم (١٨٦/٢) .

ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبتدعة من العلماء. ولا يعدون خلافهم خلافا، ولذلك أسقطوهم من طبقاتهم التى ألفوها فى الرجال. وهو نوع من أنواع المقاومة لفكرهم، على الرغم من أن كثيرا منهم كان لهم بروز فى فنون أخرى من العلوم كالفقه واللغة، ولكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم. وقد تقدم نقل كلام ابن عبد البر فى هذا المعنى وهو قوله: " أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وأهواء وزيغ ولا يعدون عند الجميع فى جميع الأمصار فى طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ". (١)

ويقول فى موضع آخر: " وليسوا عند أحد من أهل العلم ممن يعرج على قولهم ولا يعدون خلافهم خلافا ". (٢)

ولكن رغم ذلك كله، فإن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب والأسباب التى ساعدت على انتشاره به والصراع الذى نشب بين علماء السنة من جهة ورجال الاعتزال من جهة ثانية.

ويمكننا أن نقسم الأسباب التى ساعدت على دخول الاعتزال إلى المغرب إلى أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، وأقصد بالأسباب المباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به. وتذكر المصادر بهذا الصدد أن واصل بن عطاء (ت ١٣١) (٣) رأس المعتزلة وأحد مؤسسى

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

(٢) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٤) نقلا عن الاستذكار (٥/ ٤٩٤).

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، ولد فى المدينة المنورة سنة ٨٠ وعاش فى البصرة حيث كان يحضر دروس الحسن البصرى، كان متكلما بليغا، ويعد مؤسس مدرسة الاعتزال. وسمى أصحابه معتزلة لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصرى لاختلافه معهم فى حكم مرتكب الكبيرة. حيث يجعله المعتزلة فى " منزلة بين المنزلتين " توفى سنة ١٣١.

مذهبهم ، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث (١) إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب .

وكانت عادة مؤسسى المذاهب إرسال دعاتهم إلى البلاد المختلفة للدعوة لمذاهبهم ونشرها فى الناس ، فكان عبد الله بن الحارث من نصيب المغرب. (٢) وقد تمكن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته وامتد تأثيره حتى بلغ مساحات واسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموى (٣) يذكر أن " مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تاهرت (٤) وكان عددهم نحو الثلاثين ألفا فى بيوت كبيوت الأعراب يحملونها " (٥)

ولعل السبب فى سرعة انتشار الاعتزال فى تلك القبائل أن أهلها كان عندهم استعداد زائد لتقبل أى دعوة جديدة ، ففى هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البرغواطية " (٦) فوجد ابن الحارث فى هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبه .

= مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٦/٧-١١) رقم: ٧٦٨ ، سير أعلام النبلاء (٥/٤٦٤ - ٤٦٥) رقم: ٢١٠ ، النجوم الزاهرة (١/٣١٣-٣١٤) ، شذرات الذهب (١/١٨٢) .

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أحمد أمين : فجر الاسلام (ص ٣٥٠) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تاهرت : بفتح الهاء وسكون الراء . اسم لمدينة تقع غرب الجزائر ، كانت قديما تسمى عراق المغرب وتشتهر ببردها حتى قال الشاعر فيها :

نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

وتشتهر بفواكهها الكثيرة.

انظر عنها : معجم البلدان (٢/٧-٩) .

(٥) معجم البلدان (٢/٧-٩)

(٦) الديانة البرغواطية : نسبة إلى برغواطة وهى أخلاط من قبائل شتى من البربر =

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزال إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة. وهى كثيرة ، ولولاها ما كان لهذا المذهب أن يكتب له الانتشار ولا ذلك التأثير الكبير.

وتتمثل هذه الأسباب فى وفود بعض الأقوام من الشام ومن العراق ممن يدينون بالفكر الاعتزالى خصوصا مع الولاة ،فى أوقات مختلفة ،واحتلالهم الوظائف الادارية والعسكرية ،فكان لهم بذلك دور كبير فى التمكين للاعتزال بالمغرب . (١)

ومنها أيضا تمذهب معظم الأمراء الأغالبة (٢) بالاعتزال. ولا شك أنهم كانوا فى ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بنى العباس أمثال المأمون (٣)

= اجتمعوا إلى صالح بن طريف بقرية بالريف حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك واصله يهودى من برباطة (حصن من عمل شذونة بالأندلس) مشعوذ نزل بين أولئك البربر وقد ساد فيهم الجهل فأظهر الإسلام والزهد والصلاح فخدعوا به حتى اعترفوا له بالولاية فقدموه على أنفسهم فشرع لهم ما هو شبيه بالمجوسية كنكاح بعض ذوات المحارم وغَيَّرَ العبادات الإسلامية وحرم عليهم أكل الرأس من الحيوان. فيقال لمن اتبعه ودخل فى ديانته برباطى فعربته العرب فقالوا : برغاطى وبرغواطة.

انظر عن هذه الديانة (البيان المغرب) (١/٥٧) ، دائرة المعارف الاسلامية (٣/٥١٦) .

(١) عبد العزيز المجذوب : الصراع المذهبى بإفريقية الى قيام الدولة الزيرية (ص٩٣)

(٢) بنو الأغلب : أسرة غلبت على إفريقية (تونس) طوال القرن التاسع الميلادى أسسها إبراهيم بن الأغلب وكان اذ ذاك عاملا على الزاب .
انظر : دائرة المعارف الإسلامية (٢/٣٢٦ - ٣٢٩) .

(٣) هو الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور المأمون ولد سنة ١٧٠ وقرأ العلم والأخبار وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم ودعا إلى القول بخلق القرآن. بويع بالخلافة سنة ١٩٨ بعد مقتل أخيه الأمين ، توفى سنة ٢١٨ وله ثمان وأربعون سنة .
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (ص٣٨٧) والنجوم الزاهرة (٢/٢٢٥) تاريخ بغداد (١٠/١٨٣- ١٩٢) رقم : ٥٣٣٠ سير أعلام النبلاء (١٠/٢٧٢-٢٩٠) رقم : ٧٢ .

والمعتصم (١) والواثق (٢) كما هو معروف .

ومن الأسباب غير المباشرة - أيضا - رجوع بعض من رحل من المغرب من رحلتهم المشرقية بعد أن تشبعوا بأفكار المعتزلة التى درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون فى المشرق . وكان لهؤلاء دور كبير وأثر عميق فى نشر آراء المعتزلة ومعتقداتهم ، أمثال سليمان بن أبى عصفور المعروف بالفراء (٣) أحد الفقهاء

---

(١) هو الخليفة المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى ، ولد سنة ١٨٠ ، وأمه ماردة أم ولد ، روى عن أبيه وأخيه المأمون يسيرا ، كان ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة . وهو الذى امتحن الناس فى مسألة خلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار وفى عهده امتحن الإمام أحمد إمام السنة - رحمه الله - توفى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر ، ودفن بمدينة " سُرَّ مَنْ رَأَى " .

مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (ص ٣٩٢) . تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢ - ٣٤٧) رقم : ١٤٥١ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠ - ٣٠٦) رقم : ٧٣ .

(٢) هو الخليفة الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور العباسى ، أمه رومية تدعى " قراطيس " ولد سنة ١٩٠ وولى الأمر سنة ٢٢٧ وتوفى سنة ٢٣٢ ، وكانت خلافته خمس سنين ونصف السنة .

مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١٤/ ١٥ - ٢١) رقم : ٧٣٥٠ . الكامل فى التاريخ (٦/ ٥٢٨) . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦ - ٣١٤) رقم : ٧٤

(٣) هو سليمان بن حفص بن أبى عصفور الإفريقى . كان معتزليا ، يقول بخلق القرآن توفى سنة ٢٦٩ .

مصادر ترجمته : طبقات الخشنى (ص ٢١٩) . وانظر ايضا كتاب البيان المغرب (١/ ١١٩) . الكامل لابن الاثير (٧/ ٣٩٨) ط بيروت ١٩٦٥ .

الأحناف فى العهد الأغلبى ، رحل إلى العراق ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التى تلقاها عن أئمة الاعتزال بالمشرق أمثال : بشر المريسى (١) وأبى الهذيل (٢) وغيرهما ، عبر التأليف. حيث كان قد ألف عدة مؤلفات فى الجانب العقدى على طريقة المعتزلة مثل : أعلام النبوة وعدة كتب فى خلق القرآن ، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل والمناظرة وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن ، ويَعْتَبِرُ يُحى بن عونٍ سليمان بنَ عَصْفُورٍ ، قام بنفس الدور الذى قام به بشر المريسى فى المشرق حيث نشر البدعة فى كل مدينة من مدن المغرب وكل زاوية من زواياه وأصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان .

وهناك فقيه حنفى آخر ، هو عبد الله بن الأشج ـ لم يذكر المؤرخون سنة وفاته (٣) ، رحل إلى العراق ثم عاد إلى القيروان ليساهم فى نشر الفكر الاعتزالى . وكان من أهل المناظرة والجدل ، وعند عودته سأل : فيم يتكلم أهل القيروان ؟ فقيل له : فى الأسماء والصفات. فقال : إنما تركت الناس بالعراق يتكلمون فى مسألتين : مسألة القدر ومسألة الوعد والوعيد . (٤)

وكان أول من أدخل الاعتزال إلى الأندلس ـ كما تذكر المصادر ـ طبيب

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى . المعروف بالعلاف. متكلم من شيوخ البصريين فى الاعتزال ، ولد بالبصرة وورد بغداد . ورد على المجوس واليهود والملحدين وغيرهم. وعمى وخرف فى آخر عمره توفى سنة ٢٣٥ . وكانت ولادته سنة ١٣١ وقيل ١٣٤ .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٣/٣٦٦ - ٣٧٠) رقم : ١٤٨٢ ، وفيات الأعيان (٤/٢٦٥ - ٢٦٦) رقم: ٦٠٦ شذرات الذهب (٢/٨٥) .

(٣) ترجمته فى طبقات الخشنى (ص ٢٢٠) .

(٤) ن - م (ص ٢٢٠) .

أديب قرطبى - لم تذكر اسمه - رحل إلى المشرق فى القرن الثالث الهجرى وحضر مجالس الدرس فى العراق وعاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ. (١)

ومن رحل إلى المشرق - أيضا - وعاد بكتب الاعتزال الى المغرب، فرج بن سلام القرطبى (٢) الذى لقى فى رحلته أبا عثمان الجاحظ (٣) وأخذ عنه كتابه (البيان والتبيين) وغيره من كتبه وأدخلها إلى الأندلس رواية عنه. وفى ذلك يقول ابن الفرضى " دخل العراق فلقى عمرو بن بحر الجاحظ وأخذ منه كتاب (البيان والتبيين) وغير ذلك من مكتوباته وادخلها الاندلس رواية عنه " (٤)

وقد عد (أسين بلاسيوس) فى بحثه عن ابن مسرة (٥) بالاسبانية الذى نشره بمدريد. فرج بن سلام هذا من أوائل من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى المغرب بفضل جهوده فى إدخال كتب الجاحظ ونشرها فى هذه البلاد. (٦)

ومن رحل إلى المشرق من رجال الاعتزال - أيضا - وكان له دور كبير فى بث تعاليمهم بالمغرب خليل بن عبد الملك بن كليب (٧) المعروف بخليل

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسى لجنثالث ترجمة حسين مؤنس (ص ٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٢) هو أبو بكر فرج بن سلام كان معتنيا بالأخبار والاشعار والأدب وكان يطبب، رحل إلى المشرق ودخل العراق فلقى الجاحظ وأخذ منه .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (١/٣٥٠) رقم: ١٠٣٧ ،
وانظر: التعليق رقم ٣٣٣ من ص ٥٣٧ من كتاب المقتبس لابن حيان .

(٣) ترجمته .

(٤) تاريخ علماء الأندلس (١/٣٥٠)

(٥) انظر ترجمته ص: ٥٧٠ .

(٦) انظر: المقتبس (ص ٥٣٧) التعليق رقم (٣٣٣) .

(٧) هو خليل بن عبد الملك بن كليب. المعروف بخليل الغفلة . من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وكان يعلن بالاستطاعة. وكان فى بدء أمره صديقا لمحمد

الغفلة أو (الفضلة) وهو من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق وبعد عودته إلى الأندلس أعلن مذهبه الاعتزالي ودخل في صراع ومواجهة مع أئمة المغرب السنيين - وسيأتي ذكره في المقاومة - (١)

وهناك سبب آخر مهم من الاسباب غير المباشرة، وهو أن العالم الإسلامي كان يتميز بوحدة ثقافية ، فما يقع في المشرق يجد له صدى في المغرب وكذلك ما يقع في المغرب يجد له صدى في المشرق ولكن بدرجة أقل .

يقول ماهر حمادة : " كانت للبلاد الإسلامية وحدة ثقافية رغم التجزئة السياسية التي أصابتها وجعلت منها عددا من الدويلات الهزيلة المنقسمة وكانت الأفكار والكتب والبضائع والاشخاص تنتقل بحرية تامة. والأغلب أن انتقال الكتب كان يتم من المشرق إلى المغرب حيث إن الشرق كان في عصوره الأولى على الأقل متقدما على المغرب في التأليف" . (٢) ومن هنا فلا يعقل أن يكون المشرق الإسلامي يعج بهذه الآراء والمعتقدات والمذاهب دون أن يكون للمغرب فيها نصيب.

هذه هي الأسباب التي رأيت أنها كانت أساسية في نقل الاعتزال إلى المغرب وانتشاره به. ونتيجة لذلك فقد تأثر بهذا المذهب - قليلا أو كثيرا - عدد كبير من رجال المغرب ، كانت لهم مساهمة فيما بعد في الحياة العلمية في المغرب و مشاركة في الصراع ضد أهل السنة الذين قاوموهم بكل الوسائل المتاحة لهم - كما يأتي ذكره في موضعه - .

= بن وضاح ثم لما تبين له أمره هجره .

مصادر ترجمته : تاريخ علماء الاندلس (١/١٣٩ - ١٤٠) رقم: ٤١٩ .

(١) تاريخ ابن الفرضي (١/١٤٠) .

(٢) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (ص ٢٠٠) .

رجال المغرب الذين تأثروا بالاعتزال :-

لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالآراء الاعتزالية و تمذهبوا بمذهبهم - كما تقدم - فكانوا هدفا لمقاومة أهل السنة ، حيث لم يتركوا وسيلة تمكنهم من القضاء على الاعتزال إلا استعملوها .

لقد كان ابن أبى الجواد (١) ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب وكان مذهبه مذهبهم. وكذلك الحال بالنسبة لأبى إسحاق المعروف بالعمشاء (٢) الذى كان من أعلام رجالهم ، وكان يذهب إلى القول بخلق القرآن و يناظر فيه المناظرة الشديدة (٣) و من أكثر رجالهم تصرفا فى الكلام و الجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر (٤) الذى كان يقول بخلق القرآن و يناظر فيه . (٥)
و رجل آخر يدعى محمد الكلاعى (٦) كان - أيضا - من أهل المناظرة و الجدل على مذهب المعتزلة. وكان يظهر القول بخلق القرآن ولايتخفى ولايدارى بل يتحدى وقد ألف فيه كتابا يناقض فيه على ابن الحداد - كما سيأتي في المقاومة - .

---

(١) انظر عن ترجمته : طبقات الخشنى (ص ٢٢٧ - ٢٣٦) .
(٢) كان من أعلام رجال المعتزلة فى الكلام ، عرف بالعمشاء لأنه أعمش العينين وكان له أصحاب و أحزاب يجالسونه و يختلفون إليه وكان يحسن الفرائض و صحب ابن عبدون . ولم تذكر المصادر سنة وفاته .
مصادر ترجمته : طبقات الخشنى (ص ٢٢١) .
(٣) نفس المصدر (ص ٢٢١) .
(٤) كان من أهل الرسوخ فى علم الطب ، وكان شاعرا وكان أديبا ، أبتلى فى آخر أيامه بمرض الجذام فاحتجب أياما فى بيته ثم مات .
مصادر ترجمته : طبقات الخشنى (ص ٢٢١) .
(٥) نفس المصدر (ص ٢٢١) .
(٦) انظر ترجمته : فى طبقات الخشنى (ص ٢٢١) .

ومنهم محمد المعروف بالهسحى (١) الذى كان فى مقدمتهم فى المناظرة فى خلق القرآن ، وكان المعتزلة يفضدونه. خرج إلى الحج فمات فى الطريق (٢)

ومنهم رجل يدعى ابن أبى روح ويلقب بالبغلة (٣) كان معنيا بالجدل فى خلق القرآن وفى الأسماء والصفات.

ومنهم عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (ت ٢٦١ أو ٦٢) (٤) فقد كان على جلالة قدره وعلمه قد طالع كتب المعتزلة ونظر فى كلام المتكلمين ، وكان يذهب إلى أن الأرواح تموت، وكان ينسب إلى القدر.

ومنهم - أيضا - محمد بن الأسود الصدينى (٥) الذى كان على مذهب المعتزلة، وتبوأ منصب القضاء فى الدولة الاغلبية وعسف وظلم. وصفه القاضى عياض بأنه : "كان خبيثا معتزليا" (٦) وقد امتحن عددا من علماء السنة - كما يأتى -

ومنهم عبد الله بن مسرة (ت ٢٨٦) (٧) فقد كان متأثرا بالاعتزال ، وكان متهما بالقدر.

---

(١) انظر عنه : طبقات الخشنى (ص ٢٢٢) .

(٢) نفس المصدر (ص ٢٢٢) .

(٣) طبقات الخشنى (ص ٢٢٢) .

(٤) هو أبو وهب عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى مولى قريش من أهل قرطبة سمع من يحي بن يحي ورحل إلى المشرق فسمع من مطرف بن عبد الله المدني وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج . وبتونس من سحنون وأخذ عنه محمد بن وضاح وغيره. كان رجلا عاقلا حافظا للرأى مشاركا فى النحو واللغة وكان زاهدا ، ولم تكن له معرفة بالحديث توفى سنة ٢٦١ أو ٢٦٢ .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى (٢٨٠ - ٢٨٢) رقم : ٨٣٧

(٥) ترتيب المدارك (١ / ٧٠ - ٧١) .

(٦) المصدر نفسه

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وسمع بالبصرة من عدد كبير من العلماء. توفى سنة ٢٨٦ وهو والد محمد بن مسرة الفيلسوف الشهير.
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الاندلس (١ / ٢١٧ - ٢١٨) رقم ٦٥٢

ومنهم يحى بن يحي (ت ٣١٥) (١) المعروف بابن السمينة. وهو تلميذ خليل بن عبد الملك بن كليب - سبق ذكره - فقد كان هو الآخر من رجال الاعتزال بصيرا بالاحتجاج والكلام، يذهب مذاهب المتكلمين، وكان يقول بالاستطاعة ويعلن بذلك. وقد أخذ القول بالاستطاعة - كما يقول ابن الفرضي - عن شيخه عبد الملك بن كليب . (٢)

ومن تأثر بآراء المعتزلة وغيرها من الآراء المنحرفة عن السنة، وكان له سهم فى جميعها. حتى أصبح له مذهب مستقل ينسب إليه. وتلاميذ ومريدون يأخذون عنه وينتمون إليه وينشرون أفكاره محمد بن عبد الله بن مسرة (٣) - وسيأتى الحديث عنه يتوسع فى فصل التصوف، لكنى أذكر هنا ما يتعلق بآرائه الاعتزالية التى عرف بها، فقد كان خرج إلى المشرق واشتغل بلقاء أهل الجدل وأصحاب الكلام من المعتزلة. ومن آرائه التى كان يقول بها والتى تدل على تأثره بالفكر الاعتزالى قوله بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد والقدر. يقول ابن حزم " وكان محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح الأندلسى يوافق المعتزلة فى القدر " . (٤)

وكان يقول: "إن علم الله وقدرته صفتان مخلوقتان، وكان يقول: إن لله تعالى علمين :-

أحدهما : علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه تعالى أنه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزاء ونحو ذلك.

---

(١) هو أبو بكر يحى بن يحى المعروف بابن السمينة رحل إلى المشرق، وتوفى سنة ٣١٥ .

مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/١٨٨) رقم: ١٥٨٠ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس (٢/١٨٨) .

(٣) تأتى ترجمته فى مقاومة التصوف .

(٤) الفصل لابن حزم . (٤/١٩٨) .

والثانى : علم الجزئيات. وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمر ونحو ذلك.
فإنه - تعالى - لا يعلم من ذلك شيئا حتى يكون [١] - تعالى الله عما يقول هذا الأفك علوا كبيرا.

ومن رجالهم - أيضا رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله (ت ٣٦٩) [٢] فقد كان بصيرا بالحجاج وكان ينسب إلى الاعتزال.
وعبد الوهاب بن منذر القرطبى (ت ٤٣٦) [٣] الذى اتهم - هو الآخر - بالاعتزال وتركه الناس من أجل ذلك، وكان قد ألف كتابا فى القدر والقرآن على مذهب المعتزلة. [٤]

ومن كان على مذهب المعتزلة من أهل الأندلس بل من شيوخهم - كما يذكر ذلك ابن حزم: موسى بن حُدير [٥] صاحب السكة، يقول فى بعض رسائله

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل . (٤/١٩٨) .
(٢) هو أبو عمر أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، يعرف بابن صلى الله. من أهل قرطبة كان ذكيا حافظا للفقه عالما بالاختلاف. يميل إلى مذهب الشافعى. له سماع من شيوخ وقته. كما كان له حظ وافر من العربية توفى سنة ٣٦٩ أو ٣٧٠.
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (١/٤٧) رقم الترجمة : ١٥٤ .
(٣) هو أبو عاصم عبد الوهاب بن منذر القرطبى، كان ناسكا عفيفا منقبضا عن الناس كثير الصلاة، لولا اعتزال كان فيه . توفى سنة ٤٣٦ .
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢/٣٨٠) رقم الترجمة : ٨١٤ .
(٤) نفس المصدر
(٥) هو موسى بن محمد بن حدير الحاجب. كان فى أيام عبد الرحمن الناصر، وكان من أهل الأدب والشعر ومن أهل بيت رياسة وجلالة.
مصادر ترجمته : بغية الملتمس (٤٣٩ - ٤٤٠) رقم: ١٣٢٠، رسائل ابن حزم (٢/١٨٦) .

التى جرت بينه و بين منذر بن سعيد البلوطى : "إن الله عاقل " (١)

و كذلك كان أخوه الوزير أحمد (٢) الذى كان داعية إلى الاعتزال لا يتستر من ذلك (٣)

و منهم هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكنانى (ت ٤٠٠) (٤) الذى كان أحد رجال الكمال فى عصره باحتوائه على فنون المعارف حتى كان يقال فيه كما قال الشاعر :

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له فى كل علم بالجميع (٥)

وكان بصيرا بأصول الاعتقادات ، و أصول الفقه و الفرائض و الحساب ، واقفا على كثير من فتاوى فقهاء الأمصار و غير ذلك .

و يذكر ابن حزم من أهل الاعتزال فى الأندلس ، حكم بن منذر بن سعيد البلوطى (٦) الذى كان على قول ابن حزم : " رأس المعتزلة بالأندلس و كبيرهم

---

(١) الفصل (٤/ ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٢) هو أبو عمر احمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير . قرطبى ولى خطة الوزارة و أحكام المظالم . كام مهيبا ، حج سنة ٢٧٥ و توفى سنة ٣٢٧ .
مصادر ترجمته : رسائل ابن حزم (١/ ١٥٥) (٢/ ١٨٦) .

(٣) رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦) .

(٤) هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكنانى الأندلسى الطيطلى أخذ عن ابى عمرو الطلمنكى وغيره . كان من أعلم الناس بالنحو و اللغة و العروض وكان حافظا للسنن توفى سنة ٤٠٠ .
مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٤ - ١٣٦) رقم: ٧١ ، الصلة (٢/ ٦٥٣ - ٦٥٤) رقم: ١٤٣٦ ، معجم البلدان (٥/ ٢٢٣) ، نفح الطيب (٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧) .

(٥) الصلة (٢/ ٦٥٣) .

(٦) هو أبو العاصى حكم بن منذر بن سعيد بن عبد الله ، من أهل قرطبة روى عن أبيه و رحل الى المشرق و دخل مكة و أخذ عن علمائها . و روى عنه ابن عبد البر وغيره . وكان من أهل المعرفة و الذكاء متقد الذهن . توفى سنة ٤٢٠ =

وأستاذهم وناسكهم " . (١)

إلى جانب رجال المغرب الذين تأثروا بالفكر الاعتزالي ، فقد وفد على المغرب في فترات متفرقة بعض معتزلة المشرق ، الذين كانت لهم بالطبع مساهمة لا يستهان بها في نشر الفكر الاعتزالي بالمغرب ، أمثال : محمد بن أحمد الشافعي (ت ٣٨٠) (٢) الذي وفد على الأندلس في ايام الخليفة الحكم (٣) فأنزله منزلا كريما ، ثم نقم عليه وسخط لما علم أنه يعتنق آراء اعتزالية ويعمل على نشرها في الناس (٤).

ويذكر ابن الأبار (٥) أنه دخل في آخر القرن الخامس إلى الأندلس رجل مشرقي من أعلام الكلام فنزل بمرسية (٦) وأخذ في إثارة كثير من المسائل حول

= مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (١٤٨/١) رقم: ٣٣٥ .

(١) رسائل ابن حزم (١٥٧/١) .

(٢) هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن أبي بردة الشافعي البغدادي سمع الحديث ببغداد من أبي القاسم البغوي وابن مجاهد وغيرهما . تفقه للشافعي على أبي اسحاق المروزي وغيره . حج ودخل مصر ، ووصل الى الاندلس سنة ٣٦١ ، وكان من اعلم الناس بمذهب الشافعي ولكن لم تكن له كتب . توفي في بتيهرت عند بنت له ، لما اخرج من الاندلس بسبب اعتناقه آرء اعتزالية .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١١٤/٢) رقم الترجمة ١٤٠٣ ، ميزان الاعتدال (٤٦٥/٣) رقم : ٧١٨٣ .

(٣) انظر ترجمته ص :(٦٤٤)

(٤) تاريخ علماء الأندلس (١١٤/٢) .

(٥) انظر ترجمته ص:(

(٦) مرسية : بضم أوله والسكون وكسر السين وياء مفتوحة خفيفة وهاء . مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام . وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها .
انظر عنها : معجم البلدان (١٠٧/٥) ، الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان (٩٩ - ١٠٢) .

خلق القرآن و نزول الرب إلى السماء الدنيا و أمثال ذلك من قضايا الاعتزال فلم يجد أمامه من يفند أقواله و يرد شبهاته ، فانطلق رجل من أهل مرسية إلى طليطلة لمقابلة عالمها الكبير عبد الرحمن بن أحمد بن المشاط (١) فعرض عليه تلك المسائل فرد على كل منها بجواب و وضع لتلك الردود عنوانا هو (كشف جمل التعطيل بحجج من الأثر و النظر و التنزيل) . (٢)

هذه جملة من رجال الاعتزال بالمغرب الإسلامي آثرت أن أقدم بها لموضوع مقاومة بدعة الاعتزال من قبل علماء المغرب حتى تكون لدينا فكرة و خلفية عن حجم الوجود الاعتزالي ، و من ثم نعرف مدى ما حققته المقاومة من نتائج .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) معجم ابن الأبار (ص ٢٧٧) .

المبحث الثاني : المقاومة :-

(١) أسباب المقاومة :

لم تأت مقاومة علماء السنة المغاربة لبدعة الاعتزال من فراغ ، أو عن تعصب كما يرى البعض ، بل كانت هناك أسباب كافيه لحملهم على هذه المقاومة و إشعال فتيلها .

أولى هذه الأسباب أن أهل المغرب كانوا يقاومون كل فكر منحرف عن منهج أهل السنة مهما كان انحرافه ، لا يفرقون بين أحد منهم ، وعلى ذلك قاوموا الاعتزال و التشيع و الفكر الخارجي . كما قاوموا كل من درس الفلسفة و المنطق .
و من هنا جاءت مقاومتهم للاعتزال الذى كانوا يرون فيه انحرافا واضحا عن السنة و مخالفة صريحة لها " . من تقديم العقل على الشرع و جعله متحكما فى النصوص الشرعية يفسرها كيف يشاء . و هذه أكبر جناية ، و هى كافيه لوحدها على جعل أهل السنة يقفون فى وجه من ينتحل هذه النحلة و يقول بها .

و مسلك المعتزلة هذا هو الذى أوقعهم فى المحظور من مخالفة صريح القرآن و السنة حيث نفوا الصفات و نفوا رؤية الله فى الآخرة كما ابتدعوا القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من البدع المنكرة .

السبب الثانى : هو محاولة فرض آرائهم هذه على الناس و حملهم عليها بالقوة ، و لو أنهم اكتفوا بضلالهم و انحرافهم فى أنفسهم لكان الأمر هينا . و لكن عندما يفرض على الناس و يصبح هو المذهب الرسمى و المذهب الحق ، و ما دونه هو الباطل ، و يصبح من يخالفه مخالفا للحق يجب عقابه . عند ذلك تصبح المقاومة واجبة و هو ما حصل بالفعل . فعندما اعتنق بنو الأغلب مذهب الاعتزال عملوا على فرضه على الناس. و بلغ ببعضهم " أن كتب السجلات بخلق القرآن و أمر بقراءتها على المنابر و أن يحمل الناس عليها " (١) و نتج عن ذلك ، المحنة

---

(١) عياض : تراجم اغلبية (٢٤٤) .

التى تعرضلها علماء السنة عند ما رفضوا هذا السلوك و قاوموه ووقفوا فى وجهه تماما كما حصل فى المشرق فى محنة خلق القرآن .

السبب الثالث من أسباب المقاومة : هى المحنة التى تعرضلها علماء السنة المغاربة على يد المعتزلة. لقد تعرض علماء المغرب لمحنة شديدة و قاسية من قبل أمراء بنى الأغلب المعتزلة نتيجة لتشددهم تجاه القضايا التى كانوا يسعون لفرضها على الناس بالقوة و بخاصة مسألة خلق القرآن - يقول الدباغ (١) : " إن أهل القيروان امتحنوا بخلق القرآن فى زمن الواثق (٢) وعزم محمد بن الأغلب (٣) على قتل محمد بن سعيد (٤) فما زال أهل القيروان على اعتقاد أهل السنة " (٥).

وحدث فى عهد أحمد بن الأغلب أن أخذ الناس بالمحنة و تشدد عليهم حتى فر أكثر الفقهاء قائلين قولتهم المشهورة : "البدعة فاشية و أهلها اعزاء".

و ممن امتحن على أيديهم من الأئمة الكبار الإمام سحنون بن سعيد (٦).

وكان أبو جعفر موسى بن معاوية (٧) ممن امتحن على أيديهم فى مسألة خلق القرآن، امتحنه ابن أبى الجواد المعتزلى (٨) فى زمن توليه القضاء ، حيث سأله عن القرآن فقال موسى : سمعت فلانا و فلانا و فلانا و ذكر جماعة من أهل العلم

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) معالم الايمان (١/٢٢) .

(٦) تقدمت ترجمته .

(٧) تقدمت ترجمته .

(٨) تقدمت ترجمته .

يقولون لمن قال : القرآن مخلوق كافر . فكان هذا سبب محنته . (١)

ولما تولى محمد بن الأسود الصديني (٢) القضاء بالقيروان ، وهو الذى قال فيه القاضى عياض ـ كما تقدم ـ كان خبيثا معتزليا " عسف وظلم ، وكان ممن امتحن على يديه أبو جعفر القصرى (٣) وأبو اسحاق ابن البردون (٤). ولم تطل مدة هذا القاضى فقد استجاب زيادة الله (٥) بن العباس لرغبة أهل القيروان فعزله وكتب لهم كتابا قال فيه :" إنى عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف ووليت القضاء حماس بن مروان (٦) لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة (٧)" .

وممن امتحن على أيديهم ـ أيضا ـ إبراهيم بن محمد الضبى (٨) فقد كان من أسباب قتله إضافة إلى عداوته للعبيديين تأليفه كتابا يناقض فيه كتابا للكلاعى (٩) فى القول بخلق القرآن ، فكان ذلك من الأسباب المباشرة التى قضت عليه ، حيث تولى الكلاعى وابن ظفر (١٠) سفك دمه .

---

(١) المدارك (المجلد الثانى (٥ - ٩) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد التميمى ، ويعرف بالقصرى كان رجلا صالحا ثقة توفى سنة ٣٢٢ . وله من التأليف كتاب تجديد الايمان وشرائع الإسلام) .
مصادر ترجمته : طبقات الخشنى (ص ١٧٠) رياض النفوس (٢/١٩٧ - ١٩٩) رقم : ٢٠٩ معالم الإيمان (٣/١١ - ١٣) . رقم : ١٨٥ .

(٤) انظر ترجمته (ص: ٢٥٤)

(٥) انظر ترجمته .

(٦) انظر ترجمته .

(٧) [illegible] .

(٨) انظر ترجمته .

(٩) تقدمت ترجمته .

(١٠) تقدمت ترجمته .

و ممن امتحن أهل السنة - أيضا - سليمان بن عمران العراقى الذى كان تلميذا لسحنون . لكن بعد وفاة شيخه تولى القضاء بسعى من محمد بن سحنون ثم فتمعزل (أى دخل فى الاعتزال) وصار يطلب محمد بن سحنون و أتباعه و ضرب منهم فرات بن محمد (١) ضربا شديدا .

و ممن امتحن على أيديهم ولكن نجاه الله منهم ، مروان بن ابى شحمه (٢) الذى اتهموه بالتشبيه ، فوجه فى طلبه أحمد بن الاغلب ، فلما قدم عليه سأله : أخبرنى عن معبودك ذكر هو أم انثى فقال له مروان : هذه مسألة زنديق و هذه صفة معبودى ثم قرأ عليه (قل هو الله أحد) حتى ختمها ، فخلى عنه . (٣)

---

(١) هو أبو سهل فرات بن محمد العبدى ، أخذ عن سحنون وعون بن يوسف الخزاعى وغيرهما ، كان من أطول الناس صلاة و أكثرهم ملازمة للمساجد . وكان ذا تهجد وصيام .
مصادر ترجمته : طبقات أبى العرب (ص١٤١) معالم الإيمان (٢/ ٢٤٩- ٢٥٠) رقم: ١٤٦ .

(٢) هو أبو الوليد مروان بن الوليد بن شحمة المسيلى كان ثقه مستجابا فاضلا سمع من وكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى وكان سحنون يعرف فضله وكان عابدا زاهدا وكان يبكى حتى يغشى عليه توفى سنة ٢٤٢ و هو ابن اربع و تسعين سنة .
مصادر ترجمته : طبقات أبى العرب (ص ١١٥ - ١١٦) رياض النفوس (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣) رقم: ١٣١ معالم الإيمان (٢/ ١٠٥ - ١٠٦) رقم : ١٠٤

(٣) كتاب المحن لابى العرب (ص ٤٥٩) طبعة : دار المغرب الإسلامى (ط ١ : ١٤٠٣ / ١٩٨٣) تحقيق : الدكتور يحي وهيب الجبورى .

(٢) أساليب المقاومة :-

لقد ذكرت في عدة مواضع من بحثنا هذا أن علماء المغرب السنيين كانوا يقاومون كل من ينحرف عن منهج أهل السنة و يقفون في وجه كل محاولة عقلية لا تتقيد بمنهج أهل السنة. ولما كان علم الكلام منهجا محدثا في دراسة العقائد لم يعرفه السلف الصالح - رضي الله عنهم - ولا نبّهوا عليه ولا دعوا إليه بل أُثِرَ عنهم أنهم أنكروا على من يشتغل به. فإن ذلك كان مبررا لهم أن ينكروا على المتكلمين بل بلغ بهم التشدد في هذا الأمر والتنفير منه أن رموا المشتغلين بعلم الكلام بالكفر والزندقة. كما ذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس (١) حيث يقول: " اتصل بهم علم أصول الدين فاعتقدوا فيه أنه كفر و زندقة " (٢)

من هنا جاءت مقاومة علماء المغرب للاعتزال ولم تكن هذه المقاومة على نمط واحد، بل اتخذت أنماطا مختلفة وأشكالا متعددة، حيث استعمل العلماء كل وسيلة يمكنهم بها أن يصلوا إلى غرضهم من القضاء على الاعتزال والمعتزلة وعلى كل بدعة فاستعملوا الهجر والضرب وكل ما من شأنه أن يقضي على البدعة والمبتدعة كما يقول الإمام اللالكائي (٣) : " وقد خبأ المبتدعون أنفسهم في سراديب كالأموات في قبورهم خوفا من القتل والصلب والنكال والسلب من طلب الأئمة لهم لإقامة حدود الله فيهم " (٤)

ولكن قبل تناول هذه الأساليب أذكر تمهيدا في حكم المبتدع :

---

(١) تأتي ترجمته .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧/١) .

وسأتناول فى هذا التمهيد البحث فى حكم المبتدع وهل يكفر ببدعته:

اختلف العلماء فى حكم المبتدع الذى أداه اجتهاده إلى بدعة خالف بها أهل السنة والجماعة كالخوارج والمعتزلة والقدرية والجهمية إلى قولين ، يقول الإمام أحمد ابن تيمية " فقد حكى عن مالك فيها روايتان وعن الشافعى فيها قولان وعن الإمام أحمد - أيضا - فيها روايتان . وكذلك أهل الكلام ، فقد ذكروا للأشعرى فيها قولين ، وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل " (١)

والمقصود هنا بالمبتدعة ليس أولئك الغلاة من الرافضة القائلين بالوهية على وغيرهم من الباطنية والحلولية ، فإن أولئك كفرهم ثابت ، وإنما المقصود من ذكرنا من الفرق .

وسوف لا أتطرق لذكر جميع المذاهب فى المبتدعة ، وإنما الذى يهمنا هو ذكر أقوال المحققين من أهل السنة ، كالامام ابن تيمية والإمام الشاطبى وغيرهما من الذين توصلوا بعد طول معاناة وطول دراسة وتحقيق فى المذاهب المختلفة إلى الخلاصة التى يؤكدون فيها عدم كفر المبتدعة ، وأن ما ورد من إطلاق الكفر من بعض الأئمة عليهم ، إنما المقصود به أن القول قد يكون كفرا لكن صاحبه ليس بكافر .

يقول الإمام ابن تيمية : " وحقيقة الأمر فى ذلك أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال : من قال هذا فهو كافر . لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره . حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها " (٢)

ويقول القاضى عياض " والصواب ترك إكفارهم والاعراض عن الختم عليهم

---

(١) المسائل الماردينية (ص ٦٥)

(٢) المسائل الماردينية (ص ٦٥)

بالخسران وإجراء حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم ووراثاتهم و مناكحاتهم و دياتهم و الصلاة عليهم و دفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم " (١)

ويقول الإمام الشاطبى : " وقد اختلفت الأمة فى تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى . ولكن الذى يقوى فى النظر ، وبحسب الأثر : عدم القطع بتكفيرهم " (٢)

ويقول ابن حجر المكى (٣) : " والصواب عند الأكثرين من علماء السلف و الخلف : أنا لا نكفر أهل البدع و الأهواء إلا إن أتوا بمُكفِّرٍ صريح لا استلزامى . لأن الأصح أن لازم المذهب ليس بمذهب .(٤)

وهؤلاء الذين نقلنا أقوالهم يستندون فى أحكامهم هذه إلى أدلة من سيرة السلف الصالح من الصحابة و التابعين . فقد " نشأ على زمانهم من قال بهذه الأقوال من القدر و رأى الخوارج و الاعتزال " (٥) فما نقل عنهم أنهم كفروهم و الأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :-

(١) أن عليا وغيره من الصحابة لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم ، بل أول

---

(١) الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى (٢/١٠٨٥) .

(٢) الاعتصام (٢/١٨٥) .

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى السعدى الأنصارى فقيه مشارك فى أنواع العلوم. ولد بمصر سنة ٩٠٩ وتوفى بمكة سنة ٩٧٣ ومن مؤلفاته الكثيرة : الصواعق المحرقة لإخوان الابتداع والضلال و الزندقة ، تحفة المحتاج لشرح المنهاج للنووى .
مصادر ترجمته : شذرات الذهب (٨/٣٧٠ - ٣٧٢) الشوكانى : البدر الطالع (١/١٠٩) جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين لخير الدين الالوسى (ص ١٣٧-١٣٩) فهرس الفهارس (١/٣٣٧ - ٣٤٠) رقم: ١٣٧ .

(٤) المرقاة شرح المشكاة لعلى القارى (١/١٤٧) .

(٥) الشفا للقاضى عياض (٢/١٠٨٦) .

ما خرجوا عليه و تحيزوا بحروراء (١) و خرجوا عن الطاعة و الجماعة قال لهم علي بن أبي طالب : " إن علينا أن لا نمنعكم من مساجدنا ولا نمنعكم من الفيء اذا كانت أيديكم معنا . ثم أرسل ابن عباس فناظرهم ".(٢)

و مع هذا - كما يقول الإمام ابن تيمية : " لم يَسْبِ لهم ذرية ولا غنم لهم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب (٣) و أمثاله . ولم ينكر أحد عليه ذلك ، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن الإسلام ". (٤)

---

(١) حروراء : بفتحتين و سكون الواو و راء أخرى و ألف ممدودة هي موضع على ميلين من الكوفة. نزل به الخوارج الذين خالفوا عليا و خرجوا عنه - رضي الله عنه - فنسبوا إليها فقيل الحرورية .

انظر : معجم البلدان (٢/ ٢٤٥) كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ١٩٠ - ١٩١) .

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٣٢) وانظر : مناظرة ابن عباس لهم في تاريخ الطبري (٥/ ٦٤ - ٦٦) وانظر ايضا : تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٩٠ - ٢٩٢)

(٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي المتنبئ الكذاب. المعمر ولد و نشأ باليمامة بقرية الجبلية بقرب العيينة بوادي حنيفة، و تلقب في الجاهلية برحمان اليمامة ولما ظهر الإسلام و فتح النبي مكة و دانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة قيل : كان فيهم مسيلمة ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه و سلم " من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فإني أشركت الأمر معك إن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض " فأجابه النبي عليه الصلاة و السلام " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين " و ذلك أواخر سنة ١٠هـ . و جعل مسيلمة يضع أسجاعا يضاهي بها القرآن . ولما توفي النبي صلى الله عليه و سلم و انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له خالد بن الوليد لقتاله فقاتله و قتل من الصحابة عدد كبير. و انتهت المعركة بنصر المسلمين و قتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢ انظر عنه : ابن هشام (٣/ ٧٤) الروض الانف (٢/ ٣٤٠) ، الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٧ - ١٤٠) شذرات الذهب (١/ ٢٣) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٦) .

(٤) منهاج السنة (٤/ ٥٣٣) .

ويقول الإمام الشاطبى : " والدليل على عدم تكفيرهم عمل السلف الصالح فيهم ، ألا ترى إلى صنع على - رضى الله عنه - فى الخوارج وكونه عاملهم فى قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قول الله تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) (الحجرات : ٩) ، فإنه لما امتنعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهاجمهم عليٌّ ولا قاتلهم. ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام : " من بدل دينَهُ فاقتلوه " (١) ، ولأن أبا بكر خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم فدل ذلك على اختلاف فى المسألتين " (٢)

(٢) أن عليا - رضى الله عنه - لما سئل عن أهل النهروان (٣) فقيل له : " أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا . فقيل : أفمنافقون هم ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا . قيل : فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم " . (٤)

رغم أن هؤلاء - كما يقول الإمام ابن تيمية " استفاضت الأحاديث

---

(١) أخرجه البخارى فى استتابة المرتدين (باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما رقم الحديث : ٦٩٢٢ فتح البارى (٢٦٧/١٢) وأخرجه الترمذى فى الحدود (باب ما جاء فى المرتد) رقم : ١٤٥٨ انظر : سنن الترمذى (٤٨/٤) وأخرجه أبو داود فى الحدود (باب الحكم فيمن ارتد) رقم : ٤٣٥١ انظر : سنن أبى داود (١٢٦/٤) وأخرجه النسائى فى تحريم الدم (باب الحكم فى المرتد) (١٠٤/٧ ، ١٠٥) وأخرجه أحمد فى المسند (٢٨٢/١) .

(٢) الاعتصام (١٨٥/٢) .

(٣) النهروان : بفتح النون وسكون الهاء وأكثر ما يجرى على الألسنة بكسر النون وهى كورة (اى بقعة) واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى وبها عدة بلاد منها إسكاف وجرجرايا ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين على بن ابى طالب مع الخوارج مشهورة . انظر عنه : معجم البلدان (٣٢٤/٥ - ٣٢٧) الروض المعطار فى خبر الاقطار (ص ٥٨٢ - ٥٨٣) .

(٤) انظر : تاريخ ابن كثير (٢٩١/٧) .

الصحيحة (١) عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذمّهم والأمر بقتالهم ، وهم يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما . فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فإنما دار الإسلام عندهم هى دارهم . ومع هذا فقد صرح على - رضى الله عنه - بأنهم مؤمنون ليسوا كفارا ولا منافقين " (٢)

(٣) الدليل الثالث على أن الصحابة لم يكونوا يكفرون الخوارج وغيرهم من المبتدعة أنهم كانوا يصلون خلفهم ، فكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحرورى (٣) . كما كانوا يحدثونهم ويخاطبونهم كما يُخَاطَبُ المسلمُ " كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحرورى لما أرسل إليه يسأله عن مسائل ، وكما أجاب نافع بن الأزرق (٤) عن مسائل مشهورة . وكان نافع يناظره فى أشياء بالقرآن

---

(١) من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " يخرج قوم من أمتى يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ . يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . . الخ الحديث . أخرجه مسلم فى الزكاة (باب التحريض على قتل الخوارج) رقم الحديث ١٠٦٦ . وأبو داود فى السنة (باب فى قتال الخوارج) رقم الحديث ٤٧٦٨ ، ٤٧٦٩ ، ٤٧٧٠ . سنن ابى داود (٤/٢٤٤-٢٤٥) .

(٢) منهاج السنة (٤/٥٣٢) .

(٣) هو نجدة بن عامر الحروري من بنى حنيفة من اليمامة . ولد سنة ٣٦ وقتل سنة ٦٩ قال الذهبى فى الميزان (٤/٢٤٥) : " من رؤوس الخوارج ، زائغ عن الحق " وزاد ابن حجر فى لسان الميزان (٦/١٤٦) : " خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية سنة ٦٦ وقدم إلى مكة وله مقالات معروفة واتباع انقرضوا " . وانظر عنه ترجمته ايضا : الأعلام للزركلى (٨/٣٢٤) الفرق بين الفرق (ص ٨٧ - ٩٠) .

(٤) هو أبو راشد نافع ابن الازرق بن قيس الحنفى البكرى الوائلى الحرورى ، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم . كان أمير قومه وفقيههم . كان من أنصار الثورة على الخليفة عثمان ووالى عليا إلى أن كانت قضية التحكيم بين على ومعاوية . فاجتمع وأصحابه فى حروراء ونادوا بالخروج على علي . ومن يومها عرفوا

كما يتناظر المسلمون " (١). ويقول ابن حزم: " وما امتنع قط أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولا من خيار التابعين من الصلاة خلف كل إمام صلى بهم حتى خلف نجدة الحروري وغيره. وقيل لابن عمر في ذلك فقال: إذا قالوا حي على الصلاة أجبناهم وإذا قالوا حي على سفك الدماء تركناهم " (٢)

(٤) أنه لم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم أزاحوا لهؤلاء المبتدعة قبرا ولا قطعوا لهم ميراثا، ولم يزالوا يعاملونهم معاملة المسلمين في نكاحهم وإنكاحهم والصلاة على موتاهم ودفنهم في مقابرهم. (٣)

هذه الأدلة التي سردتها، لعلها تكون كافية في التدليل على ما ذهب إليه العلماء في احكامهم.

ولكن ذلك لم يمنعهم من اتخاذ الوسائل الناجعة لتأديبهم وزجرهم والتغليظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر حتى يرجعوا عن بدعهم يقول القاضي عياض " ولكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم " (٤)

ويقول الإمام الشاطبي: " وأيضا فحين ظهر معبد الجهني (٥) وغيره من أهل

= بالخوارج لخروجهم على علي والتحق بابن الزبير في قتال جيش الشام، ثم انفض عنه وجماعته لما علموا أنه لا يتبرأ من عثمان، قتل يوم دولاب على مقربة من الاهواز سنة ٦٥ على يد جيش المهلب بن أبي صفرة.

مصادر ترجمته: لسان الميزان لابن حجر (٦/ ١٤٤)، الكامل للمبرد (٢/ ١٧٢ - ١٨١)، الأعلام للزركلي (٧/ ٣٥١ - ٣٥٢).

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٤٧).

(٢) انظر رسائل ابن حزم (٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨).

(٣) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦) المرقاة في شرح المشكاة (١/ ١٤٧ - ١٤٨).

(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦).

(٥) تقدمت ترجمته.

القدر لم يكن من السلف الصالح إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران" (١)

ويقول الإمام ابن القيم (٢) - رحمه الله - في الغرض من ترك علماء السلف الصلاة خلف المبتدعة وعدم قبول شهاداتهم وغير ذلك: " وإنما منع الأئمة كأحمد بن جنبل وأمثاله قبول رواية الداعي إلى بدعته المتعلق بها وقبول شهادته والصلاة خلفه هجرا له وزجرا ليكف ضرر بدعته عن المسلمين لأن في قبول شهادته وروايته والصلاة خلفه واستقضائه وتنفيذ أحكامه رضى ببدعته وإقرارا له عليها وتعريضا لقبولها منه" . (٣)

ويقول الإمام الشاطبي في هذا المعنى - أيضا - : " وفيه علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من الزجر والهجر كالضرب والقتل . فصار توقيره صدودا عن العمل بشرع الإسلام وإقبالا على ما يضاده وينافيه ، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بما فيه ، وأيضا فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام .

إحداهما : التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير. فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس ، وأن ماهو عليه خير مما عليه غيره. فيؤدى ذلك إلى اتباعه دون اتباع أهل السنة على سنتهم .

والثانية : أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادى المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيئ وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن وهو هدم الإسلام بعينه" (٤)

---

(١) الاعتصام (١٨٦/٢) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) المعيار المغرب (٤٥٢/٢) .

(٤) الاعتصام (١١٤/١) .

لهذه الاسباب ولغيرها سلك علماء السنة مختلف الطرق واتخذوا كل الوسائل الممكنة مع المبتدعة حتى يردوهم عن بدعهم . وفيما يلي من البحث سأتطرق لذكر مختلف الطرق والوسائل والأساليب التي استعملها علماء السلف في مقاومة بدعة الاعتزال والله الموفق .

(١) - الوسيلة الأولى أو الأسلوب الأول :-

اعتزال أهل البدع وعدم السلام عليهم : لقد كان الامتناع عن السلام على أهل البدع عامة والمعتزلة بخاصة ، واعتزال مجالسهم ، بل والإنكار على من يفعل ذلك معهم من أشد الأساليب التي اتخذها علماء المغرب وجربوها في مقاومة الاعتزال بالمغرب وأنكاها . وهو أسلوب ندب إليه القرآن الكريم والسنة النبوية لقمع المبتدعة وطبقه سلف الأمة معهم . من ذلك قوله تعالى :

(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) (الأنعام : ٦٨) . يقول الإمام الشوكاني رحمه الله - : " في هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة نبيه فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم "(١) وكقوله تعالى : (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود : ١٣٣) . يقول القرطبي : الصحيح في معنى هذه الآية : إنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع فإن صحبتهم كفر أو معصية إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة "(٢) .

وكقوله تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (المجادلة : ٢٢)

---

(١) فتح القدير (٢/١٢٢) .

(٢) تفسير القرطبي (٣/١٠٨) .

وقد تقدم الحديث فيها عند حديثنا عن الإمام مالك وآرائه فى مسائل العقيدة فليراجع (١).

وغير ذلك من الآيات فى هذا المعنى كثير. وأما من السنة فإن كتب الحديث مليئة بما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن مجالسة أهل البدع والأمر باعتزالهم وهجرهم، وقد عقد أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد أبوابا بهذا الخصوص (٢). فمن الأحاديث فى هذا الباب نذكر الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما (٣) من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ - إلى قوله تعالى - وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) (آل عمران : ٧) . فقال عليه الصلاة والسلام: " إذا رأيتم

---

(١) ص .

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى (١٠/ ٤٩١ ، ٤٩٨) (١١/٤٠) سنن أبى داود فى باب (مجانبة أهل الأهواء وبغضهم) و (باب ترك السلام على أهل الاهواء) سنن أبى داود (٥/ ٦ ، ٨) رقم الاحاديث: ٤٥٩٩ - ٤٦٠٢ .
ورياض الصالحين فى (باب تحريم الهجر بين المسلمين الا لبدعة فى المهجور) (ص ٦٠٩ - ٦١١).
وفى شرح السنن للبغوى فى (باب مجانبة أهل الاهواء) (١/ ٢١٩ - ٢٣٠) .
وفى الترغيب والترهيب للمنذرى فى (باب الترهيب من حب الاشرار وأهل البدع لأن المرء مع من أحب) .

(٣) أخرجه البخارى فى التفسير (باب منه آيات محكمات) رقم: ٤٥٤٧ ، انظر فتح البارى (٨/ ٢٠٩) . ومسلم فى كتاب العلم (باب النهى عن اتباع متشابه القرآن) رقم: ٢٦٦٥ ، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٣) .
وأبو داود فى السنة (باب مجانبة أهل الاهواء) رقم: ٤٥٩٨ ، سنن أبى داود (٤/ ١٩٨) .
وأخرجه الترمذى فى التفسير (باب ومن سورة آل عمران) رقم: ٢٩٩٤ سنن الترمذى (٥/ ٢٠٧) .

الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم " .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سيكون فى آخر أمتى ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم " (١)

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لكل أمة مجوس ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر : إذا مرضوا فلا تعودوهم وإذا ماتوا فلا تشهدوهم " (٢)

وقد اتخذ العلماء من هذه النصوص مبدأ فى هجر المبتدع حيث يقوم الامام ابن عبد البر " ولا بأس بهجر أهل البدع ومقاطعتهم وترك السلام عليهم " (٣) بل يرى فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهجر الثلاثة الذين تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك (٤) أصلا فى هذا الباب حيث يقول :
" وهذا أصل عند العلماء فى مجانبة من ابتدع وهجرته وقطع الكلام معه " (٥)
وقد ذكرت فى التمهيد السابق (ص٢٠٤) مبحثا عن حكم المبتدع وأقوال العلماء فى ذلك مما سوغ لعلماء المغرب أن ينطلقوا فى أحكامهم ومقاومتهم للمبتدعين بأدلة قوية وبراهين واضحة ووسائل ناجعة وأهم هذه الوسائل كانت المقاطعة .

ومن هنا جاءت مقاومة علماء المغرب السنيين لرجال الاعتزال وغيرهم من المبتدعة بهذه الوسائل ، ولعل أول رجل - تذكره المصادر - فعل ذلك معهم

---

(١) أخرجه مسلم فى المقدمة (باب النهى عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها) رقم: ٦ ، صحيح مسلم (١/ ١٢) .
(٢) مسند أحمد (١/ ٣٠) . وأخرجه أبو داود فى السنة (باب فى القدر) رقم: ٤٦٩١ ، ٤٦٩٢ ، سنن أبى داود (٤/ ٢٢٢) .
السنة لأبى عاصم (٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢) .
(٣) الكافى (٢/ ١١٣٨) .
(٤) تقدم الحديث عنها .
(٥) التمهيد (٤/ ٨٤) وانظر ايضا (٦/ ١١٨) .

هو الإمام البهلول بن راشد (١) فقد كان لا يسلم عليهم ، ثم تبعه تلاميذه في الاقتداء به في ذلك. يقول الإمام سحنون بن سعيد (٢): "إنما اقتديت في ترك السلام على أهل البدع والصلاة خلفهم . بمعلمي بهلول" (٣)

وكان الإمام بهلول بن راشد - أيضا - يرفض مصافحة من عرف بآرائه الاعتزالية ما لم يرجع عنها . ولا يرد على واحد منهم تحية إلا من بعد أن يستتيبه فيتوب وتكفي الإشارة في ذلك الى موقفه من أبي محرز المعتزلي (٤) عندما جاءه محييا فأبى أن يرد عليه التحية أو يصافحه ، وقال له: لعلي لا أصافحك حتى ترجع عن رأيك" (٥)

وكذلك كان يفعل علي بن زياد (٦) معهم . فقد نقلت عنه مصادر ترجمته أنه لما زار القيروان اجتمع إليه العلماء ليرحبوا به ، وكان بينهم أبو محرز المعتزلي - الذي تقدم ذكره - فلما سلم عليه أعرض عنه ولم يرد عليه السلام . (٧)

وقد امتد هذا السلوك مع المبتدعة إلى تلاميذهم وأتباعهم من بعدهم ، فكانوا يقتدون بهم في ترك السلام على من عرف بالبدعة ، وترك مجالسته كما كان يفعل أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩) (٨) الذي لم يكن يسلم على أحد منهم .

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) انظر: رياض النفوس (١/ ٢٠٣) .

(٤) ترجمته عند الخشني (ص٨٤-٨٥) .

(٥) طبقات أبي العرب (ص ١٦٧) .

(٦) تقدمت ترجمته .

(٧) رياض النفوس (١/ ٢٣٦) .

(٨) تقدمت ترجمته .

بل حتى مع أصحابهم وأتباعهم كانت لهم مواقف متشددة إذا علموا أنهم سلموا على أهل البدع أو حضروا مجالسهم . كما فعل البهلول بن راشد مع محمد بن الحداد (١) ، عندما مر ابن الحداد على هشام بن العراقي المعتزلي (٢) وكان يعلم في سقيفته ، فتوقف يستمع إليه . فلما بلغ ذلك البهلول بن راشد غضب عليه وأغلظ له في القول (٣).

ويذكر الخشني في طبقاته (٤) عن عبد الله بن عبيد الله المهدي (٥) وكان رجلا ثقة مباينا لأهل الأهواء لا يسلم على أحد منهم " أنه جاء إلى سحنون بن سعيد فقال : السلام عليك يا أبا سعيد فقال له : وعليك السلام يا أبا محمد وعند سحنون رجل يرمى بهوى فقال له : ها هنا يا أبا محمد اجلس. فقال له : أنا أجلس عندك وهذا عندك ثم تولى منصرفا " .

وكان منهم من يأتي رجال الاعتزال إلى مجالسهم ويهينهم أمام تلاميذهم ويحرضهم عليهم ويحثهم على مقاطعتهم واعتزالهم . كما كان يفعل علي بن زياد مع أبي محرز المعتزلي فقد جاء يوما إلى حلقة درسه وقال لتلاميذه : " شاهت الوجوه أفمن هذا تسمعون " (٦)

وامتد هذا السلوك وهذا الأسلوب مع المبتدعة إلى الصلاة ، حيث امتنعوا عن الصلاة على مع من عرف انه يدين بالاعتزال . وكأن علماء المغرب كانوا مجمعين

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) له ترجمة مقتضبة جدا في طبقات الخشني (ص ١٩٠) .

(٣) طبقات أبي العرب (ص ١٢٩) .

(٤) (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

(٥) هو ابو محمد عبد الله بن عبيد الله المهدي . كان ثقة وكان له سن كسن سحنون أو أكبر .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (١٢٣ - ١٢٤) .

(٦) رياض النفوس (١/١٥٩ - ١٦٠) .

على ذلك الأمر الذى جعل القاضى عياض يقول : " اتفق علماء السنة المغاربة على أنه لا تجوز الصلاة على من يدين بالاعتزال " (١) . ولكن الذى عليه كثير من العلماء كابن عبد البر وغيره أن البدعة إذا كانت لا توصل إلى الكفر الصريح فإن صاحبها إذا مات يُصَلّى عليه كما يصلى على سائر المسلمين العصاة . ويحاول توجيه كلام مالك فى نهيه عن الصلاة على أهل البدع ، أن المقصود منه أئمة الدين وأهل العلم لأن ذلك زجر لهم حيث يقول : " وأما قوله (أى مالك) لا يصلى عليهم فإنه يريد أنه لا يصلى عليهم أئمة الدين وأهل العلم لأن ذلك زجر لهم وخزي لهم لا يتداعهم رجاء أن ينتهوا عن مذهبهم . وكذلك ترك ابتداء السلام عليهم . وأما أن تترك الصلاة عليهم جملة فلا بل السنة المجتمع عليها أن يصلى على كل من قال : لا اله الا الله محمد رسول الله مبتدعا كان أو مرتكبا للكبائر ولا أعلم أحدا من فقهاء الأمصار وأئمة التقوى يقول فى ذلك بقول مالك " (٢) وهذا الذى قاله الإمام ابن عبد البر هو قول العلماء ومذهبهم فى أهل البدع - وقد تقدم الحديث عن ذلك فى مبحث حكم تكفير المبتدع - ولذلك يقول شارح الطحاوية . " فمن كان مؤمنا بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية الفجورية ماله " . (٣)

فلعل علماء المغرب عمموا منع مالك على جميع الناس علمائهم عوامهم ، أو لعلهم كانوا يعتقدون كفر المعتزلة والله أعلم .

المهم أن علماء المغرب كانوا يمتنعون على الصلاة على من يدين بالاعتزال والأدلة على ذلك كثيرة . من ذلك ما جاء فى ترجمة عبد الله بن فروخ الفارسى

---

(١)

(٢) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٣١) . نقلا عن كتاب الاستذكار (٦/١٣٠) .

(٣) شرح الطحاويـة (ص ٤٢٥) .

يتحاشون ذكر اسمه من أجل ذلك ولما توفي وحطت جنازته قَلَّ من كان معها من الناس ورُمِيَ نعشه بالحجارة . وقال الناس: " الوادي الوادي أى القوه في الوادي " . (١)

ولما كانت هذه التهمة تبلغ بصاحبها هذا المبلغ ، فقد أُصبح الناس يبذلون كل وسعهم من أجل تبرئة ساحتهم منها ، حتى بلغ ببعضهم أن يوصي بالكتابة على قبره : " هذا قبر فلان بن فلان كان يشهد أن لا إله الا إلله وأن محمدا رسول الله ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق " . حتى يسلم من تهمة القول بخلق القرآن ، ويعبرعن رفضه له حيا وميتا " . (٢)

وكما أنهم لم يكونوا يصلون عليهم ، فقد امتنعوا أيضا عن الصلاة خلفهم ،كما كان يفعل الإمام سحنون وغيره الذى تعرض للمحنة بسبب تركه الصلاة على جنازة خلف ابن ابى الجواد لأنه كان يقول بخلق القرآن . ويقول القاضى عياض فى ترجمة حمديس القطان (٣) : " وكان (اى حمديس) لا يصلى خلف اهل البدع ومن يخالفه وفعل ذلك هو وابن سحنون ويحى بن عمر حين ولي الصلاة ابن ابى الجواجب وفعل ذلك سحنون بغيره " . (٤)

وكان منهم من يهرب ويختفى عن أعين الناس بسبب سماعه شيئا من الاعتزال كما فعل ابو زكريا الهرقلى (٥) فقد جاء فى ترجمته أن رجلا سأله عن سبب تغيبه عن صلاة الجماعة فقال له : " سمعت اليوم من يذكر بعض كلام المعتزلة فخرجت

---

(١) طبقات الخشنى (ص ٩١) .

(٢) انظر: الصراع العقائدى فى الفلسفة الإسلامية (مجموعة مقالات) نشر وزارة الشؤون الثقافية (تونس) (ص ٣٤) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) طبقات الخشنى (ص ١٠٨) .

(٥) طبقات أبى العرب (ص ١٥٢ - ١٥٣) رياض النفوس (١ / ٣٢٢) .

إلى الشَّقْرَاءِ أبكى على الإسلام " . (١)

وكان اعتناق الآراء الاعتزالية ، سببا فى التشنيع على صاحبها والنكير عليه وجلب المتاعب له . فهذا عبد الأعلى بن وهب (٢) ، جلبت إليه مطالعته لكتب الاعتزال واتهامه ببعض الآراء الاعتزالية وقوله : إن الارواح تموت ، جلبت له النكير الشديد والطعن عليه من قبل علماء عصره كيحى بن يحى الليثى (ت ٢٤٤) (٣) وابن حبيب (٤) . وكذلك هشام بن احمد بن خالد (٥) . تركه الناس لاتهامه بالاعتزال وتأليفه كتابا فى القدر والقرآن على مذهبهم رغم علمه الكبير . يقول القاضى عياض: " وظهر له تأليف فى القدر والقرآن وغير ذلك من أقاويلهم (أى المعتزلة) وزهد فيه الناس وترك الحديث عنه جماعة من كبار مشايخ الأندلس " . (٦)

وكان خليل بن عبد الملك بن كليب فى بدء أمره صديقا لمحمد بن وضاح ، ثم لما تبين لابن وضاح أنه يدين بالاعتزال هجره " . (٧)

بل إن علماء المغرب أضافوا شيئا آخر إلى ما سبق من الأساليب مع من اتهم بشيء من الاعتزال ، وهو إخراجه من بلده ، وابعاده عنها وتغريبه حتى لا يؤثر فى الناس . وحتى يرتدع ويتوب عن بدعته . كما فعلوا بمحمد بن أحمد بن إبراهيم

---

(١) طبقات ابى العرب (ص ١٥٣) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) فقيه مالكى : بربرى الأصل ، من قبيلة مصمودة . ارتحل إلى المدينة المنورة وسمع بها الموطأ من مالك ثم عاد إلى الاندلس حيث قام بنشر مذهب مالك توفى سنة ٢٣٤ مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (١٤٣/٦ - ١٤٦) رقم: ٧٩٠، الديباج المذهب (٣٥٢/٢ - ٣٥٣) رقم: ٢ .

(٤) انظر ترجمته (ص ١٩٥)

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) انظر: معجم البلدان (٣٩١/٥) نقلا عن القاضى عياض .

(٧) تاريخ علماء الأندلس" (١٣٩/١) .

بن ابى بردة الشافعى البغدادى (ت ٣٧٣) (١) الذى كان اعتزاله سببا في إخراجه من الاندلس حيث انتقل الى تيهرت و مات هناك (٢) . يقول الذهبى عنه " نزل المغرب و أظهر بينهم الاعتزال فنفوه " (٣) .

ولم يقتصر هذا الأسلوب على من اتهم بالاعتزال ، بل كل من ينحرف عن منهج أهل السنة أو يحاول أن يظهر آراء غريبة عن آرائهم كانوا يفعلون معه ذلك كما فعلوا بأبى بكر محمد بن موهب التيجيبى الحصار المعروف بالقبرى (ت ٤٠٦) (٤) الذى اشتهر بالكلام و الجدل ، وكان عند عودته من رحلته المشرقية قد تناول موضوعات غريبة عن أهل المغرب مثل القول بنبوة النساء و بصحة نبوة مريم عليها السلام ، و بجواز بقاء الخضر أبد الآبدين . فقام عليه علماء المغرب من المحدثين أمثال ابن عون الله شيخ المحدثين (٥) و أبى عمرو الطلمنكى (٦) و غيرهما ، فجرت بينه و بينهم فتن بسبب هذه المسائل التى أثارها و أغروا به ، حتى سُيِّرَ

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) راجع (ص ٢٩٧) .

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٥) .

(٤) هو ابو بكر محمد بن موهب التجيبى الحصار المعروف بالقبرى القرطبى ، جد أبى الوليد الباجى لأمه أخذ عن علماء بلده ، ثم رحل الى المشرق فأخذ بالقيروان عن ابى زيد القيروانى و ابى عمران الفاسي وغيرهما . واشتهر بالكلام و الجدل توفى سنة ٤٠٦ . مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٤) ، جذوة المقتبس (ص ٩٢) رقم : ١٤٦ .

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن عون الله بن حدير . قرطبى . رحل و سمع بمكة من ابن الأعرابى وغيره وسمع بمصر و أطرابلس الشام . وكان شيخا صالحا متشددا على أهل البدع وكان لهجا بهذا النوع صبورا على الأذى ، وكان صدوقا توفى سنة ٣٧٨ .

مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (١/ ٥٤) رقم : ١٨٣ .

(٦) تقدمت ترجمته .

هو و جماعة من أصحابه الى العدوة حيث بقي مدة ثم رجع . (١)

الوسيلة الثانية أو الأسلوب الثاني في مقاومة الاعتزال : إعدام مؤلفات من عرف عليه الاعتزال :-

هذه الوسيلة أو هذا الأسلوب لم يخص به علماء السنة المغاربة المعتزلة وحدهم بل كل من ينحرف عن منهج أهل السنة يُسْلَكُ معه هذا المسلك ، حيث يعمدون بعد وفاته أو حتى في حياته إلى مصنفاته فيعطون فيها الحرق . كما فعلوا بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٢) ، وكما فعلوا بمصنفات ابن حزم (٣) عند ما خالف المذهب المتبع في المغرب ، المالكي في الفروع و مذهب السلف في الأصول و أباح دراسة المنطق و الفلسفة فماكان من أهل الأندلس إلا أن أحرقوا كتبه و أخرجوه من أرضه (٤) وكما فعلوا بأتباع ابن مسرة حين أحرقوا كتبهم . (٥) كذلك كان أسلوبهم مع من عرف عليه الاعتزال ، فلما مات خليل بن عبد الملك بن كليب (٦) وكان مشهورا بالقدر لا يتستر به ، أتى أبو مروان بن ابي

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٥ - ٦٧٦) .

(٢) يأتي الحديث عن حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين في فصل مقاومة التصوف.

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) بعد إحراق المعتضد بن عباد مصنفات ابن حزم ، أرسل إليه ابن حزم هذه الأبيات يتحداه فيها وهي :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت رَكَائِبِي	و ينزل إن أنزل و يدفن في قبري
دعوني من إحراق رق و كاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
و إلا فعودوا في المكاتب بدأة	فكم دون ما تبغون لله من ستر

أنظرها في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٥) .

(٥) يأتي الحديث عن ذلك بتوسع في فصل مقاومة علماء المغرب للتصوف .

(٦) تقدمت ترجمته .

عيسى (١) وجماعة من الفقهاء وأخرجوا كتبه وأحرقت بالنار إلا ما كان فيها من كتب المسائل. (٢)

الوسيلة الثالثة أو الأسلوب الثالث : ضرب من عرف عليه الاعتزال :-

هذا الأسلوب لم يكن عاما في واقع الأمر، ولكن وقعت حوادث منه تدل على أن بعض العلماء كان يرى في الضرب وسيلة ناجعة ومفيدة في مقاومة الاعتزال.

وحين نعود إلى الوراء قليلا، إلى سيرة السلف الصالح - رضي الله عنهم - نجد أن أول من استعمل الضرب مع المبتدعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين جاءه صبيغ بن حسل (٣) يسأله عن المتشابه ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتنا بين العامة فطلبه عمر وقال له: من أنت؟ قال أنا عبد الله صبيغ. وقال عمر: أنا عبد الله عمر فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه فقال صبيغ: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله.

وعمر بن الخطاب إذ يفعل ذلك كان ينبه إلى خطر هؤلاء المبتدعة وإلى أن اللين لا يصلح حالهم ولا جدالهم وأنهم إن تُرِكَ لهم المجال مفتوحا، فإنهم يكونون وبالا على الإسلام. وهذا الذي خافه عمر - رضي الله عنه - هو الذي حدث بالفعل بعد القرون المفضلة.

ومن فعل عُمَرَ هذا قَعَّدَ علماء السنة قاعدة في زجر أهل البدع، فعقد الآجري (٤) في كتاب (الشريعة) بابا في عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء يقول فيه :

---

(١) لم اعثر له على ترجمة.

(٢) تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي (١/١٣٩).

(٣) تقدمت ترجمته وقصته مع عمر رضي الله عنه (ص٦٢)

(٤) تقدمت ترجمته.

" ينبغى لإمام المسلمين ولأمرائه فى كل بلد اذا صح عنده مذهب رجل من أهل الأهواء ممن قد أظهره أن يعاقبه العقوبة الشديدة ، فمن استحق منهم أن يقتله قتله ، و من استحق أن يضربه و يحبسه و ينفيه فعل به ذلك. كما جلد عمر ابن الخطاب صبيغا و نفاه و حرمه عطاءه و أمر الناس بهجرته. وحرق على بن أبى طالب الزنادقة و كتب عمر بن عبد العزيز (١) إلى عدى بن أرطأه (٢) فى القدرية أن اسْتَتِبْهُمْ فإن تابوا وإلا فاضرب أعناقهم. وضرب هشام بن عبد الملك (٣) عنق غيلان (٤) وصلبه ولم تزل الأمراء بعدهم فى كل زمان يعاقبون أهل الأهواء على حسب مايرون ولا ينكره العلماء" . (٥)

لقد كان الإمام أسد بن الفرات (٦) من أشد الناس على المبتدعة عموما والمعتزلة خصوصا. ولما جلس يوما بالمسجد يحدث بحديث رؤية الله فى الآخرة وكان سليمان العراقى (٧) جالسا آخر المسجد فتكلم و أنكر ، فسمعه أسد بن الفرات ، فقام إليه و جمع بين طوقيه و لحيته و استقبله بفعله فضربه ضربا شديدا حتى أدماه" (٨)

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو عدى بن أرطأة الفزارى الدمشقى أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز ، حدث عن عمرو بن عبسة و أبى أمامة. وحدث عنه طائفة مات مقتولا سنة ١٠٢ قتله معاوية بن يزيد بن المهلب مصادر ترجمته : الجرح و التعديل (٣/٢/٧) رقم : ٣ ، ميزان الاعتدال (٣/ ٦١) رقم : ٥٥٩ ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣) رقم : ١٧ ، تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٤) رقم : ٣٢٨ ، شذرات الذهب (١/ ١٢٤)

(٣) [illegible] ترجمته ص:

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) صون المنطق (ص ١٢٥) .

(٦) تقدمت ترجمته .

(٧) تقدمت ترجمته .

(٨) انظر : طبقات أبي العرب (ص٨٢) رياض النفوس (١/ ٢٦٤ - ٢٦٥) ترتيب المدارك (٢/ ٣٠١ - ٣٠٢) .

وحادثة أخرى شبيهة بها ، وهى أن أسدا كان يفسر قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة : ٢٣) ، فقال له أحد فقهاء المعتزلة : إن المقصود الانتظار ففهم أسد غرضه وهو نفى رؤية الله سبحانه وتعالى . فقام إليه مهددا بضربه ، وأمره بالرجوع عن قوله ، ولم يتركه حتى رجع . (١)

وقد هم الناس أن يقتلوا سليمان الفراء لكونه كان جهميا وكان يقول بخلق القرآن ويدعو الناس إليه . (٢)

---

(١) رياض النفوس (١/٢٦٥) .

(٢) البيان المغرب (١/١١٩) .

الأسلوب الرابع : أسلوب المناظرة :-

هذا الأسلوب كان من أوسع أساليب المقاومة وأعمها ، ذلك أن كثيرا من علماء السنة المغاربة اتخذوه وسيلة فى مقاومة البدع عموما والمعتزلة خصوصا فى مجالس كانت تعقد بينهم لمعرفة المذهب الحق - كما ذكرت ذلك فى موضعه من هذا البحث - (١) وهو أسلوب قديم . استعمله السلف الصالح - رضى الله عنهم - مع المبتدعة ، ولعل أول من استعمله ومارسه معهم هو عثمان بن عفان (٢) - رضى الله عنه - مع الخارجين عليه ، الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، وسولت لهم انفسهم التسور على مقام الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - الذين انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه وهو عنهم راض وشهد لهم بالجنه فناظرهم عثمان ، وأزال شبهاتهم ، ولكن الشيطان كان قد أحكم سيطرته عليهم فلم يرض إلا بقتله ، فقتلوه - رضى الله عنه - وذهب إلى ربه شهيدا ، وكان من نصيبهم الخزى والعار . (٣)

ولما ولى الإمام على الخلافة من بعده ، لجأ هو أيضا إلى هذا الأسلوب لاقناع جماعات الخوارج الذين خرجوا عليه وحاربوه ، فرجع عدد كبير منهم ، وبقى كثير منهم على ضلالهم وانحرافهم . واستمر هذا الأسلوب مع عدد من الخلفاء من بعد ، كعمر بن عبد العزيز وغيره . ثم أصبح هذا الأسلوب هو الطريقة التى تتبعها الفرق المختلفة فى محاولة لنشر ضلالها وانحرافها فى الناس .

لقد برز فى ميدان المناظرة فى المغرب رجال كثيرون ، كان لهم شأن بديع فى مقاومة الاعتزال ودحض الشبه التى يطرحها رجاله ويحاولون أن يضلوا بها العامة . وكانت هذه المناظرات كلها تدور حول قضايا القرآن وصفات الله تعالى

---

(١) راجع (ص١٧٢-١٧٣) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) انظر: تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني (فصل خلافة عثمان)

والقدر ، وغيرها من القضايا التى تقول بها المعتزلة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المغرب لم يعرف كل الاصول الخمسة التى يقوم عليها مذهب المعتزلة وهى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإنما عرف أهم القضايا التى تشعبت عن الأصل الأول الذى هو التوحيد كمسائل خلق القرآن والأسماء والصفات ، وكقضية الجبر والاختيار التى تفرعت عن الأصل الثانى الذى هو العدل . وقد حاولوا جاهدين بث هذه القضايا بالمغرب ، ولكن أنى لهم ذلك وقد تكفل الله بحماية هذا الدين وإظهاره وكشف الدعاوى الباطلة التى يحاول الاعداء أن يلصقوها به . ولذلك فلا عجب أن نرى المذهب السنى ينتشر ويظهر ، بينما تزول وتفنى المذاهب الأخرى لأنها غير قادرة على إقناع الناس بباطلها . وفى ذلك يقول اللالكائى : " ثم إنه من حين حدثت هذه الآراء المختلفة فى الإسلام وظهرت هذه البدع من قديم الأيام لم تر دعوتهم انتشرت فى عشرة من منابر الإسلام متوالية ولا أمكن أن تكون كلمتهم بين المسلمين عالية ، أو مقالتهم فى الإسلام ظاهرة بل كانت داحضة وضيعة مهجورة وكلمة أهل السنة ظاهرة ومذاهبهم كالشمس نائرة ونصب الحق زاهرة وأعلامها بالنصر مشهورة وأعداؤها بالقمع مقهورة " (١)

وقد جاءت هذه المناظرات كنتيجة طبيعية لما كان يجري في المشرق من خلافات عقدية ، ولم يكن المغرب - كما قلت - بمنأى عن تلك الخلافات والصراعات الحادة ، بل كل ما كان يحدث فى المشرق يجد له صدى فى المغرب نتيجة الاتصال المستمر عبر الرحلات والمؤلفات أوعبر الهجرات التى كان يقوم بها رؤوس المذاهب هروبا بآرائهم علهم يجدون موضعا أضمن لهم ينشرون فيه باطلهم .

ومن خلال هذا البحث وجدت أن أول قضية أثيرت فى المغرب من قضايا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥/١) .

الاعتزال هى قضية القدر ، فهذا أبو قبيل المعافرى (ت ١٢٨) (١) الذى قدم فى جيش حسان بن النعمان (٢) غازيا سئل عن القدر فأجاب " لا أنا فى الإسلام أقدم منه ، فدين أنا فى الإسلام أقدم منه لا خير فيه " . (٣)

لقد كان على بن زياد (٤) من أوائل من قاوم الاعتزال عن طريق المناظرة والجدال ، فقد نقل صاحب رياض النفوس أنه بينما جماعة من الناس عند على بن زياد إذ دخل ابو محرز المعتزلى (٥) عليهم فسلم ثم جلس فقال لعلي بن زياد : "يا أبا الحسن قد تعلم ما بيننا وبينك من العشرة والمودة ، وقد أرى غير ذلك فَلِمَ ذلك ؟ فقال له علي بن زياد : يا محمود بلغني عنك أنك تقول : إن إبليس يستطيع السجود ، فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعنه فلعله قد سجد " فوجم أبو محرز وأخذ فى غير الجواب . (٦)

وفى مناظرة أخرى يقول له على بن زياد : " يا أبا محرز ما الذى أراده الله سبحانه وتعالى من عباده ؟ فقال : الطاعة . فقال : وما الذى أراده إبليس منهم ؟ فقال : المعصية . فقال : وأى الإرادتين غلبت ؟ فقال أبو محرز : أَقِلْنِي أقالك الله . فقال له على بن زياد : والله لا أقيلك حتى تتوب عن بدعتك" (٧)

---

(١) هو أبو قبيل حى بن هانئ المعافري المصري ، محدث قدم من اليمن وسكن مصر شارك فى فتح إفريقية وتوفى بالبرلسيين دمياط ورشيد سنة ١٢٧ أو ١٢٨ .
مصادر ترجمته : تهذيب التهذيب (٣ / ٧٢) رقم : ١٤٠ ميزان الاعتدال (١ / ٦٢٤) رقم : ٢٣٩٣ سير أعلام النبلاء (٥ / ٢١٤ - ٢١٥) رقم : ٨٦ شذرات الذهب (١ / ١٧٥) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) رياض النفوس (١ / ٩١) .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) رياض النفوس (١ / ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٧) رياض النفوس (١ / ٢٣٤) .

و يبين عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩) (١) أن المعتزلة و القدرية لا يثبتون أمام المناظرة الجادة. بل إن قواعدهم سرعان ما تتهاوى أمام النقد القوى و المنطق السوي و يعطينا الدليل على ذلك فيقول : " إذا اردت أن تكفر القدري فقل له : ما أراد الله عز و جل من خلقه فإن قال : أراد منهم الطاعة فقد كفر لأن منهم من عصى . وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله ، و إن قال : أراد منهم المعصية فقد كفر لأن منهم من أطاع وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله " (٢)

وكان للامام بقي بن مخلد (٣) على علمه بالحديث ، اهتمامات بمسائل العقيدة ولمواقف مشهودة مع المخالفين . وكان شديدا عليهم. ذكر صاحب تاريخ الأندلس (٤) عنه أنه ناظر خليل بن عبد الملك بن كليب الذى كان يقول بالقدر ولا يستتر منه ، ناظره مرة فى بعض قضايا الاعتزال فقال له :

أسألك عن أربع. فقال : وماهي ؟ فقال بقى : ما تقول فى الميزان ؟ قال : عدل الله ونفى أن تكون له كفتان .

فقال له : وما تقول فى الصراط ؟ فقال : الطريق ، يريد الإسلام فمن استقام عليه نجا . فقال له : وماتقول فى القرآن ؟ فلجلج ولم يقل شيئا . وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق .

فقال له : فما تقول فى القدر ؟ قال : أقول : إن الخير من عند الله و الشر من عند الرجل . فقال بقي : والله لولا حالة لاشرت بسفك دمك ولكن قم فلا أراك فى مجلسي بعد اليوم .

ولكن أبرز رجال المناظرة والجدل من علماء المغرب ، والذين كانت لهم

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رياض النفوس (١/٣٨٦) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) (١/١٣٩) .

مقامات مشهودة و مواقف محمودة مع المخالفين من أهل البدع ، نافحوا فيها عن الدين و فندوا شبه المخالفين هم : محمد بن سحنون و سعيد بن الحداد (١) ، اللذان اشتهرا بالمناظرة و التأليف فى آن واحد . فقد ألف الإمام محمد بن سحنون عدة مصنفات جيدة فى الرد على القدرية و المعتزلة مثل (كتاب الحجة على القدرية) و (كتاب الرد على أهل البدع) . وكان إلى جانب بروزه فى مجال التأليف ، قوى العارضة فى الجدل و المناظرة - كما تقدمت الإشارة إلى ذلك فى ترجمته - وله فى ذلك صولات و جولات مع كل الفرق و لا سيما المعتزلة و القدرية .

فلقد جاء فى ترجمته أنه حضر مجلس مناظرة وكان أبو سليمان النحوى (٢) و هو شيخ أقبل من المشرق وكان يذهب مذهب المعتزلة . فقيل لابن سحنون : لقد تناظر هذا الشيخ مع جماعة فهل لك فى مناظرته ؟ فقال ابن سحنون للشيخ : تقول أيها الشيخ أو تسمع ؟ فقال الشيخ : قل يا بنى . فسأله ابن سحنون : أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه ؟ فسكت الشيخ ولم يدل بجواب . ثم سأل ابن سحنون الشيخ عن سنه فأخبره بأنه فى الثمانين ، فقال ابن سحنون : اختلف العلماء فى الصلاة على الميت بعد سنة من موته إذا دفن ولم يُصَلَّ عليه . و الرأى الغالب أنه لا يصلى عليه ، و هذا الشيخ له ثمانون سنة و هو فى عداد الأموات.

ثم سئل محمد بن سحنون عن جواب سؤاله فقال : إن قال : كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر لأنه جعل القرآن ذليلا على مذهبه الذى يرى القرآن مخلوقا ، و الله يقول : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت : ٤٢) ، وإن قال : إنه لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل الحق " . (٣)

---

(١) تقدمت الترجمة لهما .

(٢) انظر عنه رياض النفوس (٤٤٩/١) التعليق الرقم : (١) .

(٣) رياض النفوس (٤٤٩/١ - ٤٥٠) .

وهذه المناظرة تدلنا على القدرة على الجدل التى كان يتمتع بها علماء المغرب وعلى معرفتهم بطرق الاستدلال بالقرآن الكريم فى الرد على المخالفين .

وحاول سليمان بن الفراء (١) إمام المعتزلة بالقيروان أن يورطه فيقول بحدوث الأسماء والصفات . فسأله : " يا أبا عبد الله : الله سمى نفسه ؟ " فأجاب ابن سحنون فى غاية السرعة : " الله سمى نفسه ولم يزل وله الأسماء الحسنى " (٢)
ووجه إليه إبراهيم بن أحمد (٣) مرة فسأله : " ما تقول فى يزيد بن معاوية (٤) فقال : أصلح الله الأمير لا أقول ما قالت الإباضيه ، ولا ما قالت المرجئة . قال : وماذا قالت ؟ قال : قالت الإباضية : إن من أذنب ذنبا فهو من أهل النار . وقالت المرجئة : لا تضر الذنوب مع التوحيد . أتى يزيد عظيما جسيما ، ويفعل الله فى خلقه ما أحب " (٥)

وبهذه الأجوبة تخلص الإمام محمد بن سحنون من الوقوع فى القول بحدوث القرآن والقول بحدوث الصفات ، كما رد فى جوابه الأخير على الخوارج والمرجئة وحتى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين .
وسئل فى مناظرة أخرى عن الإيمان أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فرد بأن الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . فالإقرار غير مخلوق وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة " (٦)

---

(١) تقدمت ترجمته .
(٢) رياض النفوس (١/٣٥١) .
(٣) الأمير الأغلبى . تأتى ترجمته .
(٤) تقدمت ترجمته .
(٥) تراجم أغلبية (ص ١٨١) .
(٨) رياض النفوس (١/٣٥٥) .

و يعتبر الامام سعيد بن الحداد (تقدمت ترجمته ص: ١٩٧) من أبرز رجال هذه المرحلة فى مناظرة المعتزلة عن طريق التأليف و المناظرة فى آن واحد . فقد ألف في الرد عليهم كتاب (الاستواء) الذى قال فيه : " و إن كان قصدنا فى هذا الكتاب إلى الرد على النافية لله بنفيهم لصفاته " (١)

و ألف كتابا آخر يرد فيه القول بخلق القرآن ، حيث انتشرت هذه المقالة الزائفة و ألفت فى إثباتها و الانتصار لها المصنفات من قبل رجال الاعتزال. حيث ألف سليمان بن ابى عصفور المعروف بالفراء (٢) كتبا فى القول بخلق القرآن (٣) و ألف محمد بن الكلاعى الفقيه (٤) كتابا يؤكد فيه هذا القول ، و هذا الكتاب ألفه فى الرد على كتاب الإمام سعيد ابن الحداد . الذى تقدم ذكره .

و تجدر الإشارة إلى أن إبراهيم بن محمد الضبى ألف فى مناقضة كتاب الكلاعى هذا و تسفية ما جاء فيه كتابا جيدا . (٥) إلى جانب بروزه و تفوقه فى مجال التأليف. فقد كان - أيضا - إماما فى مجال المناظرة ، وكانت له جولات كثيرة فى هذا المجال مع رجال الاعتزال . يقول المالكى " كانت له مجالس كثيرة مع أهل العراق القائلين بخلق القرآن من أهل القيروان " (٦)

و من خلال مناظرته للمعتزلة كما سيأتى نلاحظ أن الرجل كان ذا ذكاء حاد وقدرة فائقة على إبطال آراء المخالفين من أهل الأهواء و البدع .

---

(١) راجع كلامنا عن مؤلفات ابن الحداد (ص:١٩٨) .
(٢) تقدمت ترجمته .
(٣) الخشنى قضاة قرطبة (ص ٢٨) .
(٤) تقدمت ترجمته .
(٥) طبقات علماء إفريقية للخشنى (ص ٢٨٦) .
(٦) رياض النفوس (١/ ٧٠) .

أورد المالكى عدة مناظرات له ، نكتفى بواحدة منها تحقق الغرض من إيرادها فقد جاء أن ابن الحداد دخل على الأمير إبراهيم الثانى (الأمير التاسع من أمراء الدولة الأغلبية) (١) وكان بمجلسه قاضيه عبد الله بن هارون الكوفى (٢) ، وعبد الله بن الاشج (٣) و جماعة آخرون ، قال ابن الحداد : فتقدمت فأدنانى الامير منه ثم قام بعض المعتزلة و قال : أيها الامير : كثر التشبيه بالقيروان و فشا . و فهم ابن الحداد انه يريد تحريك الأمير لإثارة مواضيع يصل من ورائها إلى ضرب أهل السنة. ثم جرى الحديث عن كلام الله فسأل ابن الحداد : ممن سمع موسى الكلام ؟ فقال ابن الأشج : من الشجرة . فقال ابن الحداد : من ورقها أم من لحائها ؟ فسكت ابن الأشح ولم يدل بجواب. ولما سئل ابن الحداد عن المقصود من سؤاله ، أجاب: كل من زعم أن موسى سمع الكلام من الشجرة على الحقيقة فقد كفر لأنه يعنى أن الله تعالى لم يكلم موسى ولم يفضله بكلامه .

ولكن الأمير أراد ان يستمر فى مناظرة ابن الحداد فزعم أنه لا يقول : إن القرآن مخلوق كما يقول المعتزلة ولا غير مخلوق كما يقول غيرهم لأن الله لم يقل مخلوق ولا غير مخلوق. ولكن ابن الحداد فند قوله أيضا ، وبين تهافتم وعدم جدواه حين ألزم الأمير بقوله : فإن قال غيرك فى علم الله مثلما قلت . فقال : إن الله

---

(١) تأتى ترجمته

(٢) هو عبد الله بن هارون السودانى يعرف بابن الكوفى ، تولى القضاء بعد ابن عبدون ، فكان قاضيا نحو السنتين لإبراهيم الاغلبى ثم عزله. توفى سنة ٢٨٣ .

مصادر ترجمته : طبقات الخشنى (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) . وانظر أيضا : رياض النفوس (٢ / ٧٠) تعليق رقم : (١٧٦) .

(٣) تقدمت ترجمته .

لم يقل مخلوقا ولا غير مخلوق وسلك مسلك فى الكلام فأجاب الأمير : لو قال ذلك قسمته بسيفي . قال ابن الحداد : ولم ؟ قال : لأنه لو كان مخلوقا لكان قبل أن يخلق العلم جاهلا لأن ضد العلم الجهل . قال ابن الحداد قلت : فكذلك لا يقال فى الكلام : مخلوق ، لأنه لو كان مخلوقا لكان موصوفا قبل خلقه بضده ، وهو الخرس و مالزم فى العلم لزم مثله فى الكلام (١).

ولم تقف هذه المناظرة عند هذا الحد ، بل استمرت ولكن حول قضية أخرى وهى خبر الواحد هل يفيد اليقين أم لا ؟

ونحن نعلم أن خبر الواحد عند أهل السنة يفيد اليقين و يجب العمل به. يقول ابن عبد البر : " وأجمع أهل العلم من اهل الفقه والأثر فى جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع . على هذا جميع الفقهاء فى كل عصر من لَدُن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج والطوائف من أهل البدع شرذمة لا يعد خلافا " (٢) ومن هذه الطوائف المعتزلة وعموم المتكلمين .

يقول ابن الحداد : " ثم أخذ ابن الأشج فى مدح أهل العراق (٣) وتفضيلهم على أهل الحجاز (٤) فقال : لقد قال أسد : سألت مالكا فأجابني وسألته عن أخرى فأجابني وسألته مسألة أخرى فأجابني . فقال لى رجل كان واقفا على رأس مالك : إن أردت التشقيق فعليك بالعراق .

---

(١) رياض النفوس (٢/٧١ - ٧٢) .
(٢) التمهيد (١/٢) .
(٣) المقصود أهل الرأى .
(٤) المقصود أهل الاثر.

قال ابن الحداد عند ذلك : فقلت له : " أيها الأمير : هذا وأصحابه يزعمون أن أبا بكر - رضى الله عنه - إذا انفرد بخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم تقم به حجة. وأن عمر - رضى الله عنه - كذلك وأن عثمان وعليا كذلك ، وها هو يريد أن يقيم الحجة فى تفضيل أهل العراق على أهل المدينة بخبر رجل لا يعرف من هو من جميع البرايا " .

ثم قال ابن الحداد : " فما نطق ابن الأشج ولا أصحابه بكلمة غير : ويحك يا سعيد " (١)

وهناك مناظرة أخرى له ذكرها الخشنى فى طبقات علماء افريقية (٢) تتعلق هذه المرة بصفات الله تعالى ، دارت بينه وبين سليمان الفراء. حيث سأل سليمان الفراء ابن الحداد يوما بقوله : يا أبا عثمان إ اين كان ربنا إذ لا مكان ؟ فأجاب ابن الحداد : السؤال محال فقولك : أين كان يقتضى المكان ، وقولك : اذ لا مكان ينفى المكان فهذا نعم لا ، قال سليمان فكيف كان ربنا إذ لا مكان ؟ فأجاب ابن الحداد هذا السؤال صحيح ثم قال : الجواب أنه الآن على ما عليه كان ولا مكان (٣)

وممن اشتهر - ايضا - بمقاومة الاعتزال عن طريق المناظرة والتأليف فى آن واحد محمد بن محبوب (ت ٣٠٧) (٤) فقد ذكر الخشنى عنه أنه ناظر بعض القدرية ذات يوم فى مسألة القدر . قال الرقادى (٥) الذى روى الخبر فأخذ ابن محبوب كتفا بين يديه وجعل يوقع فيها تناقض مقالة القدرية حتى ملأها ثم قرأها فما رأيت كلاما أوعب لعيون المعاني من كلامه " (٦)

---

(١) رياض النفوس (٢ / ٧٣) .

(٢) (ص ١٩٩) .

(٣) الخشنى : طبقات علماء إفريقية (ص ١٩٩) .

(٤) ترجمته فى طبقات الخشنى (ص ٢١٣) .

(٥) تأتي ترجمته

(٦) طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٢١٣) .

الأسلوب الخامس: المقاومة عن طريق التأليف :-

هذا الأسلوب - كما قلت - لجأ إليه أهل المغرب مضطرين ، إذ لم تكن طريقتهم الكتابة فى مسائل العقيدة ، حتى لا يفتحوا بابا يصعب بعد ذلك سده ، ولكن عند ما اضطروا لذلك ، ورأوا أهل البدع نشطين فى بث سمومهم عن طريق التأليف . ورأوا البدع تظهر على حساب السنن ، عند ذلك لم يعد لهم عذر فى السكوت على الباطل . بل رأوا أنه أصبح من الواجب عليهم أن يردوا على أهل البدع بأسلوبهم حتى يظهر الحق ويزهق الباطل (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الاسراء : ٨١) .

من هنا جاء التأليف فى مسائل العقيدة على اختلافها ، ومنها التأليف فى الرد على أهل الاعتزال وبرز فى هذا الميدان كثير من علماء المغرب كانوا لسان أهل السنة الذاب عن حياض هذا الدين . وكانوا على دراية واسعة بأساليب المخالفين ومقاصدهم . ومعرفة تامة بمسالك الرد عليهم . وإذا كنت قد ذكرت فى الأسلوب السابق العلماء الذين جمعوا بين المناظرة والتأليف فى الرد على المعتزلة . فإننى فى هذه المرة اقصر القول على الذين برزوا فى مجال التأليف وحده . وليس معنى ذلك أن هؤلاء الذين سأذكرهم لم تكن لهم مشاركة فى أسلوب المناظرة ، وإنما المقصود أن بروزهم كان فى مجال التأليف أقوى وأظهر ولذلك اقتصرت على هذا الجانب من جهودهم .

وحين أتحدث عن كتب الرد على المعتزلة يجدر بى أن أشير إلى تلك المؤلفات التى ألفت فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، ففى بيان هذه العقيدة وتقريرها رد على أهل العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة ، ومنهم المعتزلة وإبطال لمعتقداتهم الفاسدة . ولذلك نلاحظ أن من العلماء من كان يشفع كلامه عند تقرير أصل من أصول الدين على منهج أهل السنة يشفع كلامه على ذلك بقوله " ففيه رد على المعتزلة أو على القدرية ، أو على غيرهم " .

لقد كان الإمام ابن ابى زيد القيروانى من أوائل من أُلف فى الرد على القدرية والمعتزلة وكان مبرزا فى هذا الجانب كما كان مبرزا فى مجال الفقه والحديث ، حيث ألف فى الرد على القدرية كتابا ، وألف رسالة فى (مناقضة رسالة البغدادى المعتزلى) التى قال عنها ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى (١) : " من وقف عليها علم أنه كان نهاية فى علم أصول الدين " وكان السبب فى تأليفه هذه الرسالة أن رجلا من أهل الاعتزال يدعى على بن أحمد بن اسماعيل البغدادى (٢) نزيل مصر الذى انتسب إلى المذهب المالكى ليروج لبدعته لدى العامة ، وكتب إلى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها إلى مذهب الاعتزال والقول بالقدر وبخلق القرآن ، وغير ذلك مما تقول به المعتزلة ، لأن ذلك كله كان مذهب الإمام مالك - رحمه الله - فأجابه ابن أبى زيد القيروانى برسالته هذه التى ظهر فيها علمه وقدرته على الحجاج والرد على أهل الأهواء . ونفى عن مالك وأصحابه جميع ما نسب إليهم المعتزلى ، وجعل يحتج على نقض قوله فى القدر بكلام مالك البديع فى رسالته فى القدر (٣) .

ولما أنكرت المعتزلة رؤية الله تعالى فى الآخرة ألف علماء المغرب فى الرد عليهم وإثبات الرؤية عدة مصنفات ، مثل (كتاب الرؤية) ليحي بن عمر و (كتاب ما جاء من الحديث فى النظر إلى الله تعالى) لابن وضاح (٤) .

وهناك كتابان فى الرد على القدرية كشف عنهما الدكتور محمد الطابى (٥) من تأليف عالمين قيروانيين . أحدهما (كتاب السنة) لأحمد بن يزيد القرشى

---

(١) (ص : ١٢٢) .
(٢) لم أعثر له على ترجمة .
(٣) ترتيب المدارك (٢/٤٨٦) .
(٤) تقدم الحديث عن الكتابين .
(٥) باحث تونسى .

(ت ٢٨٤) [١] وثانيهما (كتاب الحجة) ليحى بن عون الخزاعى [٢] (ت ٢٩٨) .

ويشير الدكتور الطالبى أن لهذين الكتابين أهمية كبيرة [٣] .

أما الكتاب الأول : فينكر فيه المؤلف رأى القدرية ، ويرد رأى الجبرية كذلك ويوصى فيه بعدم الصلاة خلف واحد من أتباع هذين المذهبين ، ويظهر من الكتاب تمسك صاحبه بمذهب مالك - رحمه الله - فهو يحذر من البدع ويندد بأصحابها وينقل عن عدد كبير من الصحابة والتابعين وتابعيهم آثاراً فى الدفاع عن السنة . وعلى هذه الآثار يبنى قوله بعدم قدرة الإنسان وعجزه التام عن فعل شيء بمفرده إلا بمعونة من الله تعالى . ويبين بأن الله علم ما هو خالق وما الخلق عاملون ثم كتبه .

وأما الكتاب الثانى فهو يختلف عن الأول من حيث المنهج حيث يقل اعتماده على الآثار كثيرا ، بينما يلاحظ تعمقه الكبير فى مناقشة آراء المعتزلة مناقشة عقلية فلم يكتف بعرض الآثار كما فعل احمد بن يزيد بل حاول أن يقارع خصمه بالحجج العقلية ، فهو يرد عليهم فى زعمهم بأن الله خلق الخير وأمر به ولم يخلق

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشى المعروف بالمعلم ، كان ثقة فاضلا ورعا نزيها عابدا ، سمع من سحنون والصمادحى . توفى سنة ٢٨٤ وقد زاد على التسعين .
مصادر ترجمته : معالم الايمان (٢ / ٢٠٠ - ٢٠١) رقم : ١٣٥ ، رياض النفوس (١ / ٤٧٣ - ٤٧٤) رقم : ١٥٤ .

(٢) ... ترجمته .

(٣) هذان الكتابان ذكرهما محمد الطالبى ضمن مقال له عن الاعتزال باللغة الفرنسية (الجديد عن الاعتزال) فنشره فى كتاب له بعنوان (دراسات فى تاريخ إفريقية فى الحضارة الاسلامية فى العصر الوسيط) منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٩ - ٤١٩ .
والكتابان : يوجدان ضمن المكتبة العتيقة بالقيروان .

الشر ولو خلقه لأمربه ، وزعمهم هذا يؤدي بهم إلى أن هناك إلهين : إلها للخير وإلها للشر. كما هو رأى المنانية والزنادقة (١) ويبين أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الذى يقول بأن الله هو الخالق الأوحد ، كل شيئ منه الخير والشر ، قدر كل ذلك وكل من ادعى غير ذلك فليس بمسلم .

ويرد عليهم - أيضا - فى زعمهم أن الله لا يعلم الأشياء إلا حال وقوعها ويعتمد فى رده على النقل والعقل فى آن واحد . ويعيب عليهم أولا اقتصارهم على القرآن دون السنة. والقرآن حَمَّالٌ ذو وجوه ، لذلك فلا يكفى الاقتصار عليه ، بل لابُدَّ من وجود السنة إلى جانبه حتى نفهم المقصود من خطابه ، فللسنة أهمية عظيمة لا تقل عن أهمية القرآن . وهى - أيضا - وحي من الله تعالى ، ولو أن المسلمين اقتصروا على القرآن وحده لما عرفوا كيف يصلون ولا كيف يزكون ولا كيف يعبدون الله ثم إن القرآن نفسه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل طاعته طاعة لله تعالى .

ويلاحظ من الكتابين أنه لم يرد فيهما ذكر لأئمة الاعتزال فى المشرق كواصل بن عطاء والعلاف (٢) والنظام (٣) ولا لأعلام الاعتزال فى المغرب

---

(١) المانوية ويقال المنانية يقول الشهرستانى فى تعريفهم فى كتابه الملل والنحل (١/ ٢٢٤) : " هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمن سابور بن اردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. حكى محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق - وكان فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم : أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما : نور والآخر: ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا . وانكر وجود شيئ إلا من أصل قديم " .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو أبو اسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى النظام ، من أئمة المعتزلة تبحر فى علوم الفلسفة والكلام ، وانفرد بآراء خاصة تابعهُ فيها جماعة من أصحابه سموا " النَّظَّامِيَّة " توفى سنة ٢٣١ .
مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١ - ٥٤٢) رقم: ١٧٢ . لسان الميزان (١/ ٦٧) رقم: ١٧٣ تاريخ بغداد (٦/ ٩٧- ٩٨) رقم: ٣١٣١ .

إنما كان اهتمامها منصبا على رؤوس الفتنة كجهم بن صفوان (١) وغيلان الدمشقى (٢) وبشر المريسى (٣) فى المشرق والفراء (٤) فى المغرب .

ومن تعرض فى مصنفاته لآراء المعتزلة بالتفنيد والإبطال ، الامام ابن عبد البر فى عدة مواضع من كتابه التمهيد وغيره من مصنفاته وناقشهم فى قضايا الاعتزال ورجاله ، فهو يذكر مثلا من أعلامهم ابراهيم بن سيار النظام (٥) وجعفر بن حرب (٦) وجعفر بن مبشر (٧) ومحمد بن عبد الله الإسكافى (٨) ويقول : " وهؤلاء

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) هو جعفر بن حرب الهمذانى من أئمة المعتزلة ونساكهم. من أهل بغداد أخذ الكلام عن العلاف بالبصرة وله مؤلفات كثيرة فى علم الكلام توفى سنة ٢٣٦
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٧/١٦٢ - ١٦٣) رقم: ٣٦٠٩ ميزان الاعتدال (١/٤٠٥) , سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٩ - ٥٥٠) رقم: ١٨١ . لسان الميزان (٢/١١٣) رقم: ٤٥٦ .

(٧) هو جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفى ، متكلم من كبار المعتزلة ، له آراء انفرد بها وله تصانيف. وكان ذا خطابة وبلاغة وزهد . توفى سنة ٢٣٤ .
مصادر رتجمته : تاريخ بغداد (٧/١٦٢) رقم: ٣٦٠٨ سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٩) رقم: ١٨٠ لسان الميزان (٢/١٢١) رقم: ٥٠٧ .

(٨) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى البغدادى ، أحد متكلمي المعتزلة كان خياطا وأخذ الكلام عن أبي جعفر بن حرب. وكان ذكيا. له عدة مصنفات فى الكلام توفى سنة ٢٤٠ .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٥/٤١٦) رقم: ٢٩٢٩ لسان الميزان (٥/٢٢١) رقم: ٧٧٣ .

معتزلة أئمة في الاعتزال عند منتحليه " (١).

ويقول في موضع آخر : " بشر بن المعتمر (٢) وأبو الهذيل (٣) من رؤساء المعتزلة وأهل الكلام " ويصف بشر بن غياث بأنه مبتدع . (٤)

كما أن مناقشته لهم تدل على علم ومعرفة بمذهب الاعتزال . وقد تركزت مناقشته لهم على أهم القضايا التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ، فناقشهم في تأويلهم الاستواء في قوله تعالى : (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (طه : ٥) بالاستيلاء. وهو في مناقشته لهم لا يرد على المعتزلة فحسب بل على جميع الطوائف الذين يذهبون مذهبهم في التأويل كالأشعرية وغيرهم .

فيبين بأن قولهم في الاستواء استيلاء تأويل باطل لا تقوم به حجة ولا معنى له " لأنه غير ظاهر في اللغة. ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد . ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد المجاز " (٥)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٢) .

(٢) هو أبو سهل بشر بن المعتمر البغدادي ، أحد متكلمي المعتزلة ، وإليه تنسب الطائفة البشرية من المعتزلة له مصنفات عدة في الاعتزال ، وله قصيدة من أربعين ألف بيت رد فيها على المخالفين توفي سنة ٢١٠ .
مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٣) رقم : ٤٦ ، لسان الميزان (٢/ ٣٣) رقم : ١١٥ ، الملل والنحل (١/ ٦٤) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٣) .

(٥) التمهيد (٧/ ١٣١) .

ثم يأتي إلى ما احتجوا به من الآيات في زعمهم ، فيبين وجه الحق منها وأنها لا تخدمهم لأنها بعيدة عن تأويلهم كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) (الزخرف : ٨٤) وقوله سبحانه : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) (الأنعام : ٣) وقوله عز من قائل : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) (المجادلة : ٧) .

فيقول بعد إيراد هذه الآية : " وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته لهذه الآيات " (١) فيبطل هذا هذا الزعم ، وهذا التأويل الفاسد ويبين بأن المراد من هذه الآيات أنه تعالى : " في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الارض إله معبود من أهل الارض " قال : " وكذلك قال أهل العلم بالتفسير " . (٢)

ثم يفند شبهتهم الأخرى التي يتمسكون بها وهي - هذه المرة - شبهة عقلية حيث يقولون : " أنه لو كان في مكان لأشبه المخلوقات لأنه ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق " بأن هذا شيئ لا يلزم ولا معنى له لأنه " عز وجل ليس كمثله شيئ من خلقه ولا يقاس بشيئ من بريته ولا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس ، لا إله إلا هو ، كان قبل كل شيئ ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما وهو الباقي بعد كل شيئ " (٣)

ويفند ما استدلوا به أيضا من تفسير ابن عباس لقوله تعالى (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (طه : ٥) بأنه " استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان " بأنه قول في غاية التهافت من حيث السند إلى ابن عباس . فيقول : " إن هذا الحديث

---

(١) التمهيد (١٣٤/٧) .

(٢) نفس المصدر (١٣٤/٧) .

(٣) نفس المصدر (١٣٤/٧) .

منكر عن ابن عباس ، و نقلته مجهولون ضعفاء . فأما عبد الله بن داود الواسطي (١) وعبد الوهاب بن مجاهد (٢) فضعيفان و ابراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف (٣) ثم هناك مطعن آخر يطعن به ابن عبد البر على استدلالهم بهذا الأثر و هو أنهم " لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا و أنصفوا " (٤)

كما ناقشهم في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة ، و نفيهم لها . و احتج عليهم بقوله سبحانه لموسى عليه السلام (وَلَٰكِن انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) (الاعراف : ١٤٣) فهذه الآية - كما يقول - " فيها دلالة واضحة على أنه تعالى يرى في الآخرة إذا شاء ، و لم يشأ ذلك في الدنيا بقوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الانعام : ١٠٣) .

ووجه الدلالة من آية الأعراف أن الله علق الرؤية بأمر ممكن حصوله و هو استقرار الجبل ، و لو كانت الرؤية مستحيلة لعلقها بأمر مستحيل . كما فعل في دخول الكافرين الجنة حيث علقها بأمر مستحيل و هو دخول الجمل في سم الخياط.

---

(١) هو ابو محمد عبد الله بن داود الواسطي النجار قال الإمام البخاري فيه نظر و قال النسائي ضعيف. وقال ابو حاتم ليس بالقوي في حديثه مناكير وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج بروايته . انظر عنه : الضعفاء و المتروكين للنسائي (ص ٦٤) المجروحين لابن حبان (٢/ ٣٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٥-٤١٦) رقم: ٤٢٩٤ تقريب التهذيب (ص ٣٠٢) رقم: ٣٢٩٨ .

(٢) هو عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي متروك كذبه الثوري. وقال أحمد : ليس بشيء ، ضعيف . وقال النسائي : متروك . انظر: الضعفاء و المتروكين للنسائي (ص٦٩) ، المجروحين لابن حبان (٢/ ١٤٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٨٢-٦٨٣) رقم: ٥٣٢٤ تقريب التهذيب (ص٣٨٨) رقم: ٤٢٦٣ تحقيق عوامة.

(٣) لم أعثر له على ترجمته .

(٤) التمهيد (٧/ ١٣٢) .

وهناك أدلة أخرى غير هذا الدليل تؤكد الرؤية بما لا يدع مجالا للشك أو الريبة وهى قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة : ٢٣) . يقول ابن عبد البر فى توجيه هذه الآية : " وإنما منعوا منها فى الدنيا لأن عيون الخلائق لم تعط تلك القوة التى بها يستطيعون النظر إلى الله . وعلى هذا التأويل فى هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأى " (١)

وفى معرض التشنيع عليهم ووصمهم بما هم أهله من البدعة والضلال يقول عند شرحه لحديث الحوض (٢) الذى يَرِدُهُ المؤمنون المتبعون لسنة النبى عليه الصلاة والسلام ليشربوا منه شربة لا يظمئون بعدها أبدا - جعلنا الله منهم بِمَنِّهِ وكرمه - .

وعند قوله عليه الصلاة والسلام فيمن يُذَادُونَ عن الحوض لانهم بدلوا وغيروا بعده صلى الله عليه وسلم : " فسحقا " يقول : " وكل من أحدث فى دين الله ما لا يرضاه ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه - والله أعلم - وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة فهؤلاء كلهم يبدلون .... الخ كلامه فى هذا المعنى " (٣) ويقول فى موضع آخر : " كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع : الخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر فرق المبتدعة ، وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر فى جميع الامصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه وهم أهل الحق " (٤) .

---

(١) التمهيد (١٥٧/٧) وهو يشبه كلام الامام مالك- رحمه الله - الى حد بعيد ، راجع حديثنا عن عقيدة الإمام مالك (ص ١٤٧) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) التمهيد (/٢٠) .

(٤) التمهيد (٧٠/١٩) .

ومرة يذكرهم ببدعتهم دون التصريح باسمهم فيقول عند شرحه لحديث الشفاعة " والجماعة وأهل السنة على التصديق بها ولا ينكرها إلا أهل الابتداع " (١)

وممن تناول آراء المعتزلة بالنقد وتناول رجالهم بالطعن عليهم والتسفيه لمذاهبهم الإمام أبوعمرو الدانى (٢) ، حيث انتظمهم فى قصيدة طويلة وأعلن زيفهم وانحرافهم. وبين مذهب أهل السنة فى القرآن وأنه كلام الله المنزل من عند الله ليس بخالق ولا مخلوق حيث يقول :

والقول فى كتابه المفضل	بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبى الصادق	ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه إنه مخلوق	أو محدث فقوله مروق
والوقف فيه بدعة مضلة	ومثل ذلك اللفظ عند الجلة
كلا الفريقين من الجهمية	الواقفون (٣) فيه واللفظية (٤)
أهون بقول جهم (٥) الخبيث	وواصل (٦) وبشر المريسى (٧)

---

(١) التمهيد (١٩/٦٩) وهذا الكلام يصدق على المعتزلة والخوارج فى آن واحد لأنهم جميعا ينكرون الشفاعة .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الواقفون : ويقال لهم الواقفة : وهم الذين لا يقولون : إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق . انظر : مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الاشعرى (٢/٢٤٦) طبعة مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الاولى ١٣٧٣/١٩٥٤) تحقيق محى الدين عبد الحميد .

(٤) اللفظية : هم الذين يقولون : لفظى بالقرآن مخلوق وهم فى ذلك يجرون مجرى القائلين بخلقه .
نفس المصدر (٢/٢٤٦)

(٥) هو جهم بن صفوان : تقدمت ترجمته .

(٦) هو واصل بن عطاء : تقدمت ترجمته .

(٧) تقدمت ترجمته .

ذى السخف وَالجهل وذى الفساد	معمر (١) وابن ابى داود (٢)
وابن عبيد (٣) شيخ الاعتزال	وشارع البدعة والضلال
والجاحظ (٤) القادح فى الإسلام	وجبت هذه الأمة النظام (٥)
والفاسق المعروف بالجبائى (٦)	ونجله السفيه ذى الخناء (٧)

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو أبوعبدالله أحمد بن أبى دوَاد بن جرير بن مالك الإيادى القاضي ولد سنة ١٦٠ فى بلدة قنسرين وقدم به أبوه إلى دمشق فطلب العلم وصحب هياج بن العلاء السلمى من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال . اتصل بالمأمون والمعتصم والواثق وكان مقربا لديهم . وهو الذى حطهم على امتحان الناس بخلق القرآن . توفى سنة ٢٤٠ ببغداد مفلوجا .

مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (١/ ٨١ - ٩١) رقم: ٣٢ ، تاريخ بغداد (٤/ ١٤١ - ١٥٦) رقم : ١٨٢٥ ، لسان الميزان (١/ ١٧١) رقم: ٥٤٧ ، الأعلام للزركلى (١/ ١٢٤) .

(٣) هو عمرو بن عبيد . تقدمت ترجمته .

(٤) ترجمته .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) هو أبوعلى محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى البصري المعتزلي ، متكلم مفسر ولد بجبا بخوزستان سنة ٢٣٥ وإليه تنسب الطائفة الجبائية وتوفى بالبصرة سنة ٣٠٣ ، ودفن بجبا من آثاره : تفسير القرآن .

مصادر ترجمته : الملل والنحل (١/ ٧٨ - ٨٥) المنتظم (٦/ ١٣٦) ، وفيات الاعيان (٤/ ٢٦٧ - ٢٦٩) رقم: ٦٠٧ ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣- ١٨٤) رقم: ١٠٢ ، شذرات الذهب (٢/ ٢٤١) .

(٧) نجله : هو أبو هاشم عبد السلام بن أبى على محمد بن عبد الوهاب البصرى المتكلم المشهور . قال عنه الذهبى : هو شيخ المعتزلة وابن شيخهم . توفي ببغداد سنة : ٣٢١ .

مصادر ترجمته : العبر (٢/ ١٢) طبعة دار الكتب العلمية (١٤٠٥/ ١٩٨٥) تاريخ بغداد (١١/ ٥٥- ٥٦) رقم: ٥٧٣٥ المنتظم لابن الجوزى (٦/ ٢٦١) لسان الميزان لابن حجر (٤/ ١٦) .

و اللاحقي (١) و أبي الهذيل (٢) مؤيدي الكفر بكل ويل
و ذي العمى ضرار (٣) المرتاب و شبههم من أهل الارتياب

و هي أبيات تكشف عن مدى الكره و البغض الذي يكنه أهل السنة لأهل الأهواء و البدع .

و ممن تناولهم بالرد - أيضا - الإمام ابن بطال (٤) في شرحه لصحيح البخاري عند تناوله للأحاديث المتعلقة بمسائل العقيدة . و منها ما تتعلق برؤية الله تعالى في الآخرة التي ينكرها المعتزلة . فنجده يفند و يبطل ما تمسكوا به من " أن الرؤية توجب كون المرئي محدثا و حالاً في مكان " فيبين بأن استدلالهم هذا " فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود و الرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي " .

ثم يأتي إلى الأدلة الأخرى التي تمسكوا بها و هي قوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الانعام : ١٠٣) و قوله تعالى : (لَن تَرَانِي) . فأما الدليل الأول ، فمعناه " أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعا بين دليلي الآيتين

---

(١) لم اعثر له على ترجمة .
(٢) تقدمت ترجمته .
(٣) هو ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة و شيخ الضرارية كانت له مقالات خبيثة فيها أن الجنة و النار غير مخلوقتين الآن . وقال عنه ابن حزم : كان ضرار ينكر عذاب القبر شهدوا عليه بالزندقة و أبيح دمه . قال الذهبي : له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه . مصادر ترجمته :
سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٤ - ٥٤٦) رقم : ١٧٥ ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩) رقم : ٣٩٥٢ ، لسان الميزان (٣/٢٠٣) رقم : ٩١٢ ، الفرق بين الفرق (٢٠١) .
(٤) تقدمت ترجمته .

وبأن نفي الادراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته " .

وأما الدليل الثاني وهو قوله تعالى (لَن تَرَانِي) " فالمراد في الدنيا جَمْعاً أَيْضاً ، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته " (١)

ولكن أحسن من وجدته ناقش مسألة الرؤية هذه من علماء المغرب هو الامام ابن حزم - رحمه الله - حيث بين تهافت أدلتهم التي تمسكوا بها بناء على أصلهم الفاسد الذي أصلوه لأنفسهم .

فبين أن قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الانعام : ١٠٣) الذي استدلوا به على مذهبهم لا تقوم لهم به حجة " لأن الله إنما نفي الإدراك ، والإدراك في اللغة معنى زائد على النظر . وهو معنى الإحاطة. وليس هذا المعنى في النظر والرؤية. فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة . "

والدليل على أن الإدراك في الآية ليس بمعنى الرؤية قوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ : كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء : ٦١) .

ففرق الله بين الإدراك والرؤية فرقا جليا لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فَصَحَّتْ منهم الرؤية لبني إسرائيل ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام : (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (٢)

وهذا المعنى الذي قرره ابن حزم - رحمه الله - هو الذي ذهب إليه أئمة العلم إذ قالوا " إن الله عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه . وذلك أن الادراك

---

(١) انظر فتح الباري (٤٢٦/١٣) نقلا عن شرح ابن بطال لصحيح الإمام البخاري .

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل (١/٣) .

يتضمن الإحاطة بالشيء و الوصول إلى أعماقه و حوزه من جميع جهاته. و ذلك كله محال فى أوصاف الله تعالى . و الرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائى بالمرئي و يبلغ غايته ، وعلى هذا التأويل يترتب العكس فى قوله (وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (الانعام : ١٠٣) . (١)

كما ناقش الإمام ابن حزم مَنْ تعسف من المعتزلة و حصل كلام الله على غير ظاهره. و هو أبو علي الجبائى (٢) الذى زعم أنه حرف الجر " الى " فى قوله تعالى (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة : ٢٣) ليست بحرف جر لكنها الآلاء ، وهى واحده النعم فهى موضع مفعول . و معناه " نِعَمَ ربها منتظرة) .

فيبطل ابن حزم هذا الزعم ، و يبين تهافته من وجهين : الاول : " أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حَصَلت لها النضرة و هى النعمة ، فإذا حصلت لها فبعيد أن ينتظر ما قد حصل لها و إنما ينتظر ما لم يحصل بعد " .
الثانى : " ما تواتر من الأخبار عن النبى صلى الله عليه و سلم ببيان أن المراد بالنظر الرؤية لا ما تأوَّلَهُ التأولون .

كما يبطل قولهم : إنها من الانتظار. أى منتظرة لثواب ربها ، من جهة اللغة " لأنه لا يقال فى اللغة نظرت إلى فلان بمعنى انتظرته " (٣) .

و ممن تناول آراء المعتزلة بالرد و النقض الامام المازرى فى كتابه (المعلم فى فوائد مسلم) فى مواضع متفرقة منه . عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالجانب العقدى . ففى شرحه لحديث : " من مات و هو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة " (٤) ،

---

(١) المحرر الوجيز (٦/١٢٣) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الفصل (٣/٣) .

(٤)

يقول : " اختلف الناس فيمن عصى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان . وقالت الخوارج : تضره المعصية ويكفر بها . وقالت المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر . ولكن يوصف بأنه فاسق وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن ، وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة " .

قال المازرى بعد عرض رأى كل فرقة : " وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة " (١) ويرد قولهم هذا في موضع آخر عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن " (٢) حيث يقول : " قيل : معنى مؤمن ، أى آمن من عذاب الله ويحتمل أن يحمل على أن معناه أن يكون مستحلا لذلك . وقيل : معناه كامل الإيمان " قال : وهذه التأويلات تدفع قول المعتزلة

---

(١) المعلم (١/٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم (باب النُّهْبَى بغير إذن صاحبه) رقم الحديث: ٢٤٧٥ ، فتح البارى (٥/١١٩) وفى كتاب الأشربة (باب إنما الخمر والميسر ....) رقم الحديث : ٥٥٧٨ فتح البارى (١٠/٣٠) وفى الحدود (باب السارق حين يسرق) رقم : ٦٧٨٢ الفتح (١٢/٨١) وباب (إثم الزناة) رقم : ٦٨٠٩ ، ٦٨١٠ ؛ الفتح (١٢/ ١١٤) .
وأخرجه مسلم في الإيمان (باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصى) رقم : ٥٧ صحيح مسلم (١/٧٦ - ٧٧) .
وأبو داود في كتاب السنة (باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) رقم: ٤٦٨٩ سنن أبى داود (٤/٢٢١) .
والترمذى فى الإيمان (باب لا يزني الزاني وهو مؤمن) رقم : ٣٦ ٩٣٢السنن (٥/١٧) .
وابن ماجه في الفتن (باب النهى عن النهبة) رقم: ٣٩٣٦ سنن ابن ماجه (٢/١٢٩٨ - ١٢٩٩) والدارمي في كتاب الأشربة (باب في التغليظ لمن شرب الخمر) (٢/١١٥)
وتمام الحديث " ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق

إن الفاسق الملي لا يسمى مؤمنا تعلقا منهم بهذا الحديث ، وإذا احتمل ما قلناه لم تكن لهم فيه حجة " (١)

وفي موضع آخر عند قوله عليه الصلاة والسلام : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " (٢)

يقول : " في الحديث رد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة . لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل لا بد أن يعذبه " . (٣)

كما رد عليهم في قولهم بالواجب العقلي ، وكذلك رد عليهم في مسألة

= وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .

(١) المعلم بفوائد مسلم (١/٢٩٤)

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان (باب : حدثنا أبو اليمان ..) رقم : ١٨ الفتح (١/٦٤ -)

وفي كتاب مناقب الأنصار (باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة) رقم : ٣٨٩٢ الفتح (٧/٢١٩) .

وفي كتاب الحدود (باب الحدود كفارة ، وباب توبة السارق) رقم : ٦٧٨٤ ، ٦٨٠١ الفتح (١٢/٨٥ ، ١٠٨) .

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود (باب الحدود كفارات لأهلها) رقم : ١٧٠٩ صحيح مسلم (٣/١٣٣٣ - ١٣٣٤) .

والنسائي في البيعة (باب ثواب من وفى بما بايع عليه) (٧/١٤٤) .

والدارمي في كتاب السير (باب في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم) (٢/٢٢٠)

(٣) فتح الباري (١/٧٥) . ==

رؤية الله تعالى يوم القيامة و نفيهم لها .[١]
وممن رد عليهم أبو عبد الله محمد بن الفتح المرجي المعروف بابن الصواف[٢]، الذي رد عليهم في إنكارهم الكرامات الثابتة لأولياء الله. حيث يقول: "إن القول بالكرامات رد على المعتزلة وبعض فيهم وما أدركت أحداً اقتدي به في ديني بالمشرق ولا بالمغرب إلا وهو يقول بالكرامات ويتزين بذكرها في كل الأوقات"[٣]
ولعلى بهذا أكون قد وضحت حقيقة الصراع العقدى بين علماء المغرب السنيين وبين المعتزلة وقد بينت مدى مقاومتهم لهم ، واتخاذهم الوسائل العديدة فى الدفاع عن السنة ضد المبتدعين من أهل الكلام .

---

(١) تجدر الإشارة هنا الى ان مقاومه الاعتزال استمرت فى المراحل التالية لمرحلتنا حيث تذكر كتب التراجم أنه لما دخلت كتب الزمخشري وبخاصه كتابه (الكشاف) إلى الإندلس انكر علماء السنة على من جلبه إليها من المشرق ،كما فعل الامام الفقيه ابو الحسين محمد بن محمد بن زرقون -رحمه الله- الذى كان من مفاخر اشبيليه وكان شيخ المالكية فى عصره ، حيث كان ينعى على ابى العباس احمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمى (ت٦٤٣) جلبه كتاب الكشاف للزمخشرى إلى الاندلس لما تضمنه من المذهب الاعتزالى وقال" قد كانت الأندلس منزهه عن هذا وأشباهه ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر فى مثله وان فى غيرة من تصانيف فى التفسير غينه عنه ".
انظر الذيل والتكمله لكتابى الموصول والصله للمراكشى (١ / ١ / ٣٠-٣١) .
وممن انتقد كتاب الكشاف من المغاربه ، ابو بكر يحيى بن احمد السكونى (ت٦٢٦) فى كتابه (الحسنات والسيئات) الذى انتقى فيه مستطرف غرائبه البيانية وابدى ايضا ما تضمنه من سوء انتحاله فى ركيك اعتزاله .
انظر نيل الابتهاج (ص ٣٥٥) .
وكذلك ابو على السكونى فى كتابه (التمييز لما اودعه الزمخشرى من الاعتزال فى الكتاب العزيز) .
نيل الابتهاج (ص ١٩٥)
وانظر ما نظم فى الرد عليه من شعر فى ازهار الرياض(٣ / ٢٩٨-٣٢٣)
(٢) ترجمته في رياض النفوس (٢/٣١٣-٣١٦) رقم: ٢٣١ ، معالم الإيمان (٣/ ٣٨-٣٩) رقم: ١٩٥
(٣) رياض النفوس (٢/ ٣١٤)

ثانيـــا : مقاومـة علماء المغـرب للاشعريـــة

المبحث الأول : دخول الأشعرية إلى المغرب وانتشارها به .

لقد ظل المغرب الإسلامي على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي مع التنزيه للخالق عز وجل وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين وكذا القول في الوجه واليد والعين والنزول والمجيء والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة . فإنهم يمرونه على ظاهره ولا يؤولونه بالذات والقدرة فرارا من الافتئات على الشارع الذي عبر بذلك . ولكنهم يعتقدون التنزيه ومخالفته تعالى للحوادث - كما سبق الحديث في ذلك بتوسع - وظل الأمر على ذلك إلى عهد بن تومرت ورجوعه من رحلته المشرقية حيث عمل على تحويل الناس عن مذهب السلف إلى المذهب الأشعري .

وقد تحدث غير واحد من علماء المغرب والمشرق ممن تناول هذه المرحلة بالدراسة والبحث ، أو تناول شخصية ابن تومرت ، تحدثوا جميعا عن دور ابن تومرت الكبير في تحويل المغرب والانحراف به عن منهج السلف إلى مناهج المتكلمين في الاعتقاد .

من ذلك ما قاله الناصري (١) بعد أن تحدث عن حال أهل المغرب في الأصول والاعتقادات قبل ابن تومرت " فبعد أن طهره الله (أي المغرب) من فرقة الخارجية والرافضة ثانيا أقاموا (أي أهل المغرب) على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه (٢) وعدم التعرض له

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) المتشابه في اللغة يطلق على المماثلة بين شيئين ، تقول أشبه الشيء الشيء

لسان العرب (١٣/٥٠٢) .

بالتأويل (١) مع التنزيه عن الظاهر ، و هو - والله - أحسن المذاهب و أسلمها .

و استمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدى الموحدين (٢) فرحل إلى المشرق و أخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبى الحسن الاشعرى و متأخرى أصحابه ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب و دعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة و جزم بتضليل من خالفها بل تكفيره و سمّى أتباعه الموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد .

و من ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشعرى و تقريره و تحريره درسا و تأليفا . و ان كان قد ظهر بالمغرب قبل ذلك ابن تومرت فظهورا ما" (٣)

و إلى ذلك يشير ابن خلدون فى مقدمته حيث يقول : " و انطوى هذا الإمام

---

(١) و المصير ، و منهم من يقول إنه بمعنى التفسير و البيان . و فى اصطلاح المتكلمين : نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج فى إثباته الى دليل و قال ابن الاثير : هو نقل ظاهر اللفظ عن موضعه الأصلى إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ . و ينقل الزبيدى عن السبكى قوله : إن التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فإن حمل لدليل فصحيح . أو لما يظن دليلا ففاسد أو لا شيئ فلعب لا تأويل .
انظر : تهذيب اللغة للأزهرى (١٥/٤٥٨) ، تاج العروس (٧/٢١٥) ، النهاية فى غريب الحديث (١/٢٨٠) .
هذا فى اللغة : أما فى اصطلاح الفقهاء و المتكلمين فهو لا يختلف عنه فى اللغة فهو " صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان هذا المعنى الذى تصرف إليه الآية موافقا للكتاب و السنة و عن موقف العلماء من التأويل عند المتكلمين و غيرهم ينظر : ابن تيمية و موقفه من التأويل للجليند (ص ٥١) طبعة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة (١٣٩٣ / ١٩٧٣) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) الاستقصاء (١/٦٣) .

راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة وذهب برأيهم إلى تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه والاعتقاد بالسلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت. فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد" . (١)

من هذه النصوص نخلص إلى أن أهل المغرب كانوا في الجانب العقدي على طريقة أهل السنة والجماعة. حتى جاء ابن تومرت فحولهم عن هذه الطريقة إلى طريقة أهل الكلام وحملهم عليها حملا بعدما كانت - قبل ذلك - منحصرة في آحاد الناس وكان ظهورها ظهورا ما .

---

(١) مقدمة ابن خلدون .

وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى عن الإمام الذهبي الذي يقول :"
وكان ابن تومرت لَهِجاً بعلم الكلام. خائضا في مزالّ الأقدام. ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف ، فحمل أتباعه عليها وسماهم الموحدين ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه ، نعوذ بالله من الغي والهوى"
سير أعلام النبلاء (١٩/٥٤٠ - ٥٤١) .

وعن اليسع بن حزم الذي ينقل عنه الذهبي قوله فيه :
" سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين ، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه. مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه - إلى أن يقول - : فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق " .
سير أعلام النبلاء (١٩/٥٥٠) .

وهذا لا يمنع أن يوجد هناك من العلماء من تأثر بمذهب الأشعري - قليلا أو كثيرا - وتأثر بطريقة رجاله في الجدل ، وفي تفسير المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى وأسمائه إلا أن تأثرهم هذا كان في نواح جزئية منه فقط ، أما وجود المذهب بشكله المتكامل فكان يواجهه بالمعارضة الشديدة ، وهو ما يبرزه موقفهم من ابن تومرت حين قدومه من المشرق وشروعه في بث هذا المذهب بين أهل المغرب .

ولعل السبب في عدم وجود المذهب متكاملا إلى هذا العهد يرجع بالدرجة الأولى إلى المذهب الاشعري نفسه ، فعلى قول كثير من العلماء أن هذا المذهب لم تكتمل أسسه على يد مؤسسة الأول ، بل بقي في تطور مستمر حتى بلغ شكله الأخير على يد الإمام الجويني والإمام الغزالي .

فعلى قول هؤلاء ، فإن الإمام الاشعري وقدماء أصحابه كانوا يثبتون الصفات الخبرية ، ولكن المتأخرين هم الذين كانوا ينفونها . حيث يقول الإمام ابن تيمية : " فالأشعري وقدماء أصحابه كانوا يقولون : إنه بذاته فوق العرش وهو مع ذلك ليس بجسم " (١)
ويقول أيضا : " وهؤلاء الذين ينفون الصفات كأبي المعالي وأتباعه ، فإن الأشعري وأئمة أصحابه يثبتون الصفات الخبرية وهؤلاء ينفونها (٢) " ويقول أيضا :
" والأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري (٣) وأبي عبد الله بن

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣٢٦/٢) .
(٢) نفس المصدر (٣٢٨/٢) .
(٣) هو أبو الحسن بن علي بن محمد بن مهدي الطبري ، صحب أبي الحسن الأشعري مدة وأخذ عنه وتخرج به واقتبس منه : صنف عدة تصانيف تدل على علم واسع وفضل بارع. توفي في حدود سنة ٣٨٠.
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفتري (ص ١٩٥ - ١٩٦) طبقات الشافعية الكبرى (٤٦٦/٣ - ٤٦٨) رقم : ٢٢٩ ، معجم المؤلفين لرضا كحالة (٢٣٤/٧) .

مجاهد (١) والقاضي أبي بكر متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد وإبطال تأويلها وليس له في ذلك قولان أصلا .
ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلا . بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله . ولكن لأتباعه في ذلك قولان ، وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالي الجويني ، وله في تأويلها قولان : ففي الإرشاد أوَّلَهَا ثم إنه في الرسالة النظامية رجع عن ذلك وحرم التأويل وبين إجماع السلف على تحريم التأويل . وأما الأشعري وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها يردون على من ينفيها أو يقف فيها فضلا عمن يتأولها" (٢)

وفي ترجمته للإمام الباقلاني من كتابه الممتع (سير أعلام النبلاء) يبين الامام الذهبي أن هذا الامام وهو رأس الأشعرية في وقته كان على طريقة السلف في إثبات صفات الله تعالى وكان يناظر عنها ضد المعتزلة والرافضة والقدرية . وكان يرد على الكرامية (٣) وينصر الحنابلة عليهم ". (٤)

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري . قدم بغداد وصنف التصانيف . ودرّس علم الكلام وأخذ عنه الباقلاني توفي سنة ٣٧٠ . مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١ / ٣٤٣) رقم : ٢٦١ تبيين كذب المفتري (ص ١٧٧) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٣٠٥) رقم : ٢١٤ ، شذرات الذهب (٣ / ٧٤ - ٧٥) ، الديباج المذهب (٢ / ٢١٠ - ٢١١) .

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (٢ / ١١) .

(٣) الكرامية : هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات ، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم . ويوافقونهم أيضا في إثبات القدر والقول بالحكمة ولكنهم يوافقو المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين ويوافقون المرجئة في القول بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب. انظر عنهم : لسان الميزان (٥ / ٣٥٣ - ٣٥٦) ميزان الاعتدال (٤ / ٢١ - ٢٤) الفصل لابن حزم (٤ / ٤٥، ٢٠٤ - ٢٠٥) التبصير في الدين (ص ٦٥ - ٧٠) الخطط للمقريزي (٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٧ / ٥٥٨) .

وينقل عن الباقلاني ما يؤكد رأيه هذا حيث يقول : " فإن قيل : فما الدليل على أن لله وجها ويدا ؟ قيل : قوله تعالى : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) . وقوله : (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص : ٧٥) .
ثم قال : فإن قيل : فهل تقولون إنه في كل مكان ؟ قيل : بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه " ، وقال في موضع آخر : " قد بينا دين الأمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير " .

قال الإمام الذهبي تعليقا على هذا الكلام : " فهذا المنهج هو طريقة السلف وهو الذي اوضحه ابوالحسن (الأشعري) وأصحابه . وهو التسليم بنصوص الكتاب والسنة ، وبه قال الباقلاني وابن فورك (١) والكبار إلى زمن أبي المعالي الجويني ثم زمن الشيخ أبي حامد فوقع اختلاف وألوان فسأل الله العفو " . (٢)

ومن هذه النصوص مجتمعة نستنتج أن المذهب الأشعري لم يصل إلى صورته الاخيرة إلا على مراحل . أما الرجال الذين اسسوا المذهب فقد كانوا على منهج السلف في الصفات . (٣) ومهما يكن الأمر ، فالذي يهمنا - نحن - في المقام الأول ،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الأصبهاني . متكلم ، فقيه ، مفسر أصولي ، أديب نحوي واعظ . لغوي عارف بالرجال . أقام بالعراق مدة وكثر سماعه بالبصرة وبغداد . وحدث بنيسابور . من تصانيفه الكثيرة (دقائق الأسرار) ، (مشكل الآثار) ، (تفسير القرآن) مات مسموما سنة ٤٠٦ .
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفترى (ص٢٣٢) ، وفيات الأعيان (٤ / ٢٧٢ - ٢٧٣) رقم : ٦١٠ سير أعلام النبلاء (١٧ / ٢١٤ - ٢١٦) رقم : ١٢٥ ، طبقات السبكي (٤ / ١٢٧ - ١٣٥) رقم : ٣١٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧ / ٥٥٨) .

(٣) يجب التفرقة بين الإمام الاشعري والأشاعرة ، فالإمام الأشعري كان على مذهب السلف . ولكن أتباعه خالفوه في قضايا كثيرة ونفوا عنه ما قال به من موافقة السلف . فمما خالفوه فيه قضية معرفة الصانع والطريق إليها ، يقول ابن تيمية : =

فى بحثنا هو انتشار هذا المذهب فى المغرب الإسلامى ، والسبل التى دخل منها إليــه .

والواقع أنه ليس لدينا معلومات كافية نستطيع أن نكون منها رأيا واضحا فيما يتعلق بصدى الأشعرية بالمغرب الإسلامى قبل قيام دعوة ابن تومرت، ولكن هنـاك إشارات متفرقة فى كتب التاريخ والتراجم تؤلف فى مجموعها أرضية يمكن الاعتماد عليها فى تكوين فكرة حول هذا الموضوع .

أما مؤلفات بعض العلماء الذين ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية والـتى تعتبر المنطلق الصحيح لتدقيق الرأى فى هذه المسألة فإن أغلبها مفقود أو فى حكم المفقود . وقد بالغ بعض الباحثين ليحكم ـ من خلال تلك الإشارات ـ وفى شـيئ من القطعية بأشعرية المغرب قبل أوائل القرن السادس ، أمثال الشيخ زاهـد الكوثرى ـ رحمه الله ـ الذى اعتمد على إشارات فى كتاب " تبيين كذب المفترى لابـن عساكر " الذى جاء فيه أن بعض تلاميذ الباقلانى توجه إلى المغرب فنشر به العلـم وانتفع به أهل القيروان وترك بها تلاميـذ مبرزين مشاهير (١) ليعلن ـ كما قلت ـ

= " إن الأشاعرة خالفوا الأشعرى فى الاستدلال على وجود الصانع فأثبتوا القـول بالجواهر والأعراض والأشعرى يرى أنه بدعة فى الشرع " .
وخالفوه فى الصفات الخبرية : يقول ابن القيم : إن الاشاعرة خالفوا الأشعرى فى الصفات الخبرية مثل الاستواء والعلو والنزول . . . مع أن الأشعرى صرح بإثبات ذلك فى مؤلفاته كلها" . انظر الصواعق المرسلة (ص ٣٤٦) .
وخالفوه فى مسأله القرآن : يقول العضد الإيجى صاحب المواقف: " ان ما ذهب اليه المتأخرون من الاشاعرة فى مسألـة القرآن لا يتفق مع مذهـب الاشعرى " .
المواقف (٨/١٠٣) ط (١) ١٣٢٥ ، مطبعة السعادة .
هذه بعض القضايا التى خالف فيها متأخرو الأشعرية امامهم .والله اعلـم .

(١) تبيين كذب المفـترى (ص ١٢٠ ، ٢١٧) .

فى شيئ من القطعية أنه " دانت للسنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد إفريقية ، وقد بعث الباقلانى فى جملة ما بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذرى (١) إلى الشام ثم القيروان وبلاد المغرب فدان له أهل العلم من أئمة المغرب وانتشر المذهب الى صقلية (٢) و الاندلس (٣) .

ومما لا شك فيه أن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعرى منذ وقت مبكر ، وربما فى عهد مؤسسه نفسه . أما اعتناق الطريقة الأشعرية فى التصور العقدى فلم يكن وجوده بالمغرب قبل المهدى ابن تومرت إلا وجودا محدودا فى آحاد الأفراد إذا استثنينا ما ذكره ابن حزم فى فصله (٤) من " أن الأشعرية قامت لهم سوق بصقلية والقيروان ثم رق أمرهم والحمد لله رب العالمين " .

---

(١) هو ابوعبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذرى . بفتح الهمزة وفتح الذال - نسبة الى أذربيجان - وهو إقليم واسع ، من مدنه المشهورة تبريز وقيل فى النسبة : أذرى - بسكون الذال - لأنه عند النحويين مركب من أذر وبيجان . وقيل فى النسبة إليه : أذربى - بفتح الهمزة والذال وسكون الراء - وتجدر الإشارة الى أن هذه النسبة قد تصحفت فى كثير من المصادر التى ترجمت له الى (أزدى) وهى خطأ .
نزيل القيروان ، المتكلم الأشعرى تلميذ القاضى الباقلانى ، قدم الى المغرب واستوطن. الى أن توفى بمه سنة ٤٢٣ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/٥٨٦ - ٥٨٩) ، معجم البلدان لياقوت الحموى (١/١٥٩) مادة : أذربيجان ، تاج العروس (٩/١١٩) .

(٢) تقدم التعريف بها .

(٣) انظر : مقدمة محمد زاهد الكوثرى على كتاب " تبيين كذب المفترى " ص ١٥ .

(٤) (٤/٢٠٤) .

وسأحاول في هذا البحث - من خلال تلك الإشارات - أن أرسم خطا بيانيا لدخول الأشعرية وتطورها بالمغرب الأسلامي .

لقد كانت القيروان المركز الأساسي بالمغرب لتقبل الأشعرية ونشرها - قبل منتصف القرن الخامس الهجري - لأنها كانت خلال هذه المرحلة نقطة الإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب بما فيه الأندلس حيث كان يفد عليها الطلبة من كل جهة من المغرب لتلقي العلم بها سواء ما أنتجه علماؤها أو ماجلبوه معهم من المشرق خلال رحلتهم. كما كانت القيروان مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق لأهل المغرب ، حيث كانت تقع في طريقهم. فكانوا يمرون عليها أثناء الرحلة وأثناء العودة فيحصل لهم علم كثير بملاقاة رجال العلم الذين كانت تزخر بهم. (١)
لقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب - كما يرى بعض الباحثين - نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق المختلفة (٢).
ولما كان المغرب الإسلامي يعج بالفرق المختلفة، الخوارج والشيعة والمعتزلة فقد رحل أهل المغرب إلى المشرق للحج ثم ملاقاة رجال الأشعرية.

---

(١) عن علاقة القيروان ببلاد المغرب ينظر: جعفر ماجد (العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والخامس للهجرة) (حوليات الجامعة التونسية عدد ١٣/سنة ١٩٧٦ / ص ١٠٢) وينظر أيضا : محمد المنوفي في ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس (مجلة المناهل المغربية عدد ٦/ سنة ١٩٦٦ / ص٢٤٤) وكذلك مقال : مساهمة الأفارقة (التونسيين) في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين (حوليات الجامعة التونسية عدد : ٢٠/ سنة ٨٦ / ص ٧) وأيضا مقال : القيروان والمغرب لمحمد العروسي (مجلة الفكر التونسية عدد : ٥ / سنة ١٩٦٦ / ص ٢) .

(٢) انظر : كتاب المهدي ابن تومرت للنجار (ص٤٣٣) .

ولعل أول رجل عرف الأشعرية في المغرب هو إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (١) (ت ٣٥٩) ، والمعروف بمواقفه القوية ضد الشيعة والتي أوذي من أجلها ، فقد ذكر البرزلي (ت ٨٤٤) (٢) أنه كان من مشايخ الأشعرية. ونسب اليه بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان. (٣)

ورجل آخر عرف الأشعرية في وقت مبكر هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت ٣٥٧) (٤) فقد رحل إلى المشرق والتقى أئمة الأشعرية وأخذ عنهم ثم حل بالقيروان حيث درّس بها ، ثم استقر بفاس ونشر بها علمه .

وحتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) (٥) فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم أمثال : دراس بن إسماعيل - الذي تقدم ذكره - وابى بكر احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن (٦) ،

(١) تقدمت ترجمته ص ٤٥٧

(٢) هو أحمد بن محمد بن المعتل البلوي ، القيرواني المالكي الشهير بالبرزلي كان فقيها مشاركا في أنواع من العلوم ، رحل إلى القاهرة ، وصار إماما بالزيتونة بعد عودته وافتى ووعظ ، توفي بتونس سنة ٨٤١ وقيل ٨٤٤ كانت ولادته سنة ٧٤٠ .
من تصانيفه : النوازل والفتاوى .
مصادر ترجمته : الحلل السندسية (١/٣/١ ٧٠١ - ٧٠٣) د. محمد الحبيب الهيلة ، ط الدار التونسية للنشر (سنة ١٩٧٠) شجرة النور الزكية (ص ٢٤٥) رقم: ٨٧٩ ، الضوء اللامع (١/ ١٣٣) معجم المؤلفين (٢/ ١٥٨) (٨/ ٩٤) تراجم المؤلفين التونسيين (١/ ١١٥ - ١١٨) .

(٣) المهدي ابن تومرت ص ٤٣٤ نقلا عن البرزلي في جامع مسائل الأحكام (١/ ٩١ ظ)

(٤) هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه الحافظ النظار المعروف بالعلم والصلاح له رحلة حج فيها وسمع من ابن ابى مطر ومن ابن اللباد وغيرهما وعنه أخذ القابسي وابن أبي زيد القيرواني وهو أول من أدخل مدونة سحنون إلى مدينة فاس توفي سنة ٣٥٧ .
مصادر ترجمته : شجرة النور الزكية (ص ١٠٣) رقم الترجمة : ٢٦٣ الفكر السامي (٤/ ١١٥ ، ١٢٥) .

(٥) مرت ترجمته .

(٦) لم أعثر له على ترجمة .

كما كان وثيق الصلة بتلميذ أبي الحسن الأشعري أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد (ت ٣٧٠) (١) وكانت بينهما مراسلات وتبادل كتب ويذكره الباقلاني فيقول : شيخنا" (٢) . ومن كتب ابن مجاهد التي دخلت إلى المغرب (رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين للكتاب والسنة) (٣)
وقد تقدم الحديث - في فصل مقاومة الاعتزال - عن الرسالة التي كتبها ابن أبي زيد القيرواني في الرد على المعتزلي والتي ذكر فيها أبا الحسن الأشعري ودافع عنه وبرأه مما رماه به المعتزلي مما هو برئ منه مما جرت به عادة المعتزلة باستعمال مثله في حقه ، من ذلك قوله عن أبي الحسن الاشعري : " هو رجل مشهور أنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية متمسك بالسنة " . (٤)

ولكن - رغم ذلك - فلا تجد في كتاباته ما يشير من قريب أو من بعيد إلى تأثره بالطريقة الأشعرية ، بل كان على طريقة السلف - رحمهم الله - وقد رأينا كيف كان نفوره من الكلام . (٥)

وكان لظهور الإمام الباقلاني (ت ٤٠٣) في المشرق كحامل للواء الأشعرية أثر كبير في نشر مذهب الأشعري في المغرب ، والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول ، مالكيا في الفروع ، لذلك أقبل عليه طلبة العلم من المغرب يأخذون عنه المذهب المالكي والطريقة الأشعرية في آن واحد .

وقد أخذ عن أبي بكر الباقلاني من أهل المغرب مجموعة من العلماء ، تذكر

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) انظر : معالم الإيمان (٣/١١٢) ، ترتيب المدارك (٢/٤٧٧) .

(٣) انظر : فهرست ابن خير (ص ٢٥٧ - ٢٥٨) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص ١٢٣) .

(٥) راجع (ص: ١٧٤) .

منهم : عبد الجليل بن أبى بكر الربعى المعروف بالديباجى و بابن الصابونى (١)، فقد صحب الباقلانى مدة ثم رجع إلى المغرب و ألف رسالة فى الاعتقادات . (٢)

و ممن أخذ عن الباقلانى من مشاهير علماء المغرب ، و الذين كان لهم دور فعال فيما بعد ، فى نشر المذهب الأشعرى فى المغرب أبو عمران الفاسى (٣) (ت ٤٣٠) ، فقد رحل إلى بغداد سنة ٣٩٩ و تلقى أصول المذهب عن القاضى الباقلانى الذى أعجب بذكائه و حفظه . ولما رجع إلى القيروان وجلس بها و ظهر علمه قصده الناس من كل جهة . (٤)

و يقول الذهبى عنه : " درس علم العقليات عن القاضى أبى بكر الباقلانى فى سنة ٣٩٩ " و يقول هو عن لقائه مع الباقلانى : " رحلت إلى بغداد فلما حضرت مجلس القاضى أبى بكر الباقلانى و رأيت كلامه فى الأصول و الفقه و المؤالف و المخالف حقرت نفسى و قلت : لا أعلم من العلم شيئا و رجعت عنده كالمبتدئ " . (٥)

---

(١) تكملة الصلة لابن الأبار ترجمة رقم : ١٨١٧ طبعة (مدريد) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) هو الإمام أبو عمران موسى بن عيسى بن أبى حاج يحج البربرى الفاسى الغفجومى الزناتى . رحل إلى الأندلس وحج غير مرة . و أخذ علم العقليات عن الباقلانى و توفى سنة ٤٣٠ .
مصادر ترجمته : الإكمال لابن ماكولا (٨٠/٧ ، ٨١ ، ١٨٩) ، الصلة لابن بشكوال (٦١١/٢) رقم : ١٣٣٧ ، الديباج المذهب (٣٣٧/٢) رقم ١٥٦ ، الشذرات (٢٤٧/٢) ، جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (٣٤٤/١ - ٣٤٥) رقم : ٣٦٤ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك (٧٠٣/٢) . معالم الإيمان (١٦٠/٣) .

(٥) ترتيب المدارك (٥٨٧/٢) .

هذا ، وفضلا عن رحلة علماء المغرب للتلمذة على الباقلاني فقد أرسل هو بدوره اثنين من أبرز تلاميذه لنشر مذهب الأشعري بالمغرب وبثه فيه ، هما : أبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ (١). وكان عالما متقنا لعلم الكلام حتى قال عنه أبو عمران الفاسي : " لو كان علم الكلام طيلسانا ما تطليس به إلا أبو طاهر البغدادي ". (٢)

وما من أحد من العلماء المذكورين في الأصول بالقيروان الا وقد أخذ عنه .

وأخذ عنه أيضا من أهل الأندلس أمثال ابو محمد عبد الله بن إبراهيم الاصيلي (ت ٣٩٢) (٣) الذي كان " عالما في الكلام والنظر واستقر بالأندلس يعلم الناس ، الا أننا لا نعرف شيئا عن آثاره فنتبين مدى أشعريته . (٤)

وأما الرجل الثاني الذي بعثه الباقلاني الى المغرب للغرض ذاته فهو : الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري (٥) الذي دخل القيروان واستوطنها ، وكان السبب في وروده عليها كما يقول ابن عساكر (٦) أن الإمام الباقلاني أرسله إلى

---

(١) لم اعثر له على ترجمة .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ١٢١) .

(٣) فقيه مالكي من قرطبة ، تفقه بها على اللؤلؤي وابن مشاط ، وأخذ عن وهب بن مسرة ثم ارتحل إلى المشرق وحج وأخذ عن الابهري والدارقطني ، تولى قضاء سرقسطة ، توفي سنة ٣٩٢ .

مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٤٩) رقم : ٧٦٠ ، ترتيب المدارك (٢/ ٦٤٢ - ٦٤٤) ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٦٠ - ٥٦١) رقم : ٤١٢ ، الديباج المذهب (١/ ٤٣٣ - ٤٣٥) رقم : ١٣ .

(٤) ابن تومرت (ص ٤٣٧) .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) تقدمت ترجمته .

دمشق أولا تلبية لرغبة أهلها " فعقد مجلس تذكير فى جامع دمشق فى حلقة أبى الحسن بن داود (١) وذكر التوحيد ونزه المعبود ونفى عنه التشبيه والتحديد فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون : أحد ، أحد . أقام مدة بدمشق ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية واستوطن القيروان إلى أن مات " (٢) . وكان رجلا ذا علم وأدب . يقول عنه القاضى عياض : " فكان من كبار الأشاعرة النارحين إلى المغرب أبو عبد الله الأذرى تلميذ القاضى الباقلانى " (٣) وقد ألف مؤلفات كثيرة منها " كتاب فى مناقب القاضى الباقلانى " ذكره أبو على السكونى (٤) فى عيون المناظرات ونقل منه (٥) و " كتاب اللمع فى أصول الفقه " .

وقد أخذ عن هذا الرجل جمع كبير من أهل المغرب كان لهم الدور الأكبر بعد ذلك فى نشر الطريقة الأشعرية فى المغرب وتعريف الناس بها ، أمثال أبى عمران الفاسى - الذى سبق الحديث عنه - وأبو بكر عبد الله بن محمد القرشى القيروانى (٦) وعبد الجليل الديباجى القيروانى (٧) . وممن أخذ عنه أيضا أبو محمد [عبدالله] بن أبي بكر بن عتيق بن أبي نصر هبة الله بن علي بن مالك التميمي المتكلم

(١) هو أبو الحسن بن على بن داود المقرى الدارانى الدمشقى . إمام مسجد دمشق ، كان ثقة مأمونا يذهب إلى مذهب أبى الحسن الاشعرى ، كان أبوه نصرانيا فأسلم ، ولم يكن له جد فى الإسلام . توفى سنة ٤٠٢ .
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفترى (ص ٢١٤ - ٢١٧) .

(٢) تبيين كذب المفترى (ص ٢١٦ - ٢١٧) .

(٣) ترتيب المدارك (٥٨٦/٢ - ٥٨٩) .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) انظر :

(٦) لم اعثر له على ترجمة .

(٧) الغنيـة للقاضى عياض (ص : ٧٦) .

الأشعرى المعروف بابن كدية القيروانى (١) أخذ عن الأذرى ثم رحل إلى بغداد. كان متعصبا لمذهب الأشعرى عالما به، قال عنه السلفى (٢) : " كان مشارا إليه فى الكلام، جرت بينه وبين الحنابلة فتن وأوذى غاية الإيذاء. سألته عن مسألة الاستواء فقال : " أحد الوجهين للأشعرى أنه يحمل على ماورد ولا يفسر ". (٣)

ومن تتلمذ عليه أيضا، وتأثر بالكلام غاية التأثر، أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الله السيورى القيروانى (ت ٤٦٠) (٤) الذى كان له شأن بديع فى

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله بن مالك التميمى القيروانى المعروف بابن كدبة، درس الكلام على الحسين بن حاتم الأُذرى، ورحل إلى المشرق فسمع ببغداد من عبد الباقى بن محمد العطار، وحدث بصور فسمع منه نصر المقدسى وروى عنه السلفى وغيره. ودرس بالنظامية ببغداد وأقام بالعراق إلى أن توفى سنة ٥١٢ فى الثامن من ذى الحجة. ودفن مع أبى الحسن الأشعرى بمشرعة الروايا خارج الكرخ.
مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٤١٧/١٩ - ٤١٨) رقم : ٢٤١، معرفة القراء الكبار (٣٧٩/١) النجوم الزاهرة (٢١٧/٥) معجم البلدان (٤٢٠/٤ - ٤٢١) غاية النهاية لابن الجرزى (١٩٥/٢ - ١٩٦).

(٢) السلفى : بكسر السين وفتح اللام هو أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى قال عنه الذهبى : " كان متقنا مثبتا دينا خيرا حافظا ناقدا مجموع الفضائل انتهى إليه علو الاسناد " توفى سنة ٥٧٦.
مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١٢٩٨ - ١٣٠٤) رقم : ١٠٨٢ البداية والنهاية (٣٠٩/١٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢١ - ٣٩) رقم : ١، وفيات الأعيان (١٠٥/١ - ١٠٧) رقم : ٤٤، وغيرها من المصادر.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤١٨/١٩).

(٤) هو شيخ المالكية أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث المغربى السيورى القيروانى أحد من يضرب بحفظه المثل فى الفقه وكان زاهدا، له تعليقة على المدونة وتخرج به أئمة توفى سنة ٤٦٠.
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٧٧٠/٢ - ٧٧١)، الديباج المذهب =

الحفظ و القيام بالمذهب المالكى ، حافظا لدواوينه. قرأ عن الأذرى الأصول و الكلام. و أكثر عنه الكلام. إلى جانب تلاميذ الباقلانى الذين أرسلهم الى المغرب لنشر الأشعرية أو الذين رحلوا إليه للأخذ عنه و الرجوع إلى المغرب لنشر مذهبه ، و هؤلاء جميعا كان لهم دور بارز فى هذا المجال ، إلى جانب هؤلاء التلاميذ دخلت كتبه و رسائله مثل (رسالة الحرة) و هى مطبوعة باسم الإنصاف (١) ، و التى كانت متداولة فى المغرب. و تذكر المصادر أن أحمد بن محمد التميمى المعروف بابن ورد (٢) من علماء المرية و الذى وصفه ابن الأبار بالحبر المجمع عليه ، كان قد روى كتب الباقلانى من طريق كريمة المروزية (ت ٤٦٣). (٣)

= (٢/٢٢) رقم : ٢ ، سير أعلام النبلاء (١٨/٢١٣) رقم: ١٠١ ، شجرة النور الزكية (١/١١٦) ، و السيورى : بضم السين المهملة و الياء و بعد الواو راء ، هذه النسبة إلى عمل السيور ، و هو أن يقطع الجلد سيورا دقاقا و يخرز بها السروج.

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى. فى مطبعة مؤسسة الخانجى ، الطبعة الثانية (سنة ١٣٨٢ / ١٩٦٣).

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمى المعروف بابن ورد ، و هو خاله غلبت النسبة إليه ، وكان أبوه من أهل القيروان. ورد المرية فأوطنها إلى أن مات وفيها نشأ أحمد بن محمد. فكان ابنها المنظور إليه و حبرها المجمع عليه. و اشتهر بدقة النظر و لطف الاستنباط. تتلمذ للقاضى أبى عبد الله بن المرابط وغيره وكان يروى كتب الباقلانى عن طريق كريمة المروزية عنه. توفى فى رمضان سنة ٥٤٠ وكانت ولادته سنة ٤٦٥.
مصادر ترجمته : المعجم فى أصحاب القاضى الامام أبى علي الصدفى لابن الأبار (ص ٢٣ - ٢٤) رقم: ١٧. بغية الملتمس (ص: ٣٦٢) ، تحفة القادم لابن الأبار تحقيق إحسان عباس (ص٣٢ - ٣٣) طبعة: دار المغرب الإسلامى (سنة ١٤٠٦).

(٣) هى الشيخة العالمة الفاضلة المسندة كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية المجاورة بحرم الله. سمعت من أبى الهيثم الكشميهنى صحيح البخارى ، و سمعت من زاهر بن أحمد السرخسى وغيره ، و حدث عنها الخطيب البغدادى =

وقد رأينا - من قبل - إعجاب أهل المغرب بالباقلانى ، حتى كانوا يرسلون إليه يستفتونه فى الحوادث الطارئة . (١)

وكان لكتب ابن فورك (ت ٤٠٦) (٢) رواج فى المغرب ، وبخاصة كتابه (تأويل مشكل الحديث) ، وكان دخولها إليه عن طريق العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق . فكتاب (تأويل مشكل الحديث) رواه ابن خير الإشبيلى (٣) (ت ٥٧٥) عن أبى جعفر النحوى (ت ٥٤٣) (٤) كما سمع عبد الله بن محمد النفزى المعروف بابن المرسى (ت ٥٣٨) (٥) على محمد بن المأمونى الكتاب ذاته ورواه كذلك عبد الرحمن بن أحمد القيسى المعروف بالحليانى (ت ٥٥٤) (٦) . ومن كتب

= وأبو المظفر السمعانى وغيرهما . كان لها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد . ماتت بكرا ولم تتزوج توفيت سنة ٤٦٣ . مصادر ترجمتها : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٣- ٢٣٥) رقم : ١١٠ ، المنتظم لابن الجوزى (٨/ ٢٧٠) ، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤) .

(١) راجع (ص) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفه من مدينة اشبيلية ولد سنة ٥٠٢ . وأخذ عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح وغيرة وتجول فى معظم مدن الاندلس تولى إمامة مسجد قرطبة آخر عمره إلى أن توفاه الله سنة ٥٧٥ .
مصادر ترجمته : بغية الملتمس (ص٦٢) رقم الترجمة : ١١٢ ، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٨٥- ٨٦) رقم : ٣٤ شذرات الذهب (٤/ ٢٥٢) ، فهرس الفهارس لعبد الحى الكتانى (١/ ٢٨٦) .

(٤) الفهرست (ص ١٩٩) .

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد النفزى . الخطيب المعروف بابن المرسى سمع من عدد كبير من الشيوخ وسمع منه عدد كبير أيضا . توفى سنة ٥٣٨ وكانت ولادته سنة ٤٥٣ .
مصادر ترجمته : الغنية للقاضى عياض (ص١٥٦- ١٥٧) رقم : ٥٩ ، الصلة (١/ ٢٩٦) رقم : ٦٥٠ بغية الملتمس (ص٣٢٥) رقم : ٨٩٧ ، معجم أصحاب أبي علي الصدفي (ص ٢١٤ - ٢١٧) رقم : ١٩٨ .

(٦) التكملة لكتاب الصلة (ص ٥٥٤) .

ابن فورك التى كانت متداولة بالمغرب - أيضا - (كتاب اعتقاد الموحدين) .(١)
كما دخل إلى الأندلس من تلاميذ ابن فورك رجل يدعى عبد الرحيم بن غياث التميمي
الحافظ (ت ٤٧١) . (٢)

وكان لأبى ذر الهروى (ت ٤٣٤) (٣) - هو الآخر - دور كبير
فى نشر الأشعرية فى المغرب ، بل هو الذى علّم أهل المغرب هذا المذهب وبثه
فيهم. نقل الإمام ابن تيمية عن الحسين بن أبى أمامة المالكى (٤) أنه قال :
" سمعت أبى يقول عن أبى ذر الهروى " إنه أول من حمل الكلام إلى الحرم وأول من
بثه فى المغاربة ".(٥)

وقد أقبل عليه طلبة العلم من المغرب لكونه كان يجمع بين الأشعرية فى
الاصول والمذهب المالكى فى الفروع (٦) حيث يقول الإمام ابن تيمية : " وأهل المغرب

---

(١) انظر : فهرست ابن خير (ص ٢٥٦) .
(٢) نفس المصدر (ترجمة رقم : ١٦٧١) .
(٣) هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروى المالكى . الحافظ الثقة ، حدث ببغداد عن بسر بن محمد المزنى وغيره. وخرج إلى مكة فسكنها مدة وتزوج في العرب. قيل : كان يحج كل عام ويقيم بمكة أيام الموسم ويحدث ثم يرجع إلى بلده. توفى سنة ٤٣٤ وكانت ولادته سنة ٣٥٦ .
مصادر ترجمته : تبيين كذب المفترى (٢٥٥ - ٢٥٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤ - ٥٦٣) رقم : ٣٧٠ ، البداية والنهاية (١٢/ ٥٠ - ٥١) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٤) .
(٤) لم أعثر له على ترجمة فى ماوقع تحت يدى من مصادر .
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠١) .
(٦) جاء فى تبيين كذب المفترى (٢٥٥ - ٢٥٦) أن أبا ذر الهروى سئل فقيل له : " أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والأشعرى ؟ فقال : سبب ذلك أني قدمت بغداد لطلب الحديث فلزمت الدارقطنى . فلما كان فى بعض الأيام كنت معه ، فاجتاز به القاضى أبو بكر بن الطيب. فأظهر الدارقطنى من أكرامه =

كانوا يحجون فيجتمعون به (أى بأبى ذر الهروى) و يأخذون عنه الحديث و هذه الطريقة (أى الأشعرية) و يدلهم على أصلها". (١)

و فى ترجمته لأبى ذر الهروى يقول الإمام الذهبى عنه : " أخذ الكلام و رَأْيَ أبى الحسن عن القاضى أبى بكر بن الطيب و بث ذلك بمكة و حمله عنه المغاربة إلى المغرب و الأندلس ، و قبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون فى الكلام بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية ولا يخوضون فى المعقولات" . (٢)

كما يؤكد الإمام ابن كثير صلة أبى ذر الهروى بالمغرب و أثره فيه فيقول : " و المغاربة إنما أخذوا الأشعرية عن أبى ذر الهروى" . (٣) فممن أخذ عنه الإمام ابو عمران الفاسى - الذى سبق ذكره - فقد أخذ عنه خلال رحلته إلى المشرق ، و بعد رجوعه قام بنشر المذهب فى المغرب و تم على يده ترويج كتبه و نشرها و تناسخها الناس (٤) . و ممن أخذ عن أبى عمران الفاسى من مشاهير علماء المغرب أبو محمد عبد الحميد بن محمد الصائغ (ت ٤٨٦) (٥) فقد كان فقيها نبيلا فهيما فاضلا

= ما تعجبت منه فلما فارقته قلت له : أيها الشيخ الإمام ؛ من هذا الذى أظهرت من إكرامه ما رأيت ؟ فقال : أوما تعرفه ؟ هذا سيف السنة أبو بكر الأشعرى . فلزمت القاضى منذ ذلك و اقتديت به فى مذهبيه جميعا . أو كما قال " .

(١) درء تعارض العقل و النقل (٢/١٠١ - ١٠٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/٥٥٧) .

(٣) البداية و النهاية (١٢/٥٠) .

(٤) معالم الإيمان (٣/١٥٢) .

(٥) فقيه مالكى من أهل القيروان ، سكن بسوسة و تفقه على السيورى و أبى عمران الفاسى . و به تفقه الإمام المازرى . تولى الإفتاء و التدريس بالمهدية . توفى سنة ٤٨٦ .

مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/٢٠٠) .

أصوليـا " (١) وخرج بهذا العلم من القيروان إلى المهدية حيث يتاح لأحـد تلاميذه النابهين أن يأخذ علمه ليصبح واحدا من أبرز أعلام المالكية والأشعرية بالمغرب ألا وهو الإمام المازرى . (٢)

ومن أخذ عن أبى ذر الهروى من المغاربة محمد بن سعدون[٣] (ت ٤٨٦) والإمام أبو الوليد البـاجى (٤) الذى لزمه ثلاث سنوات كاملة يدرس عليه الكلام (٥) وكان للإمام أبي الحسن القابسى (٦) علاقات علمية مع تلاميذ الباقلانى وبخاصة الإمام أبى ذر الهروى . وكان كثير الثناء على أبى الحسن الأشعرى حيث ألف فى فضله وإمامته رسالة جاء فيها : " واعلموا أن أبا الحسن الأشعرى لم يأت من هذا الأمر - يعنى الكلام - إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبيت عليها ودفع الشبه عنها فهمه

---

(١) انظر المعالم (٣/٢٠٢) .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن على بن عمر المازرى . إمام أهل افريقية ، بلغ درجة الاجتهاد . أخذ عنه اللخمى وابن الصائغ وكان إلى جانب تضلعه بالفقه والأصول والحديث ، عالما بالطب . من كتبه : شرح صحيح مسلم المسمى (المعلم بفوائد مسلم) و (شرح التلقين للقاضى عبد الوهاب) و (شرح البرهان للجوينى) توفى سنة ٥٣٦ .
مصادر ترجمته : الديباج لابن فرحون (٢/٢٥٠ - ٢٥٢) رقم : ٧٣ ، وفيات الأعيان (٤/٢٨٥) رقم : ٦١٧ ، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٠٤ - ١٠٧) رقم : ٦٣ ، أزهار الرياض (٣/١٦٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعدون بن على بن بلال القروى ، تفقه بالقيروان على جماعة ، وحج فسمع بمكة من أبى ذر الهروى وغيره . وسمع بمصر . وكان فقيها حافظا للمسائل ، وكان تاجرا . توفى سنة ٤٨٦ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك للقاضى عياض (٢/٧٩٩ - ٨٠٠) ، معالم الإيمان (٣/١٩٨) رقم : ٣١٥ .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٣٧) ، نفح الطيب (٢/٦٩) .

(٦) تقدمت ترجمته .

من فهمه بفضل الله عليه ، و خفى عمن خفى بقسم الله ، وما أبو الحسن إلا واحد من جملة القائمين بنصر الحق ، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته تلك ، ولا من يُؤْثِرُ عليه فى عصره غيره ، و من بعده من أهل الحق سلكوا سبيله فى القيام بأمر الله عز وجل و الذب عن دينه حسب اجتهادهم " . ثم يرد على من يتهم الأشعرى و يرميه بما هو برئ منه فيقول :

" و أما قولكم : وإن كان التوحيد لا يتم بمقالة الأشعرى ، فهذا يدل على أنكم فهمتم أن الأشعرى قال فى التوحيد قولا خرج به عن أهل الحق ، فإن من نسب هذا المعنى عندكم إلى الاشعرى فقد أبطل قول من قال عنه : لقد مات الأشعرى يوم مات و أهل السنة باكون عليه و أهل البدع مستريحون منه ، فما عرفه من وصفه بغير هذا " . (١)

و مما يدل على أنه كان متأثرا بالأشعرية قوله فى الإيمان : " إنه التصديق بالقلب دون أن يكون عمل الجوارح عنصرا منه " . (٢)

وكان للإمام أبو المعالى الجوينى (ت ٤٧٨) (٣) - هو الآخر - تأثيره و دوره الكبير فى نشر الفكر الأشعرى بالمغرب . وكان لكتبه رواج كبير به حيث اعتنى بها علماء المغرب شرحا و تدريسا . و بخاصة كتاب الإرشاد (٤) ، وكتاب البرهان (٥) . و افتتن به المغاربة أيما افتتان ، حتى قال قائلهم يمدحه

---

(١) انظر : تبيين كذب المفترى (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

(٢) ابن تومرت للنجار (ص ٤٣٥) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) هو كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، طبع فى مكتبة الخانجى (سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م) بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

(٥) هو كتاب البرهان فى أصول الفقه ، طبع فى مجلدين بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب طبعة وزارة الأوقاف بقطر الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٩) .

ويثنى عليه ، وهو محمد بن خلف بن موسى الأنصارى الأوسى الألبيرى (ت ٥٣٧)[1]

حُبُّ حَبْرٍ يدعى أباً للمعالى   هو دينى ففيه لا تعذلونى
أنا - والله - مغرم بهواه   عللونى بذكره عللونى

وكان هذا الرجل متكلما واقفا على مذاهب المتكلمين . متحققا برأى أبى الحسن الأشعرى ذاكرا لكتب الاصول والاعتقادات . وله كتب فى العقائد منها : (كتاب البيان فى الكلام على القرآن) و (كتاب الأصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم) و (رسالة فى البيان عن حقيقة الإيمان)[2] .

وأقبل الناس على شرح كتب الجوينى كما فعل أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى الغرناطى (ت ٥٥٢)[3] الذى

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصارى الأوسى ، ألبيرى الأصل ، أخذ علم الكلام عن أبى بكر بن الحسن المرادى وغيره . وروى عنه جمع من أهل الأندلس . كان متكلما ، مشاركا فى الأدب متقدما فى الطب . من كتبه " النكت والأمالى فى الرد على الغزالى " " وشرح على صحيح البخارى " توفى سنة ٥٣٧ وكانت ولادته سنة ٤٥٧ .
مصادر ترجمته : الذيل والتكملة (٦/١٩٣ - ١٩٥) رقم : ٥٤٦ ، تحقيق إحسان عباس ، طبعة دار الثقافة بيروت (الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣) .

(٢) الذيل والتكملة . (٦/١٩٤) .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى ، ابن البقرى ، كان محدثا نبيلا حافظا للتواريخ وطبقات الرواة وتعديلهم وتجريحهم ، مميزا لصحيح الحديث من سقيمه . وكان ماهرا فى علمى الكلام وأصول الفقه . توفى سنة ٥٥٢ وكان مولده سنة ٥٠٩ .
مصادر ترجمته : الذيل والتكملة (٥/١/٢٨٢ - ٢٨٥) رقم : ٥٦٦ ، الديباج المذهب (٢/١١٥ - ١١٦) رقم : ٢٤ .

شرح كتاب الإرشاد وسماه (منهاج السداد فى شرح الإرشاد) كما شرحه أبو عبد الله محمد بن سلم بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى ساكن الاسكندرية، وسماه (المهاد فى شرح الإرشاد) وكان هذا الرجل من المتكلمين الذين تأثروا بالجوينى واهتموا بكتبه ، وكان قد أخذها عن أبى على بن محمد الحضرمى ، وقد درس الكلام والأصول عن ابى محمد الحنفى ، وأبى بكر الطرطوشى وغيرهما (١) .

وأما كتابه (البرهان فى أصول الفقه) فقد شرحه من المغاربة الإمام المازرى (ت ٥٣٦) وانتقد عليه بعض المسائل التى خالف فيها أهل السنة مثل قوله : " تردد المتكلمون فى انحصار الأجناس كالالوان فقطع قاطعون بأنها غير متناهية فى الإمكان كآحاد كل جنس. وزعم آخرون أنها منحصرة . وقال المقتصدون : لا ندرى أنها منحصرة أم لا ؟ ولم يثبتوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق. والذى أراه قطعا أنها منحصرة لتعلق علم الله منها بأجناس لا تتناهى على التفصيل ، وذلك مستحيل .

فان استنكر الجهلة ذلك وشمخوا بآنافهم وقالوا : " البارى سبحانه عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم وأحلنا تقرير هذا الفن على أحكام الصفات " وبالجملة علم البارى سبحانه وتعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى ، فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الآحاد مع نفى النهاية. فإن ما يحيل

(١) الغنية للقاضى عياض (ص ٨٨) وممن شرح الإرشاد - أيضا - ولكن فى مرحلة متأخرة عن المرحلة التى نحن بصدد دراستها إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان الأوسى أبو إسحاق ويعرف بابن المرأة (ت ٦١١) ، كان متقدما فى علم الكلام حافظا ذاكرا للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وكان الكلام غالباً عليه .

انظر عنه : الإحاطة فى اخبار غرناطة (١/٣٢٥-٣٢٦) .

كما شرحه أيضا محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الأنصارى الإشبيلى وسماه (اقتطاف الأزهار واستخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية والمراد من شرح الإرشاد) انظر الذيل والتكملة (٥/٢/٦٥١) . كما انتشر هذا الكتاب =

دخول مالا يتناهى فى الوجود و يحيل وقوع تقديرات غير متناهية فى العلم والأجناس المختلفة التى فيها الكلام يستحيل العلم بها فإنها متباينة بالخواص و تعلق العلم بها على التفصيل مع نفى النهاية محال . وإذا لاقت الحقائق فليقل الآخر ما شاء" (١) .

و هو واضح فى إنكار علم الله بالجزئيات غير المتناهية ، و هو قول مخالف للنصوص القرآنية و الحديثية و مخالف لما عليه أهل السنة و الجماعة ، بأن علم الله محيط بكل شئ ما جل منه و مادق ولذلك يقول المازرى فى تفنيد مقالته تلك : " وددت لو محوتها بدمي " (٢) وليس المازرى وحده الذى انتقد ذلك عليه بل غيره - أيضا - كما ذكر الإمام الذهبى " أن الناس هاجروه و نفوه من أجلها و حلف أبو القاسم القشيرى (٣) لا يكلمه" (٤) . كما انتقده الإمام الذهبى نفسه و قال : " هذه هفوة اعتزال " . (٥)

و ممن انتقده انتقادا لاذعا عليها من علماء المغرب الإمام ابن العربى (ت ٥٤٣) (٦) حيث قال : " وإنما العجب كل العجب عن كلمات صدرت عن أبى المعالى فادحة تحوم أو تشف على أن على البارى لا يتعلق بالمعلومات

= فيما بعد أصبح يدرس لطلبة العلم ، و ممن كان يقوم بتدريسه محمد بن أبى بكر الأزدى الاشبيلى أبو عبد الله بن الفخار (ت ٦٤٠) .
انظر : ترجمته فى الذيل و التكملة (١٠٩/٦) .

(١) البرهان (١/١٤٥ - ١٤٦) .

(٢) و فى طبقات السبكى (بماء عينى بدل : دمى) (١٩٣/٥) .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٨) .

(٦) تقدمت ترجمته .

على التفصيـل " . (١)

ثم شرع بعد إيراد كلام الجوينى - الذى سبق ذكره - فى نقضه فقرة فقـرة ولطوله تركت نقله لأنه لا يعنينا فى بحثنا وإنما المقصود الإشارة إلى من انتقـد الجوينى على كلامه ذلك.

إلا أن الامام السبكى (٢) - بتعصبه للجوينى - لم يعجبه انتقاد المازرى فقال :
" وقد فهم عنه المازرى إنكار العلم بالجزئيات وأنكر وأفرط فى التغليظ عليه وأشبع القول فى إحاطة العلم القديم بالجزئيات ، ولا حاجة به إليه ، فإن أحدا لم ينازعه وإنما هو تصور أن الإمام (أى الجوينى) ينازعه فيه " . (٣)

وتحامل على المازرى بعض الشيئ دون مبرر ، لأن كلام الإمام الجوينى واضح فيما أنكر عليه ولا يحتاج إلى تأويـل .

وإلى جانب كتبه ومؤلفاته التى دخلت المغرب واهتم الناس بها اهتمامـا بالغا ، إلى جانب ذلك ، فإن كثيرا من علماء المغرب تتلمذ عليه وأخذ عنه كمـا أن هناك عددا من تلاميذه من أهل المشرق وفدوا على المغرب فى مرحلة مـن المراحل .

فممن تتلمذ له من أهل المغرب نذكـر : عبد الملك بن موسى بن أبى حجـرة

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ١٣٣ - ١٣٤) ، وممن انتقد الجوينى فى كتابيه البرهان والإرشاد ، ولكن فى مرحلة متأخرة عن مرحلتنا ، ابو الحسن علـى بن محمد بن على بن محمد بن خروف الحضرمى الإشبيلى (ت ٦٠٩) ، وهو صرورة لم يتزوج . وكان يقول : " والله ماحللت مئزرى على حلال ولا على حرام قط" انظر ترجمته فى الذيـل والتكملـة (٥/ ١/ ١٣١٩) .

(٢) تقدمت ترجمتـه .

(٣) طبقات السبكـى (٥/ ١٩٣) .

الأندلسى (ت ٤٨٥) (١) فقد كانت له رواية عن الجوينى ، وكذلك محمد بن سعيد الميورقي (٢) الذى رحل إلى مكة ولقى بها الإمام الجوينى ، وأخذ عنه مصنفاته ولزمه ، ورجع إلى ميورقة ، وتصدر للتدريس وأصوله وعلم الكلام. وله مناظرات مع ابن حزم شاركه فيها أبو الوليد الباجى حيث تظافرا عليه حتى افحماه وازعجاه وكان ذلك سبب القطيعة بين الباجى وابن حزم. (٣)

ومن تلاميذه - أيضا - أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المقافرى (ت ٥٠٢) (٤) سمع بالأندلس من الباجى وكانت له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الإمام الجوينى ودرس الأصول والكلام وعند عودته كان يدرس علم الكلام من كتاب (المنهاج فى الجدل والمناظرة) للإمام الباجى ، (ورسالة الحرة) للباقلانى.

إلى جانب تلاميذه من أهل المغرب ، ممن أخذ عنه وتتلمذ على يديه ونشر علمه فى المغرب فقد وفد جماعة من تلاميذه من المشارقة على المغرب - أيضا - أمثال : أبى نصر سهيل بن على بن عثمان النيسابورى (ت ٥٣١) (٦) فقد تتلمذ

---

(١) لم أعثر له على ترجمة

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الميورقى ، حج سنة ٤٠٢ ورافق فى رحلته أبا محمد عبد الحق بن هارون الصقلى الفقيه ، ولقى الإمام الجوينى بمكة فأخذ عنه ولزمه. ثم رجع إلى ميورقة وأخذ فى تدريس العلوم.
مصادر ترجمته : الذيل والتكملة (٦/٢١٦) رقم: ٦٢٥.

(٣) الذيل والتكملة (٦/٢١٦).

(٤) انظر عنه الغنية (١٦٥ - ١٦٦).

(٥) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور : عبد المجيد التركى ، الطبعة الثانية (دار المغرب) (١٩٨٧).

(٦) هو أبو نصر سهيل بن على بن عثمان النيسابورى الشيخ التاجر ، أقام بسبتة مدة ، وكان قد أدرك أبا المعالى الجوينى بنيسابور وحضر مجلسه ودرسه وكان شافعى المذهب ، توفى غريقا سنة ٥٣١. مصادر ترجمته : الغنية : فهرست شيوخ القاضى عياض (ص ٢٠٩ - ٢١٠) تحقيق : ماهر زهير جرار. طبعة دار الغرب السنة الأولى سنة ١٤٠٢ / ١٩٨٢).

للجوينى وقدم إلى المغرب وأقام بسبتة (١) مدة طويلة .

ولكن الرجل الذى كان له الدور الأكبر فى نشر طريقة الجوينى بالمغرب هو أبو بكر بن العربى ، الذى رحل إلى المشرق ولقى أعظم تلاميذ الجوينى ، أبا حامد الغزالى (ت ٥٠٥) (٢) حيث أخذ عنه طريقة أبى المعالى الجوينى فى الارشاد (٣) كما أن أبا الوليد الباجى جلب - بدوره - إلى المغرب طريقة أبى جعفر السمنانى (ت ٤٤٤) (٤).

يقول القاضى عياض فى ترجمته للباجى : " ودخل الموصل فأقام بها عاما يدرس على السمنانى تلميذ الباقلانى الأصول " . (٥)

ومن علماء المشرق الذين وفدوا على المغرب ، وساهموا فى نشر علم الكلام على الطريقة الأشعرية أبو الحسن نافع بن عباس الجوهرى (٦) الذى قدم الأندلس

---

(١) سبتة : بلدة مشهورة من مدن المغرب الأقصى ومرساها اجود مرسى على البحر، وهى اليوم داخلة تحت الحكم الاسبانى الصليبي . انظر عنها : معجم البلدان (٣/١٨٢ - ١٨٣) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/١٠١ - ١٠٢) .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن أحمد السمنانى . سكن بغداد فترة من الزمن وحدث عن أبى عمر السكرى وأبى الحسن الدارقطنى ثم استقر بالموصل وكان عالما فاضلا سخيا . توفى سنة ٤٤٤ وكانت ولادته سنة ٣٦١ . مصادر ترجمته : السير (١٧/ ٦٥١- ٦٥٢) رقم : ٤٤١ المنتظم (٨/١٥٦) وانظر الدرء (١/١٠١ - ١٠٢) . تبيين كذب المفترى (ص ٢٥٩) .
والسمنانى : بكسر السين وسكون الميم نسبة إلى سمنان قرية من قرى نسا فى العراق . اللباب (٢/١٤١) .

(٥) ترتيب المدارك (٢/٨٠٣ - ٨٠٤) .

(٦) هو أبو الحسن نافع بن العباس بن جبير الجوهرى التنيسى الحافظ، قدم الأندلس تاجرا سنة ٤١٩ ، وكان له رواية عالية عن شيوخ مصر وغيرهم من أهل العراق .

وكان عالما بالاعتقادات متكلما عليها ووضع عليها كتابا فى خمسة أجزاء سماه (الاستبصار)

بعد ذلك نشطت حركة التأليف فى علم الكلام من قبل المغاربة أنفسهم ، وبرز فيهم من العلماء فى هذا الجانب عدد كبير كانوا فى مستوى أولئك المشارقة أمثال :
يحى بن عبد الله كيس (ت ٤٣٦) (١) الذى كان متكلما حاذقا مستبحرا فى ذلك حتى قال عنه ابن حيان (٢) : " مانعلم بالأندلس فى وقته أبصر منه بالكلام والجدل ونحو ذلك " . (٣)

والعلامة أحمد بن محمد الجذامى المرسى (٤) من أعلام مملكة بنى عباد " كان كثير التجول والترحال فى طلب العلم ونشره وكان شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق فى وقته " (٥) وله رسائل فى علم الكلام ، وأملى رسالته فى مسألة التكليف بما لا يطاق ، كما أن له أشعارا تدور معارفه بعلم الكلام ، وكان موصوفا بالعلم والفضل .

ومنهم أحمد بن يحى بن عيسى الألبيرى (ت ٤٢٩) (٦) الذى كان متكلما

= لم تذكر المصادر سنة وفاته . مصادر ترجمته : الصلة (٢ / ٦٤٠) رقم الترجمة : ١٤٠٦

(١) هو أبو بكر يحى بن عبد الله كيس من أهل قرطبة . سمع الحديث من عدة لحقهم توفى فى آخر ربيع الأول من سنة ٤٣٦ وهو ابن سبع وأربعين سنة ، من سكتة اصابته قبل موته - رحمه الله - مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢ / ٦٦٧) رقم : ١٤٦٧

(٢) انظر ترجمته .

(٣) الصلة (٢ / ٦٦٧) .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد الجذامى المتكلم المعروف بالزنقى ، أصله من مرسية سمع من غير واحد . وأخذ عنه غير واحد ولم تذكر المصادر سنة وفاته .
انظر : المعجم فى أصحاب أبى على الصدفي (ص ١٢ - ١٣) تكملة الصلة (١ / ٣٨ - ٣٩)

(٥) انظر مصادر ترجمته .

(٦) هو أبو عمر أحمد بن يحى بن عيسى الألبيرى ، الأصولى سكن غرناطة وكان أديبا شاعرا عالما بالكلام - توفى سنة ٤٢٩ .
مصادر ترجمته : الصلة (١ / ٤٤) رقم : ٩١ .

دقيق النظر ، عارفا بالاعتقادات على الطريقة الأشعرية [(١)] .

ويعتبر أبو بكر المرادى (ت ٤٨٩) [(٢)] أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى . وكانت له تواليف حسان فى أصول الدين ، واستمر يدرسها إلى أن توفى .

ومن أعلامهم - أيضا - محمد بن سابق الصقلى (ت ٤٩٣) [(٣)] ، الذى كان من أهل الكلام مائلا إليه ومنهم أحمد بن سليمان الباجى (ت ٤٩٣) [(٤)] الذى برع فى الكلام وله تصانيف تدل على حذقه له وذكائه ، وصنف فى الجانب العقدى عقيدته المسماه (العقيدة فى المذاهب السديدة) وكتاب (البرهان على أن أول الواجبات الإيمان) وكتاب (معيار النظر) . [(٥)]

ومنهم أيضا - أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدى (ت ٥٠١) [(٦)]

---

(١) الصلة (١/ ٤٤) .

(٢) انظر عنه : الغنية (ص ٢٢٦) رقم : ٩٧ ، تحقيق ماهر زهير . طبعة دار الغرب الإسلامى (الأولى ١٤٠٢/ ١٩٨٢) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن سابق الصقلى روى بمكة عن كريمة بنت أحمد المروزى وقدم الأندلس وأخذ عنه أهل غرناطة . توفى سنة ٤٩٣ .
مصادر ترجمته : الصله : (٢/ ٦٠٤) رقم : ١٣٢٥ .

(٤) هو أبو القاسم أحمد بن سليمان بن خلف الباجى ، سكن سرقسطة وروى عن أبيه كثيرا وخلفه فى حلْقتِه وحدث عن حاتم بن محمد . وابن حيان وغيرهما . توفى سنة ٤٩٣ بجدة بعد منصرفه من الحج .
مصادر ترجمته : الصلة (١/ ٧١) رقم الترجمة : ١٥٣ ، بغية الملتمس (ص: ١٦٩) رقم : ٤٠٨ الديباج المذهب (١/ ١٨٣) رقم : ٦٠ .

(٥) انظر مصادر ترجمته .

(٦) أصله من اشبيلية ، رحل إلى المشرق ودخل الحجاز والعراق والشام ، من شيوخه : محمد بن حجاج السبتى ، وكان مجاورا بمكة وابو عمران الصقلى والخطيب البغدادى وأبو الوليد الباجى توفى سنة ٥٠١ .
مصادر ترجمته : الغنية للقاضى عياض (ص٧٦- ٧٩) رقم : ١٤ ، الصلة (٢/ ٥٦٧) رقم : ١٢٤٦ .

الذى قال عنه القاضى عياض " وكان له حظ من العلم بالأصول و الاعتقاد " .

و منهم ، أبوعلى الحسن بن عبد الأعلى الكلاعى (ت ٥٠٥) (١) قال عنه القاضى عياض : " وكان محققا فهما أصوليا متكلما " .

و أبو محمد عبد الغالب بن يوسف السالمى (ت ٥١٦) (٢) الذى وصفه القاضى عياض بالمتكلم على مذاهب أهل السنة من الأشعرية.

و من المبرزين فى علم الكلام على الطريقة الأشعرية ـ أيضا ـ أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبى (٣) (ت ٥٢٠) قال عنه القاضى عياض: " كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية و نظار السنة و له فى ذلك تصانيف مشهورة " و ألف أرجوزة فى علم الكلام قاربت الالفين من الابيات كان يقرأها على تلاميذه فى المسجد فيحفظونها و يرددونها . (٤)

---

(١) هو أبوعلى الحسن بن عبد الأعلى الكلاعى ، الفقيه من أهل سفاقس و سكن المغرب الأقصى و الأندلس كان منقبضا فاضلا ، وكان محققا فهما فقيها أصوليا عارفا بعلم الهندسة و الحساب توفى سنة ٥٠٥ .
مصادر ترجمته : الغنية للقاضى عياض (ص ١٤٠ - ١٤١) . رقم : ٤٩

(٢) هو أبو أحمد عبد الغالب بن يوسف السالمى المتكلم ، أخذ عن ابن شبرين القاضى وغيره ، و أخذ عنه الناس كثيرا ، وكان خيرا فاضلا و له تصانيف كثيرة توفى بمراكش سنة ٥١٦ .
مصادر ترجمته : الغنية (ص ١٦٩ - ١٧٠) رقم: ٧٢ ، الصلة (٢/٣٨٨) رقم: ٨٣٥ .

(٣) هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبى الضرير من أهل سرقسطة. كان من أهل النحو و التقدم فى علم التوحيد والاعتقادات . توفى سنة ٥٢٠ .
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢/٦٨٢) رقم: ١٥٠٩ ، الغنية (ص ٢٢٦- ٢٢٧) رقم: ٩٧ .

(٤) هذه الأرجوزة توجد ضمن شرح لها بخزائن القرويين بفاس تحت عنوان (فى العقائد) انظر: الاندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين) (ص ٤٠١) ط دار الغرب الإسلامى (ط ١:١٩٨٨/١٤٠٨) وكتاب أضواء جديدة على

و يذكر ابن حزم أنه وجدت للأشعرية مراكز فى المغرب و ذلك فى القيروان و الأندلس و يذكرمن رجالهم الكبار المشاهير بالقيروان عطاف بن دوناس الذى ألف كتاباً فى نصرة مقالة الأشعرية. (١)

ولكن أبرز رجال الأشعرية فى هذه المرحلة و الذين عملوا على ترسيخ مذهب الأشعرى بالمغرب و بسط سلطانه به هم الأمام أبو الوليد الباجي و الامام ابن العربى و بدرجة أقل الإمام المازرى. (٢)
فالامام ابو الوليد رحل إلى المشرق ولقى كبار رجال الاشعرية — كما تقدم - وعاد الى المغرب يجادل عن الأشعرية و يصنف على مذهبهم و كانت مصنفاته متداولة بكثرة فى المغرب و بخاصة كتاب (التسديد) - كما يذكر ذلك القاضى عياض - فى ترجمة أبى الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن أبى البحر الزهرى (ت ٥٣٠) (٣)، حيث يقول : لقيته بسبتة مرات ناولنى من كُتُب أبى الوليد الباجى كتاب التسديد وغيره وحدثنى بجميعها عنه ". (٤)

و اشتهر أكثر ما اشتهر بمناظرته للإمام ابن حزم التى قيل عنها أن الباجى أفحم فيها ابن حزم حيث يقول القاضى عياض و هو من أنصار الباجى : " و وجد

— المرابطين للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندس أيضا (ص١٦) ط دار الغرب الإسلامى (ط١- ٩١

(١) الفصل فى الملل و الأهواء و النحل (٢٠٧/٤) .

(٢) ثلاثتهم تقدمت الترجمة لهم .

(٣) هو أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبى البحر الزهرى أصله من شنترين و سكن مدينة سلا ، رحل إلى المشرق و سمع من كريمة المروزية و غيرها و سمع من أبى الوليد الباجى و غيره من أهل المغرب. و سمع منه قوم بالأندلس توفى سنة ٥٣٠ .
مصادر ترجمته : الغنية فى شيوخ القاضى عياض (ص ١٨٣ - ١٨٦) رقم: ٨٣ ، الصلة لابن بشكوال (٤٤٠/٢) رقم: ٩٤٧ .

(٤) الغنية (ص: ١٨٥)

الباجى عند وروده الأندلس لابن حزم الأندلسى صيتا عاليا و ظاهريات منكرة وكان لكلامه طلاوة. وقد أخذت قلوب الناس وله تصرف فى فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس فى ذلك الوقت ، لقلة استعمالهم النظر وعدم تحققهم به ، فلم يكن يقوم أحد بمناظرته فَعَلاَ بذلك شأنه وسلموا الكلام له. فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من الإتقان والتحقيق والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله فى رحلته أَمَّلَهُ الناس لذلك فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة وكان رأس أهلها . فلم يزل أمره فى سفال فيما بعد . " (١)

ولكن بعض العلماء المعاصرين كأبى زهرة - رحمه الله - يرى أن هزيمة ابن حزم لم تكن بالحجةو البرهان ، بل كانت بقوة السلطان ،" فما أفلح عليه بحجة ولكن ذهب المناصر فتظاهر الفقهاء عليه وأَلَّبُوا عليه السلطان ، وخرج من ميورقة لا مغلوبا فى حجاج ولكن قد فقد النصير المؤيد ولم يعد الانتصار للحجة بل صار الانتصار لمن هو أكثر عددا وأعز نفرا" (٢).

المهم أن هذا الرجل (أى الباجى) كان له دور بارز فى نشر المذهب الأشعرى بالمغرب وكيف لا يكون ذلك وقد تلقاه عن أعمدة هذا المذهب بالمشرق خلال رحلته - كما تقدم - وأما ابن العربى فاتجاهه الأشعرى لا يخفى على أحد وكتبه تدل عليه .

وأما المازرى فقد ظهر منهجه الأشعرى واضحا من خلال كتابه (المعلم بفوائد مسلم) عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالعقيدة مثل الكلام فى الصفات وفى التأويل وغير ذلك ، وقد انتصر فى كتابه هذا لرأى الأشعرى ودافع عنه

---

(١) ترتيب المدارك (٢/٨٠٥) .

(٢) أبو زهره : (ابن حزم : حياته) ص .

مثل قوله فى شرح حديث وفد عبد القيس " آمركم بأربع " وفى بعض طرقه : " أتدرون ما الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله " (١) وذكر بعد ذلك الصلاة والزكاة وفى بعض طرقه : " آمركم بأربع : الإيمان بالله " ثم فسرها لهم فقال : " شهادة أن لا إله إلا الله " وقال بعد ذلك : " وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " .

قال الشيخ المازرى : " ظن بعض الفقهاء أن فى هذا دلالة على أن الصلاة والزكاة من الإيمان خلافا للمتكلمين من الأشعرية القائلين بأن ذلك ليس من الإيمان وهذا الذى ظنه غير صحيح لاحتمال أن يكون الضمير فى قوله : " ثم فسرها لهم " عائدا إلى الأربع لا على الإيمان . كما ظن هذا الظان " . (٢)

ويظهر نزوعه للتأويل واضحا فى قوله بالمجاز عند شرحه لأحاديث الصفات كما فى حديث " يأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقولون نعوذ بالله منك فيأتيهم فى صورته التى يعرفونها" (٣) يقول المازرى : " الإتيان هاهنا عبارة

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (باب الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم) رقم الحديث : ١٧ ، ١٨ ، صحيح مسلم (١/٤٦-٤٩) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا هذا الحى من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، فلا نخلص إليك إلا فى الشهر الحرام فمرنا بأمر نعمل به وندعو إليه مَنْ وراءنا . قال : " آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال) : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ، وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير" . وأخرجه النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه (باب أداء الخمس) انظر السنن (٨/١٠٥) .

(٢) المعلم (١/٢٨٥-٢٨٦) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخارى فى كتاب التوحيد (باب قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، رقم الحديث ٧٤٣٧ ، ٧٤٣٩ . انظر : فتح البارى (١٣/٤١٩-٤٢٢) =

عن رؤيتهم الله تعالى وقد جرت العادة فى المحدثين أن من كان غائبا عن غيره فلا يمكن التوصل إلى رؤيته إلا بإتيان أو مجئ فَعَبَّرَ بالإتيان هاهنا والمجئ عن الرؤية على سبيل المجاز" (١) ويقول فى الضحك والتجلى فى شرحه لحديث " فلا يزال يدعوا الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه أدخل الجنة" (٢)

يقول الإمام المازرى : " الضحك من الله محمول على إظهار الرضا والقبول إذ الضحك فى البشر علامة على ذلك ويقال : ضحكت الأرض إذا ظهر نباتها ، وفى بعض الحديث " فيبعث الله سحابا فيضحك أحسن الضحك " فجعل انجلاءه عن البرق ضحكا على الاستعارة كأنه تعالى لما أظهر له رحمته استعير له اسم الضحك مجازا" . (٣)

ويظهر نزوعه للتأويل - أيضا - من شرحه لحديث " ينزل ربنا كل ليلة " (٤) عندما يقول : " قيل : معناه ينزل ملك ربنا بتقدير حذف المضاف ، يقال : فعل السلطان كذا وإن كان الفعل من أتباعه . ويضاف له الفعل لما كان عن أمره . ويحتمل أن يكون عبر بالنزول عن تقريب البارئ تعالى للداعين حينئذ واستجابته لهم وخاطبهم صلى الله عليه وسلم بما جرت عادتهم ليفهموا عنه (٥)" .

= وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (باب معرفة طريق الرؤية) رقم الحديث : ١٨٢ ، ١٨٣ . انظر صحيح مسلم (١/ ١٦٣ - ١٧١) .

(١) المعلم (١/ ٣٣٧) .
(٢) هو نفس الحديث السابق .
(٣) المعلم (١/ ٣٣٩) .
(٤) تقدم تخريجه .
(٥) المعلم (١/ ٤٥٤) .

ولا غرابة فى أن ينشأ فى هذه المرحلة اتجاه يتهم كل من يقف عند ظواهر النصوص بالحشوية . (١)

---

(١) قال التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٣٩٦ - ٣٩٧) : " الحشوية - بسكون الشين و فتحها و هم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره و هم من الفرق الضالة. قال السبكى فى (شرح أصول ابن الحاجب) : الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل ، يجرون آيات الله على ظاهرها و يعتقدون أنه المراد ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى حلقة الحسن البصرى فوجدهم يتكلمون كلاما فقال : ردوا هؤلاء الى حشاء الحلقة. فنسبوا إلى الحشاء فهم حشوية - بفتح الشين - و قيل : سموابذلك لأن منهم المجسمة أو هم هم . و الجسم : حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية - بسكون الشين - نسبة إلى الحشو . و قيل : المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث فى آيات الصفات التى يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد . ويفوضون التأويل الى الله ، وعلى هذا اطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف " .

ثم مالبث أن انتقل هذا المصطلح ليطلقه المتكلمون على أهل السنة المثبتة لصفات الله. و كتب مستجى زاده على هامش إحدى النسخ من (منهاج السنة) و التى رمز إليها الدكتور رشاد سالم محقق الكتاب بالنسخة (ع) مايلى :

" أقول : و فى غير موضع من تفسير الكشاف أنه يستعمل لفظ (الحشوية) فى أهل السنة و كذا فى تفسير البيضاوى يذكر الحشوية فى مواضع و فهمت أنا من كلمات هؤلاء أعنى الشيعة و الزمخشرى و البيضاوى أن كل من يقول بمقالات السلف فى الاعتقادات و يحملون النصوص على ظواهرها و لا يصرفونها عن ظواهرها بآرائهم مثل الجهمية ومن اتبعوهم من المعتزلة و الروافض و متأخرى الحنفية و الشافعية فهم عندهم حشوية. فالحنابلة كلهم عندهم حشوية و كذا أهل الحديث مثل البخارى و مسلم و إسحاق بن راهويه و سفيان الثورى و ابن عيينة و حماد بن زيد ومن يحذو حذوهم من أئمة الحديث فهؤلاء كلهم حشوية عندهم . و انظر: مادة (الحشوية) بدائرة المعارف الإسلامية و ما ذكره الشهرستانى عن (مشبهة الحشوية) فى الملل و النحل (١/ ٩٦ - ٩٩) و انظر - أيضا - منهاج السنة (٢/ ٥٢٠) .

والمشبهة كما كان يصف أهل الاندلس المالكية حيث يقول ابن حوقل (١) :
" والمالكية من فظاظ الحشوية " . (٢)

وقد بالغ بعضهم حتى ذهب إلى القول بظهور تيار تشبيهى تجسيمى عمّ المغرب فى عهد المرابطين على الأخص ، ولا شك أن منشأ هذه المبالغة التأثر بدعاية الموحدين ضد المرابطين وإطلاقهم اسم المجسمة عليهم) إمعانا فى تهجينهم وتأليب الرأى العام عليهم. كما قال محمد بن خلف بن موسى الأنصارى الاوسى الالبيرى (ت ٥٣٧) (٣) الذى ألف كتابا " فى الرد على أبى الوليد بن رشد فى مسألة الاستواء الواقعة له فى الجزء الأول ، من مقدماته. " والتى سلك فيها مسلك السلف فى إثبات صفات الله كما وردت وقد تقدم نقل كلامه ذلك فى موضعه من هذا البحث " . (٤)

وأما ابن العربى ، فقد كان عنيفا فى نقده لأهل الإثبات ، يظهر ذلك من مناقشته لهم فى كتابه (العواصم من القواصم) حيث طعن عليهم وحمل عليهم حملة شعواء وصمهم فيها بالمشبهة تارة وبالجهل تارة أخرى. إلا أنه فى حملته تلك خلط بين المشبهة الحقيقية الذين يشبهون الخالق بالمخلوق وبين السلف الذين يثبتون هذه الصفات مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين ، ولم يفرق بين الاتجاهين فوقع فى الخطأ من حيث يدرى أولا يدرى .

فهو مثلا يجعل أهل السنة الذين يقولون : نثبت هذه الصفات كما وردت

---

(١) تقدمت ترجمته .
(٢) صورة الارض (ص ٩) .
(٣) تقدمت ترجمته .
(٤) راجع ص .

فى القرآن والسنة دون الخوض فى كيفيتها . وبين من يخوض فيها من المشبهة القائلين كما ينقل هو عن بعضهم : " الزمونى ما شئتم فإنى ألتزمه إلا اللحية والعورة " (١) بل أكثر من ذلك - كما نقل هو أيضا عنهم - قولهم : " إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه فإنه الله بعينه إلا أن الله تنزه عن الآفات قديم لا أول له دائم لا يفنى " (٢) مستدلين على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : " إن الله خلق آدم على صورته " (٣)

فهو يجعل السلف وهؤلاء المشبهة شيئا واحدا ولا يفرق بينهما . بينما الفرق شاسع فى حقيقة الأمر.

وما تمسك به أولئك المشبهة مما أنكره عليهم ابن العربى ، هو أيضا مما أنكره السلف. لأنهم جميعا يقولون : إن الضمير فى قوله صلى الله عليه وسلم (على صورته) عائد إلى آدم ليكون أوعظ له ، ومن ظن أن صفة الخالق تشبه شيئا من صفات خلقه فهو ضال جاهل ، وقد وصف الله نفسه بصفات بعد أن نفى المماثلة بينه وبين خلقه فقال سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى : ١١) . وفى هذا إشارة للخلق أن لا ينفوا عنه تعالى صفة سمعه وبصره بحجة أن فى الخلق من يسمع ويبصر فيكون فى إثباتها تشبيه بل عليهم إثبات ذلك على أساس (ليس كمثله شيئ) .

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥) وهو كلام منقول عن أبى يعلى الحنبلى ولكن الإمام ابن تيمية يرى أنه " من الكذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر. مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ففى كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها يقول الجمهور: " إنه جمع بين النقيضين" .
انظر: الدرء (٥/ ٢٣٨) .

(٢) العواصم من القواصم (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث .

وهذا الإمام ابن خزيمة (١) وهو إمام من أئمة المثبتة وعَلَمٌ من أعلامهم المنصوبة يرد على من يستدل بحديث الصورة على ما يذهب إليه من التشبيه فيقول : " توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله على صورته : يريد صورة الرحمن عز وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله : " خلق آدم على صورته " الهاء فى هذا الموضوع كناية عن اسم المضروب أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب " . (٢)

وأما رواية " على صورة الرحمن " (٣) التى أضافت الصورة إلى الرحمن تبارك وتعالى فقد قال فيها الإمام البيهقى (٤) : " يحتمل أن يكون لفظ الخبر فى الأصل كما رويناه فى حديث أبى هريرة دائر على صورته فأداه بعض الرواة على ما وقع فى قلبه ، من معناه " . (٥)

وأما ابن خزيمة فقد ضعف هذه الرواية من الأساس . (٦)

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٣٧) .

(٣) وهى من حديث ابن عمر ، من طريق الأعمش عن حبيب ابن ابى ثابت عن عطاء بن ابى رباح عن ابن عمر مرفوعا . وروى أيضا من طريق سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن عطاء مرسلا .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) انظر الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٩١) بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى طبعة دار احياء التراث العربى بدون تاريخ .

(٦) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٣٨ - ٣٩) . وكان تضعيفه لها من وجوه ثلاثة :
الوجه الأول : أن الثورى قد خالف الأعمش فى إسناده فأرسل الثورى ولم يقل عن ابن عمر .
الثانى : أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبى ثابت .
الثالث : أن حبيب بن أبى ثابت - ايضا مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء .
ويقول الإمام المازرى : وروى بعضهم : ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وليس بثابت عند أهل الحديث ، انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٧٧/١٧) .

وعلى فرض صحة هذا الخبر وصحة إسناده فإن المعنى ليس هو كما توهم البعض بل المعنى " أن إضافة الصورة إلى الرحمن فى هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه " (١). وهناك تفسير آخر على هذه الرواية ، وهو أن المراد بالصورة الصفة والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيئ " . (٢)

ومن هنا يتبين لنا أن أهل السنة المثبتة للصفات لم يقولوا كما توهم ابن العربى ، وإنما ذلك هو قول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ، أما أهل السنة فهم أبعد الناس عن ذلك .

وماردنا به قوله هنا يرد به قوله فى سائر الشبه التى طرحها ، ونكتفى بهذا القدر لننتقل إلى الحديث عن مقاومة أهل السنة المغاربة للكلام عموما والأشعرية خصوصا .

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٣٨ - ٣٩) .

(٢) انظر: فتح البارى (١١/٢ - ٣) وهناك تفاسير أخرى ذكرها الإمام ابن حجر فى الفتح (١١/٢ - ٣) ، (١٣٣/٥) ، (٢٦٠/٦)

المبحث الثاني : مقاومة علماء المغرب لعلم الكلام و الأشعرية :

لقد رأينا فيما تقدم من البحث أن الأشعرية لم تعرف في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس وخاصتهم إلا بعد رجوع ابن تومرت من رحلته المشرقية و تكوينه لدولة الموحدين و تغلبه على المغرب ، عند ذلك عمل على فرض المذهب على المنطقة حتى ألفه الناس و أستأنسوا به ، بعد أن كانوا خصومه . و في ذلك يقول ابن طملوس (١) : " إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر و زندقة . ولذلك قال القحطاني (٢) : " يا أشعرية يا زنادقة الورى " (٣) فعد القوم كفارا و زنادقة . ثم أنسوا (أي أهل المغرب) أيضا بهذا المذهب - أعني علم الأصول - و درجتهم الأيام الى أن طالعوه و تمهروا

---

(١) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن طملوس ولد سنة ٥٥٩ ، من أهل جزيرة شقر ، درس علوم الدين و الأدب عن أبي القاسم بن وضاح و أبي عبد الله بن حميد القاضي و درس المنطق و الطب. توفي سنة ٦٢٠ .
مصادر ترجمته : تاريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا (ص ٣٦٢ - ٣٦٦) نقله إلى العربية الاستاذ حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الأولى (سنة ١٩٥٥) .

(٢) لعله الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني المالكي ، فقد نسب إليه هذه القصيدة عدد من المؤلفين أمثال المغري في النفح (١٤٢/٢ ، ١٥٢) .
الذيل و التكملة (٣٧٢/١) ابن الفرضي (٨٩/٢) .
الانساب للسمعاني (٣٤٥/١٠) .

و قد طبعت قصيدته هذه بتحقيق محمد بن احمد المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة (ط١ / ١٤٠٩ / ١٩٨٨) مكتبة السوادي للتوزيع .

(٣) انظر هذا البيت ضمن القصيدة (ص ٥٣) .

فيه حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء " . (١)

أما قبل ذلك فكانت الأشعرية محصورة في فئة قليلة من خواص العلماء - كما تقدم الحديث - أو كما قال السلاوي أن ظهورها كان ظهورا ما ، وذلك بسبب العداء المستحكم الذي يتميز به أهل المغرب لكل العلوم العقلية المخالفة لمنهج أهل السنة. وقد وصف لنا المراكشي (٢) حال المغرب قبل ابن تومرت وعداءهم لهذه العلوم وبخاصة أيام المرابطين فقال : " ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام. وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه . وأنه بدعة في الدين وربما يرجع أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه (أي الامير) بغض علم الكلام وأهله ، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه ، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه " . (٣)

إذاً فالعداء لم يكن خاصا بالأشعرية ، بل كان عاما في كل اتجاه يخالف منهج أهل السنة والجماعة . إلا أننا عثرنا على بعض الفقرات والإشارات التي تدل على أنه كان هناك اتجاه خاص يعادي الأشعرية بالذات : كما ورد في بعض الأسئلة التي وردت على علماء المغرب من قبل عامة الناس وخاصتهم ، وهو ما يبرهن على اهتمام أهل المغرب بهذا الأمر.

ففي سؤال ورد على أبي الوليد ابن رشد (ت ٥٢٠) (٤) يسأل فيه

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا (ص ٣٦٥) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) المعجب (٢٣٦ - ٢٣٧) .

(٤) تقدمت ترجمته .

صاحبه عن رأي ابن رشد في أئمة الأشعرية أمثال أبي الوليد الباجي وأبي المعالي الجويني ونظرائهما ممن انتحل طريقة الأشعري. ورأيه فيمن يسبهم وينتقص من قدرهم. ونص السؤال كما يلي : " ما يقول الفقيه القاضي في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الاسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات ويصنف في الرد على أهل الأهواء. أهم أئمة إرشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية ؟ وما يقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ويسبون كل من ينتمي إلى الأشعرية ويكفرونهم ويتبرؤون منهم وينحرفون بالولاية عنهم ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضون في جهالة. ماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد ؟ أيتركون على أهوائهم أم يكف من غلوائهم ؟ " .

وورد إليه السؤال ذاته من أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (١) وبغض النظر عن جواب أبي الوليد ابن رشد عن السؤال ، فإن مضمونه يشير إلى وجود اتجاه في المغرب، كان أصحابه ينقمون على علماء الأشعرية خصوصا ومن ينتحل علم الكلام عموما . وقد أدتهم هذه النقمة عليهم إلى سب أئمة كبار كانوا ينتحلون الأشعرية ، والانتقاص من قدرهم. مع أنهم أئمة أعلام ، لا ينبغي أن يؤثر اتجاههم الأشعري على جهودهم العظيمة في نصرة دين الله ونشر السنة ومقارعة البدعة .

وان كانوا قد وقعوا في البدعة من حيث لايشعرون .(٢)

وإلى جانب الاتجاه العام المعادي للاشعرية ، وعلم الكلام عموما ، وجد

---

(١) انظر ترجمته ص والسؤال انظره في فتاوى ابن رشد (٢/٩٤٣) .

(٢) انظر إلى ابتداعهم في أدلة وجود الله تعالى ، ومتابعتهم للمعتزلة والفلاسفة في أساليبهم الكلامية .... الخ .

اتجاه خاص يتمثل فى أفراد أندلسيين كانوا أكثر من شنع على الامام الاشعرى وأصحابه ولعل رأس هذه الطائفة هو الإمام ابن حزم - رحمه الله - الذى حمل عليهم حملة شعواء فى كتاب له سماه (النصائح والفضائح) - ملأه " كذبا وتشانيع باطلة " كما يقول الإمام القاضى عياض - وشنع عليهم فى كتاب آخر له أيضا هو كتاب (اليقين فى النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين) (١)

وفى الفصل فى فصل (شنع المرجئة) شنع عليهم أيضا ، حيث نسبهم إلى الكفر تارة ، وإلى الضلال تارة أخرى . وإلى البدعة والجهل والتشبيه ، ومرة يصف الأشعرية بالفرقة الملعونة ، بل إنه لا يتورع عن لعنهم حيث يقول :
" ولعن ابن فورك (٢) وأشياعه وأتباعه " . (٣)

ويصف السمنانى بقوله " ما أعلم أحدا من غلاة المشبهة أقدم على أن يطلق ما أطلق هذا المبتدع الجاهل الملحد المتهور" ، ويقول فى موضع آخر :
" هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد" (٤) . ويصف الإمام الباقلانى بالجهل فيقول :
" لقد كذب هذا الجاهل وأفك ". (٥)

ولكن يجب الاعتراف بأن ابن حزم فى مناقشته لهم ، خلط بين الصحيح والسقيم وبين الصواب والخطأ ، وتقوّل على القوم ما لم يقولوا . فمن أقوال الاشعرى التى نسبها اليه كذبا وزورا قوله فيما نقله عنه " والأشعرى يقول : ان الايمان عقد بالقلب فقط وان إظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب فى دار الإسلام

---

(١) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢٠٧/٤) .
(٢) تقدمت ترجمته .
(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢١٥/٤) .
(٤) الفصل فى الملل والاهواء والنحل (٢١١/٤ - ٢١٣) .
(٥) نفس المصدر (٢٢١/٤) .

بلا تقيه (١) وهو كلام لا يقوله مسلم عادى بله إماما من ائمة الدين ، ولذلك يقول السبكى "والذى تحققته بعد البحث أنه (اى ابن حزم) لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه فصدقها لمجرد سماعه إياها ثم لم يكتف بالتصديق لمجرد السماع حتى اخذ يشنع (٢) وبسبب موقف الامام ابن حزم هذا من الأشعرية ورجالها " فإننا لا نستغرب أن يقف رجال الأشعرية منه موقفا معاديا ، وتكون ردة الفعل عندهم قوية ، ولا شك أنه قام عليه كثيرون فى عهده وبعده إلا أن ابرزهم : أبو الوليد الباجى - الذى تقدم الحديث عن مناظرته له والتى كانت سببا فى فضحه وإخراجه من بلده ، والإمام ابن العربى من بعده الذى تكلم فيه بكلام كبير جاء فيه : " وكان أول بدعة فى رحلتى القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعى ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأئمة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب إلى دين الله ماليس فيه ، ويقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب عنهم وتشنيعا عليهم " الخ كلامه فى هذا المعنى . (٢)

ولكن الإمام الذهبى لم يعجبه هذا الكلام من ابن العربى فأنشأ يقول بحدة " لم ينصف القاضى أبو بكر - رحمه الله - شيخَ أبيه فى العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط وبالغ فى الاستخفاف به ، وأبو بكر على عظمته من العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد - فرحمهما الله " . (٣)

وقد ألف ابن العربى عدة مؤلفات فى الرد على ابن حزم ، غير الرد الذى ورد فى كتابه (العواصم من القواصم) - كما اوردت بعضه هنا - منها كتاب (الغرة فى الرد على كتاب الدرة) (٤) وكتاب (النواهى والدواهى) الذى قال فى

---

(١) الفصل (٢/١١-١١٢)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١/٩٠)

(٣) العواصم من القواصم (٢/٣٣٦ - ٣٣٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٠) .

(٥) كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده. طبع بتحقيق ودراسة الدكتورين أحمد بن ناصر الحمد وسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقى .

سبب تأليفه " وكان قد جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه " نكت الإسلام" فيه دواهي فجردت عليه نواهي " . (١)

وهذا الكتاب الذى الفه ابن العربي جاء من بعده من ألف في نقضه كتابا . يقول ابن عبد الملك المراكشي " ولأبي عمر أحمد بن محمد بن حزم كتابا ، سماه : " الزوابع والدوافع " تابع فيه القاضي أبا بكر بن العربي على فصول كتابه المسمى (بالدواهي والنواهي) في الرد على ابن حزم ، وحاذاه فيه كلاما بكلام وحديثا بحديث وفقها بفقه ونظما بنظم ونثرا بنثر واقناعا باقناع والله يجازى الجميع بفضله " . (٢)

---

(١) العواصم من القواصم (٢/٣٣٨) ، أزهار الرياض (٣/٩٥) .

(٢) الذيل والتكملة (١/٤٠٨-٤٠٩) .